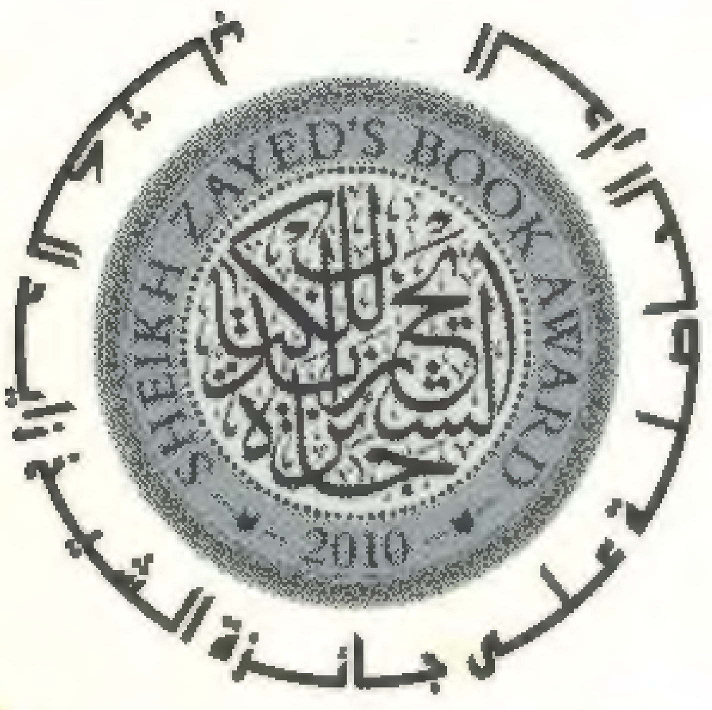


180

أنيس منصور

http://www.maktbtna2211.com/

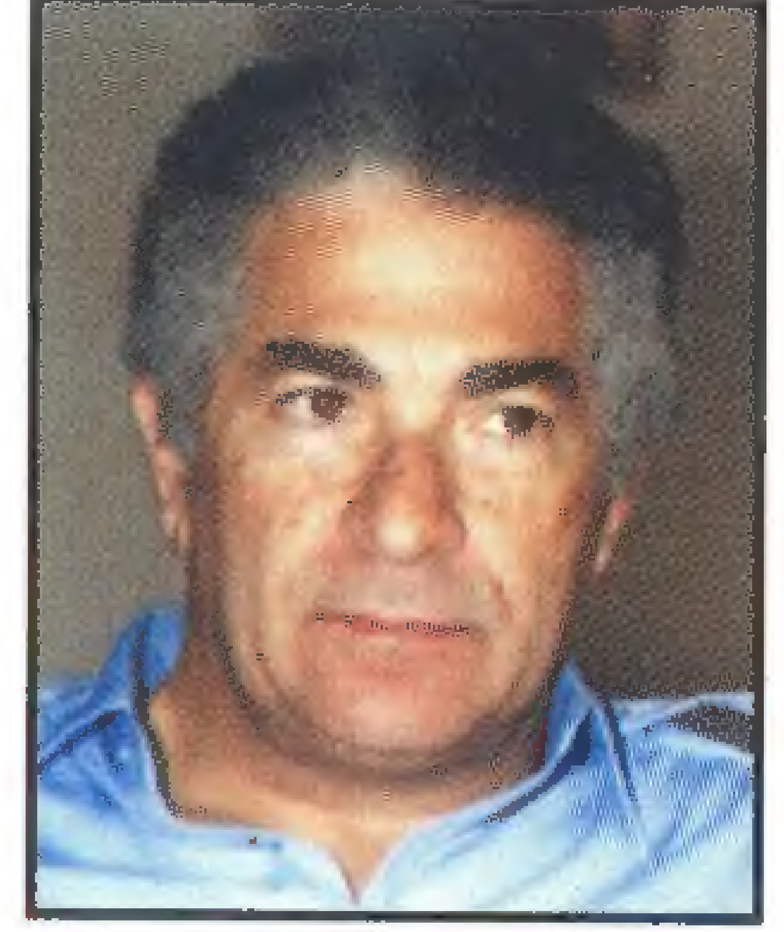
اللعب غريزة منظمة





عيون
قارىء

مكتبتنا
كنوز من المعرفة



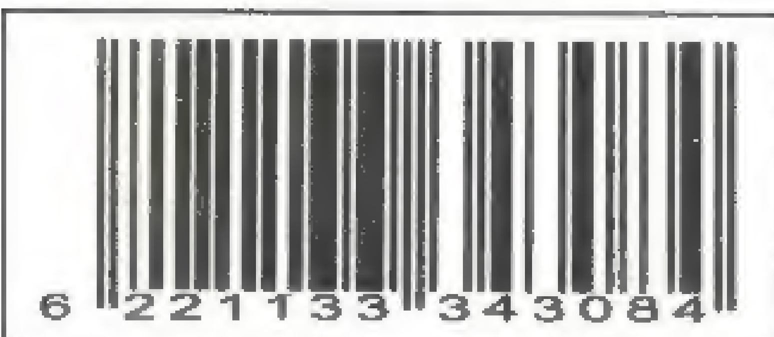
اللعب غريزة منظمة

كرة القدم يلعبها المهذبون ويتفرج عليها من ليسوا كذلك. والمفروض أن نكون جميعًا مهذبين والسبب هو أن اللعبة مثيرة تهز الناس الذين يشترون مقاعد لها أرقام ثم يتفرجون واقفين..

فهي تحرك كل كوامن الغضب والمناقشة والقنص، وفيها أيضًا التعصب الأبيض.. أو التعصب القبلي: أهلاوي زملكاوي ودقهلاوي..

وإن كانت كرة القدم تذيب الفوارق بين الناس، فأنت تستطيع أن تناقش الرئيس مبارك في لعب الأهلي والزمالك.. ولا تشعر بأي حرج، ولا هو يشعر بأي ضيق.. إنها رياضة..

Monday
6 Feb. 2012
Samannoud





www.nahdetmisr.com

أنيس منصور

اللعب غريزة منظمة



العنـــوان:
اللعــب غريــزة منظمــة

المؤلــف:
أنيــس منصــور

إشـراف عــام:
داليــا محمــد إبراهيــم

جميع الحقـوق محفوظـة © لـدار نهضـة مصر للنشـر

يحظـــر طبـــع أو نـشـــر أو تـصـويـــر أو تـخـزيـــن
أي جـزء مـن هـذا الكتـاب بأيـة وسيلـة إلكترونية أو ميكانيكية
أو بالتصويـر أو خـلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريـح من الناشـر.

الترقيم الدولي: 4-4286-14-977
رقـم الإيـــداع: 2010/10318
الطبعـة الأولى: ينايـــر 2011



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تليفـــون : 33466434 - 33472864 02
فاكـــس : 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

واحد
عنده أمل!

لابد أن نقرأ ماذا يقول المفكرون والساسة في إسرائيل. وهذا ما أفعله كثيرًا. وكثيرًا أيضًا أجدني غير قادر على الفهم. فلهم طريقة مختلفة في الكتابة: تلميحات ورموز وإشارات معروفة عندهم، وليس كذلك عندنا. فتبدو المقالات غامضة. وليس معقولًا أنها كذلك عند قرائهم. شكوت. فقيل لي إنها عيوب الترجمة إلى الإنجليزية أو العربية.. وإن العيب فينا وليس فيهم. ولا يوجد كاتب إسرائيلي لا يضع في مقالاته تصريحات لوزير أو رئيس وزراء. وتكون هذه التصريحات بين أقواس تصدم القارئ. ولا أعرف لماذا يجد الكاتب الإسرائيلي أنها من ضرورات الأمانة - مع أن أحدًا لا يكذبه - فهو كاتب كبير لأن قراءه يصدقونه ويثقون به. ولكنها طريقتهم في الكتابة وفي التفسير. إلا كاتبًا واحدًا هو المحلل السياسي المصري الأصل فكتور نحمياس الذي نسمعه كثيرًا في الإذاعة البريطانية والشبكات العربية. قرأت له مقالًا مملوءًا بالأمل. يقول إن خريطة الطريق مثل سفينة جديدة أنزلناها إلى الماء. نحن السفينة وركابها والموج الهادر يجب أن يهدأ حتى تتحرك السفينة وتمضي إلى بر الأمان، ونحن أيضًا الأمواج التي يجب أن تهدأ. وقال إن الباخرة تيتانيك عندما أنزلوها إلى البحر قالوا إنها أعظم ما اخترع الإنسان

وغرقت. فقد اصطدمت بجبال الجليد. وكما أننا السفينة وركابها فنحن أيضًا جبال الجليد التي هرولت إلى السفينة حتى أغرقتها. فأين السلام؟

السلام في الصبر – هكذا يقول – وكل شيء سوف يتم خطوة خطوة... فلا أحد من أطراف النزاع قادر على صنع المعجزات... ولابد بعد هذه الصراعات الدموية الطويلة أن نتوقف. وأن نجد حلًا إيجابيًا. والحل في أيدينا.. أن نلقي ما في أيدينا.. ولنجرب بأنفسنا. فلا أحد يريد الموت. كلنا نريد أن نعيش في أمان وبشرف.. ولا حل إذا نحن قررنا الموت الجماعي.. وإذا تنوعت في أيدينا الضحايا الأبرياء.. من طفل إلى أم الطفل إلى مواطن بريء إلى زعيم سياسي.. إلى تهديد بالإبادة الجماعية.. هذا الانتحار الجماعي ترتكبه الفئران في النرويج عندما تتجه مئات الألوف إلى بحر الشمال مرة كل سنة.. وكذلك الطيور في مملكة نيبال عندما تلقي بنفسها في النار كل سنة.

فإذا كانت هذه الكائنات بغريزتها تقوم بتوازن للبيئة.. فإننا بالعقل نقتل العقل والقلب والأمل. ولابد أن نتوقف وألا نسكت لحظة عن تكرار هذا الرجاء!

قليلـون قــرأوا

قليلون هم الذين قرأوا خريطة الطريق إلى السلام التي تقدمت بها اللجنة الرباعية: الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا.. ولو قرأوها مرة واحدة لوجدوا أن العفريت لا يفهمها، وإذا فهمها فلن يستطيع أن يحلها.. وإذا حلها فسوف يجد 14 اعتراضًا إسرائيليًّا.. كل واحد منها يدوخ العفريت أيضًا.. إذن كيف وافق عليها شارون وأبو مازن وبقية العرب؟

السبب أنهم يريدون أن يجلس شارون وأبو مازن.. وأن يتناقشا.. وأن يختلفا وأن يتفقا.. وفي هذه الأثناء يحدث انفجار أو اغتيال أو نرفزة.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك.. ويتشنج شارون وتهاجمه صحف المعارضة.. ويقرر التأجيل إلى أن يجف عرقه ودماء بعض الجنود والمدنيين الفلسطينيين.. وينشغل الرئيس بوش بالحملة الانتخابية بعد أن أبرأ ذمته حين أعلن مسئولية أمريكا ومسئوليته هو شخصيًا عن خريطة الطريق إلى السلام والأمان في الشرق الأوسط، بسبب القضية الفلسطينية وخوفًا من تفاقم المشكلة العراقية..

وأقل من القليل هم الذين قرأوا التحفظات الإسرائيلية.. أول مشكلة فهي أن هذه التحفظات لم يعلنها شارون ولا مكتبه، وإنما نشرتها

إحدى الصحف الإسرائيلية من عندها.. ولم ينكرها شارون وفي الوقت نفسه أمامه فرصة كبيرة ليقول إنها صحيحة أو إنها ليست صحيحة. وقد وعدت إسرائيل بأنها سوف تفتح أبواب السجون وفتح الحدود للعمال.. وسوف تغرق الأسواق بالبضائع.. أما مساعدات الدول الأخرى لفلسطين فيجب أن تودع باسم وزارة المالية الفلسطينية وحدها.. فإذا حدث أن ظهر دولار في حساب أي إنسان آخر، فهذه مخالفة وهذا عدوان: امسكوا الحرامي الإرهابي الذي يريد أن يدمر إسرائيل ويلغم الطريق إلى خريطة الطريق!!

المشكلة الآن: ليست خريطة الطريق.. وإنما الطريق إلى خريطة الطريق.. وربنا يسهل.. وسوف نرى العجب العجاب حتى سنة 2005 أو قبل ذلك بسنتين!

كلـه كـذب!

أول عقبة في (قمة العقبة) أن أحدًا لا يصدق أحدًا...

شارون يرى (أبو مازن) لن يعمل شيئًا، لأنه لا يلقى تأييدًا من كل الفصائل الفلسطينية..

أبو مازن لا يصدق شارون لأنه لن يفعل شيئًا. فما أعلنه كان تهويشًا للرئيس بوش الذي لا يعرف الفرق بين مستوطنة قد بنيت على أرض فلسطينية من سنوات ومستوطنة قد أقامها اليهود دون موافقة كتابية على أرض فلسطينية.

وشارون وأبو مازن على يقين من أن الصورة الحقيقية لا يعرفها الرئيس بوش. وأنه أعلن وقال وأمر وذهب. وترك القضية كلها لوزير خارجيته وعدد من المستشارين. وسوف يتفرغ للكونجرس الذي يسأل عن أسلحة الدمار الشامل التي من أجلها كانت الحرب على العراق.. وفي مجلس العموم البريطاني يواجه توني بلير حملة معارضة عنيفة تسأل عن المعلومات المضللة التي تلقاها من المخابرات.. أو المعلومات الصحيحة التي حورها إرضاء للرئيس بوش..

والعقبة الثانية لقمة العقبة: من الذي يبدأ بوقف النار؟.. بوقف الحجارة؟ لا أحد قال إنه سوف يكون البادئ. فلم يحدد يوم أو ساعة

لفتح خريطة الطريق إلى السلام.أبو مازن يقول: السلام أولًا والأمن ثانيًا.. وشارون يقول: الأمن أولًا والسلام ثانيًا..

والرئيس بوش التفت إلى (أبو مازن) وابتسم وإلى شارون وابتسم، وبابتسامة (الموناليزا) الشهيرة تم تتويج قمة العقبة أو عقبة القمة!.

وبدأت الشكوك في كل النيات.. وأعلنت بعض الفصائل الفلسطينية أنها شبعت من مثل هذا الكلام المعسول، ولم يشربوا إلا المر خمسين عامًا.. فخريطة الطريق لم تقل شيئًا عن (الدولة) الفلسطينية.. ولا عن تكوينها ولا عاصمتها ولا حدودها. وإنما الخريطة هي خطة سياسية لحرب بين الفصائل الفلسطينية ليبقى كل شيء على ما هو عليه وأسوأ!.

أشفقت عليها..

السيدة رولا خرسا.. لم يكن استقبالنا لها مشجعًا، فالاسم غريب والوجه أيضًا، ولابد أننا تساءلنا من أي كوكب هبطت علينا هذه المذيعة الجادة، وفجأة ظهر اسمها ثلاثيًّا: رولا مصطفى خرسا. واعتدنا على الوجه والصوت والأداء الجاد والأسلوب الممتع في عرض قضاياها السياسية والاجتماعية، إذن هي تدربت طويلًا، ولكن لا نعرف أين. المهم أنها جاءت جاهزة، ولم تتدرب فينا فتخطئ مرة في النحو ومرة في الصرف ومرات في النطق، فيقال: إنه دلع بنات أن تنطق الضاد كالدال والثاء مثل السين.. إلخ.

ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث على لسان السيدة المحترمة رولا خرسا.. وقد قدمت لنا كثيرًا من القضايا الصعبة والمعقدة. ويشفع لها عندنا أنها درست وفهمت، وجاءت لتقول لنا كلامًا سهلًا مفهومًا، وهي على رأس فريق من الباحثين يعملون معًا في انسجام، والصورة النهائية تؤكد ذلك.

وأدهشني في إحدى المرات أن تخوض في قضايا دينية، وكل القضايا الدينية في بلادنا شائكة، ويضيق بها الناس متشددون ومتحررون. فمن الصعب إرضاء أحد. والنتيجة المؤكدة عادة هي إغضاب الجميع. ولذلك فالسلامة ألا تقترب من حقول الألغام، ولكنها

حاولت واقتربت وأشارت من قريب ومن بعيد. وأشفقت عليها. وتمنيت ألا تعود.

وناقشتها في إحدى المرات، ووجدت أنها على دراية تامة بحساسية هذه القضايا، ولذلك اكتفت بالقدر الذي يجعلها محترمة: لم تخف عندما اقتربت، ولا ندمت عندما ابتعدت!

وعلمت أخيرًا أنها وفريقها يريدون أن يذهبوا إلى العراق، وأن يكون لهم حوار مع الفئات المتنافرة هناك، ولا أعرف إن كان أحد هناك يوافق على ذلك. أو أحد هنا. فالنار ما تزال مشتعلة على الأرض وبين الناس. والسلاح لا يزال في الأيدي وعلى الأكتاف. والكل يا قاتل يا مقتول. وإن كان لا خوف على السيدة رولا خرسا، فقد تدربت طويلًا وكثيرًا، والفائدة لنا ذهبت أو لم تذهب!

مؤمن قوي
غني جدًّا

الضيف الكريم جورج بوش رئيس أمريكا ورئيس كوكب الأرض.. أهلًا بك في وطنك الثاني: الشرق الأوسط من اليابان إلى أفغانستان إلى أوزبكستان ومش عارف فين كمان.

سيادة الرئيس.. أنت رجل مؤمن تاب الله عليك وهداك.. فأنت تصلي قبل الأكل وبعده.. وقبل انعقاد مجلس الوزراء.. لذلك فأنت تحترم الناس المؤمنين.. وأنت مؤمن قوي جدًّا.. غني جدًّا.. ونحن مؤمنون فقراء.. وإن كنا جميعًا سواء أمام الله.. وأنت يا سيادة الرئيس وعدت بالسلام.. وقلت في حديثك للتليفزيون المصري: الكل يعرف متى وعد جورج بوش فلابد أن يفي بما وعد.. ونحن نحمد الله أن قيض للستة آلاف مليون نسمة من يبشرهم بالخير والعدل والأمان والرخاء.. أطال الله عمرك.. وأمد في رئاستك مادمت تريد خير البشرية.. ونصرك الله على الأشرار الأقوياء.. فأنت تعرف يا سيادة الرئيس أن الخير ولد غريبًا وعاش غريبًا بين الناس وسوف يعود كما بدأ.. ففي القرون الثلاثين الماضية لم تعرف الإنسانية السلام إلا 125 عامًا.. هكذا قال مواطنك العظيم ول ديورانت.. فمن يدري ربما تحقق السلام على يديك وبين يديك.. وكثيرًا ما وضع الله سره في أضعف خلقه.. إلا هذه المرة.. فقد وضع سره في أقوى وأغنى مخلوقاته: أنت يا سيادة الرئيس.

طابت إقامتك يا سيادة الرئيس في شرم الشيخ التي تذكرك بشواطئ فلوريدا وكاليفورنيا.. وهذه الشواطئ من صنع السلام.. فلولا السلام ما أزهـرت ولا أثمرت.. فأنت لا تعرف يا سيادة الرئيس أن سيناء هذه كانت خرابًا يبابًا.. وكما نشر السلام الحياة في الرمال.. سوف يفعل ذلك في الجولان وفي الضفة والقطاع.. ثم هناك شيء أخير أعمق ولذلك لا يمكن رؤيته يا سيادة الرئيس: إنه الشعور بالأمان والاطمئنان والنظر إلى المستقبل المشرق بعد أن تعبنا من التلفت في قرف وكراهية إلى ماضينا القريب.

وفقك الله يا سيادة الرئيس وجعل صوتك ملائكيًا كونيًا وأنت تقول: المجد لله في الأعالي وبالناس المحبة وعلى الأرض السلام.. ورحمة الله وبركاته!

انظروا
إلى السودان

اقرأ الصحف وراجع نشرات الأخبار فماذا تجد.. أو ما الذي لا تجد؟ ولا كلمة عن السودان. إن السودان أهم وأخطر على حاضرنا ومستقبلنا من أية قضية على الساحة وفي الندوات التليفزيونية.. صحيح أن السودان شديد الحرارة، وليست فيه الفرفشة التي من الممكن أن تجدها في أي بلد عربي آخر. ولكن السودان أغلى علينا من كل هذه الدول. يجب أن نذهب من جديد. وأن نعرف. وأن نفهم. وأن نتفق على مصادر الحياة. ومن المؤكد أننا لا نريد أرضًا سودانية، ولا هم يريدون أرضًا مصرية.. ولا عندنا أحلام إمبراطورية. فليس على رأس مصر الخديو إسماعيل.. ولا الإنجليز هم أصحاب الحل والربط والرأي والرأي الآخر. فنحن سادة أرضنا ومصرنا.. والسودانيون سادة على أرضهم أشقاء لنا. وعندهم مشكلات. هذه المشكلات لها أثر عميق علينا.نفرض مثلا: أن السودان قد انقسم نصفين: الشمال العربي والجنوب الزنجي. وأقول نفرض. مع أن هذا الفرض ليس بعيدًا. فالشركات البترولية والتبشير الفاتيكاني والأمريكي على أشده في السودان الجنوبي. وكذلك تهجير أهل الجنوب إلى أمريكا وأستراليا وكندا وتعليمهم ثم إعادتهم إلى السودان تمهيدًا لما سوف يحدث بعد ذلك ـ قريبًا أو بعيدًا. نفرض أن

هذا كله حدث. فما هو الموقف المصري ـ ليس هذا العام ولا الأعوام العشرة القادمة...

إن السودان الجنوبي يستطيع أن (يقرف) السودان الشمالي الذي سوف (ينكد) على مصر.. الموضوع هو: المياه.. الماء العذب الذي يجيء 80٪ من إثيوبيا والباقي من أنهار السودان الشمالي وبحيرات السودان الجنوبي ومستنقعات جونجلي التي يتبخر منها مليارات الأمتار من الماء.. وإذا ظهر البترول ـ وسوف يظهر!.

ومشكلات أخرى تتولد الآن وتنمو وتكبر بعيدًا عن الأضواء.. وتساعد الشركات العالمية والفاتيكان والأمريكان على تعميق الصدع بين الشمال والجنوب والسودان ومصر ـ وأنت ولا أنت هنا!

إنـــه
المـــلل!

أمام المحاكم الفرنسية مائة من الشبان الذين يلوثون الجدران بعبارات عدائية.. ويلوثون عربات المترو والإعلانات على الجدران وفي دورات المياه بحماس شديد وإصرار، سرًا وعلنًا..

قـال هـؤلاء الشبان إنـهم يتظاهرون ضد الإعـلانـات.. ضد اقتصاديات السوق.. ضد العولمة والرأسمالية وضد الاستغلال الجنسي للمرأة في الإعلانات العارية.. وقد رأت المحكمة أن هؤلاء الشبان على حق. وأن من حقهم التعبير عن آرائهم لولا أنهم يفسدون الإعلانات ويلوثون الجدران - وهذه هي غلطتهم التي سوف يحاكمون بسببها!

ورأت المحكمـة أن موقـف هـؤلاء الشبان وأكثرهـم شيوعيـون أو متدينون متطرفون: سليم. وأنه موقف سلمي فهم لم يلجأوا إلى العنف في اعتراضهم على هذه الإعلانات شكلًا ومعنى. وفي استفتاء عام لوحظ أن واحدًا من كل ثمانية أشخاص في فرنسا يعترض على هذه الإعلانات. وأنهم من الطلبة ومن العاطلين والفنانين وعمال النظافة والمشتغلين بالآثار.

وفي دراسة نفسية لسلوكيات هؤلاء الشبان رأى د.جيل فرانسوا أستاذ علم النفس: أن الملل والقرف قد دفع هؤلاء الشبان الصغار إلى

الاعتراض وإلى أن ينضموا في مظاهرة صامتة يصرخون ويلعنون ثم لا يذهبون إلى أبعد من ذلك.. وشكواهم أيضًا أنهم لا يجدون أحدًا يتحاورون معه. ولذلك يقولون ويسخطون وحدهم.. وكان في استطاعتهم أن يوزعوا منشورات، ولكنهم وجدوا أن الجدران أقوى وأبقى وأكثر تحديًا!

أما العبارات العارية والألفاظ النابية التي يكتبونها في دورات المياه فهي مستوحاة من لحظات التعري التي يمارسها كل من يدخل دورات المياه.

والمعنى: أنها ممارسة للحريات الصغيرة وتجريح لأشخاص في حياتهم هم. ونقد للأسرة وللمؤسسات الدينية والرأسمالية وبيوت الدعارة. وفي ذلك تفريغ عن النفس. ليس إلا!

ولا عقوبة على هذه العبارات وإنما عن تشويه الجدران والعبث بالإعلانات والشوشرة البصرية..

جـــورب
مــن البــن!

إذا قلت: إن النـاس زاد وزنهم، رجـالا ونسـاء في مصر، فسوف تجد ردًا عليك: أن زيـادة الـوزن والبدانة هـي من أمراض العصر. فهذه شكوى عامة في كل الدنيا. ويقولون: من نقصت أوزانـهـم طالت أعمـارهم. أو بـالمعنى الشعبي عندنا والذي يقـال عن السفن: خففها لتعوم.. أي لكي تعوم حـاول أن تـخفف حمولتها. وكذلك يصبح القلب سليمًا قويًا، إذا كان الجسم رشيقًا.. وكان بقراط الحكيم يقول: الجوع لا يقتل.. التخمة تقتل..

والعلاج تقليدي: قليل من الطعام مع كثير من الريـاضة.. قليل من الطعام الغارق في الدهون والسكريات والنشويات، وبعض الحركة داخـل البيت أو في الشارع أو في الأنـديـة. وأن هذه الاحتياطات البسيطة جدًا تكفي لإنقاذك من ويلات السمنة التي توجع الركبتين والعمود الفقري والعنق وتنقذك من السكر والضغط...

ويرى الأطباء أيضًا أن الطب البديل علاج. مثل الوخز بـالإبر على الطريقة الصينية وتعليق حلقات ودبابيس في الأذن... وهنـاك من يرى وضـع بـالونـات في المعدة..هذه البـالونـات تعطي لصاحبها شعورًا كاذبًا بـالامتلاء فيكف عن الطعـام. وهنـاك العقاقير الكيميائية التي تسد النفس وتصد الشهية وتقلل ساعات النوم.

أما الجديد فهو الذي قدمته شركة (بالمرز) النمساوية.. فقد اخترعت جوربًا مخلوطًا بمادة الكافيين الموجودة في الشاي والبن. هذه المادة إذا التصقت بالجلد فإنها تذوب وتدخل البشرة وتساعد على سرعة عمليات الهدم في الجسم مما يؤدي إلى استهلاك سعرات حرارية.. والنتيجة نقص الدهون والوزن. وهذه الجوارب يمكن غسلها واستخدامها عدة مرات.. وقد أجريت قبل ذلك تجارب كثيرة على مواد أخرى تعجل بعمليات الهدم في الخلايا..

وكانت النتيجة نقص الوزن. ومما لاحظه الأطباء على هذه الجوارب هو أن امتصاص مادة الكافيين في الدم مباشرة لا يؤدي إلى زيادة ضربات القلب أو الأرق.. ولم يتقدم أحد بشكوى ضد هذا الاختراع الدقيق. جرب.. جربي لكي يطول عمرك!

السفينتـــان:

بيجـــل

سفينتان اسمهما: بيجل.. واحدة في السماء والثانية في البحر. التي في السماء أضاعت على مؤسسة الفضاء الأوروبية مئات ملايين الجنيهات. لأنها فقدت النطق فكانت أكبر فشل علمي. بينما الأمريكان أطلقوا سفينتين إلى كوكب المريخ لا تكفان عن الكلام والصور والتحاليل والأرقام. المعمل الفضائي الأوروبي اسمه (بيجل) تيمنًا باسم السفينة التي كان على ظهرها العالم البريطاني الكبير تشارلز دارون. ودار بها حول أمريكا وحول العالم يجمع المعلومات والعينات عن الحياة البحرية والبرية والنباتية. ومن جزر جالا باجوس بالذات استمد المادة الأولية لنظريته الثورية في تطور الكائنات الحية والتي تعتمد على مبدأ أن البقاء للأصلح.. للأقوى.. والأقدر على التكيف مع البيئة أو مقاومتها أو العلو عليها.

وكانت رحلة العالم الكبير دارون فيما بين 1831 و1836.. وكانت السفينة (بيجل) وهو اسم نوع من الكلاب الإنجليزية الجميلة البارعة في صيد الأرانب. وكان طول السفينة 100 قدم وحمولتها 235 طنًّا ولها شراعان وعليها عشرة مدافع صغيرة. وهذه السفينة الصغيرة كان عليها زحام من البحارة والصبيان عددهم 54. ولذلك كان دارون يقوم بعمله اليومي على مكتب فوق ظهر السفينة أو غرفة القيادة.

وكان داروين ينام حيث يعمل. وفي إحدى المرات غلبه النوم فلم يجد ورقة واحدة من التي سهر فيها الليالي الطويلة. لقد أطاح بها الهواء وابتلعها المحيط. فكان عليه أن يكتبها من جديد.. كتبها أربع مرات.. وهذا ما حكاه في مذكراته الشخصية التي وجهها لأحفاده. ولم يقصد بها أن تكون لعامة القراء!

وإذا كانت السفينة بيجل التي استقلها داروين والتي وجدوا بقاياها أخيرًا تحت الماء قد دخلت التاريخ واكتسحت الكثير من الخرافات الدينية والأفكار المتخلفة حتى أثار الدنيا كلها عليه، فإن السفينة (بيجل 2) قد أصابت العلماء بالإحباط الشديد.. فلم تنطق بكلمة واحدة عما تشاهده في المريخ وإنما ابتلعها الكلام والبرودة والفضاء الخارجي.. ولأن العلماء لا يؤمنون بالفشل فسوف يرسلون (بيجل 3) ليستأنفوا فوق ما اكتشفه داروين تحت...

فــي المريــخ:

مــــــاء..

مبروك.. أصبحنا عشرة، فقد اكتشف علماء الفلك كوكبًا عاشرًا في مجموعتنا الشمسية. هذا الكوكب كتلة من الجليد، 240 درجة تحت الصفر، ويبعد عن الشمس ستة آلاف مليون ميل، ويدور حولها مرة كل عشرة آلاف سنة، فما رأيك؟ الجواب: ولا حاجة، ولكن العلماء قد شبعوا أحضانًا وقبلات ولم يشبعوا شمبانيا، فقد كان اليقين عندهم أنه لا توجد في المجموعة الشمسية كواكب أخرى، وإنما ما لا نهاية له من الأحجار والتراب والجليد، والزبالة الكونية، وكلها بقايا وفتافيت الانفجار الكوني الكبير الذي تناثرت شظاياه من 14 ألف مليون سنة فكانت كل هذه الأجسام التي نراها فوقنا وتتحرك بسرعة إلى حيث لا نعرف، ومن حيث لا نعرف..

أما الكواكب التسعة فهي عطارد، ويبعد عن الشمس 36 مليون ميل، والزهــرة تبعـد عـن الشمــس 67 مليونًا، والأرض تبعـد 93 مليونًا، والمريخ يبعد 142 مليونًا، والمشتري يبعد 484 مليونًا، وزحل يبعد 887 مليونًا، وأورانوس يبعد 1800 مليون، وبلوتو يبعد 3600 مليون، وكان آخر العنقود عندما اكتشفوه سنة 1930.

والكوكب الجديد سموه (سدنا) نسبة إلى آلهة المخلوقات الجليدية، ويبلغ قطره ما بين 800 إلى 1100 ميل، وكان العلماء قد رصدوه في

نوفمبر الماضي، ولو أرسلنا إليه إحدى سفن الفضاء لبلغته بعد 50 عامًا، ويتوقع العلماء أن يبدو هذا الكوكب أكثر وضوحًا في الأعوام السبعين المقبلة، وربما كان له قمر.

وعلماء الفلك في كل مكان سعداء بهذا الاكتشاف، وفي الوقت نفسه لا يخفون شعورهم بالخجل، فقد كانوا يعتقدون أنه لا توجد كواكب أخرى في أسرة الشمس، ولذلك من الواجب أن يتواضعوا قليلًا، فلا أول ولا آخر لهذا الكون، وكل معلوماتنا ضئيلة جدًا، ولكن لا نستطيع أن نمنعهم من هذه السعادة التي غمرتهم. تمامًا كسعادة طفل وجد زلطة حمراء في الساحل الشمالي، أو رأس دبوس يلمع في الصحراء الغربية، وبمناسبة الدبوس فإن الشمس تبدو من فوق هذا الكوكب أصغر من رأس الدبوس!

ففي الوقت الذي اكتشف فيه العلماء هذا الكوكب جاءت البشرى من أرض المريخ بأن المعملين الأمريكيين الصغيرين قد عثرا على ما يؤكد أنه كانت هناك مياه فوق، وتحت سطح المريخ، ومعنى ذلك أنه كانت هناك حياة، ومن المريخ جاءتنا هذه الحياة على الأرض.. وبس.. فهذه معلومات عامة وكأنك لا قرأت ولا سمعت.. وليس هذا رأي العلماء طبعًا..

لـــــولا
أنـــور الســادات!

بالروح بالدم احتفلت إسرائيل بمرور 25 عامًا على معاهدة السلام مع مصر ـ بروح الشيخ ياسين ودم الأبرياء على جانبي الحائط الفاصل بين المطالبين بحقهم وبين المعتدين عليهم. ويوم أعلن السادات أن حرب 73 هي آخر الحروب وقد أشهد العالم كله على ذلك فكان له ما تمنى. وفي مهرجانات الحفاوة العالمية بالسلام بين مصر وإسرائيل، لم يسمع الرئيس السادات ولا غيره ما يهمس به صهاينة إسرائيل.. إنها ليست آخر الحروب وإنما هي آخر معاهدات السلام.. ولكن خاب ظنهم حين تم السلام مع الأردن.. فعادوا يصرخون وهذه هي آخر معاهدة.. فلا هم يريدون السلام وكثير من العناصر الفلسطينية أيضًا ـ هذه العناصر المأجورة الخائنة هي التي تدل صواريخ إسرائيل على من الذي خرج في سيارة حمراء وعلي من الذي يبيت عند أصدقائه هاربًا من الجواسيس ومن الذي يصلي الفجر ومن الذي لا يصلي. كل هؤلاء معروفة خطواتهم، مسموعة همساتهم، مرصودة عائلاتهم.

ولولا أن السادات استرجع سيناء، وندم بيجين على ذلك حتى الموت، لاستطاع أي صهيوني أن يقف فوق جبل صهيون ويقول: الآن كملت النبوءة فإسرائيل تمتد الآن من النيل إلى الفرات!

الشيخ ياسين في ذمة الله. والباقي هموم ثقيلة جدًا على الذين سوف يخلفونه. وأنا لا أخاف على شعب فلسطين من إسرائيل، وإنما أخاف عليهم من أنفسهم.. من تمزقهم وتشرذمهم وراياتهم المختلفة وتوجهاتهم واتهاماتهم لبعضهم البعض. وأخاف عليهم مما سوف يحدث بعد غياب ياسر عرفات الذي تأخر كثيرًا. فياسر عرفات مسئول عن تعويق المسيرة وتعقيدها والانفراد بالسلطة قادرًا وعاجزًا، سليمًا ومريضًا. فإذا ذهب عرفات فسوف نرى في فلسطين مائة معسكر كل واحد يتهم الآخر بالخيانة..

فإسرائيل التي تضم شعوبًا من سبعين دولة ولغة، أفلحت في أن توحد أهدافها وصواريخها ضد عدو واحد. ولكن أخاف على فلسطين أن تتجه أسلحتها إليها.. إلى قلوبها وعقولها وعيونها. فيكون شعبًا واحدًا ولكن قلوبه شتى.. أو يكون لا شعبًا ولا قلبًا واحدًا. فإذا حدث، فسوف يرضون بالقليل.. بفتات الطعام والحريات والكرامة ـ فلا أمجاد ولا عرب!

ولكنـــه
كالقـــطط

نحن نلاحظ ماذا يحدث للولد الوحيد إذا نشأ في أسرة كلها من البنات أو العكس. لابد أن تتغير سلوكيات وأسلوب الخطاب عنده. فالبيئة لها دور قوي.. ونحن نولد عراة لا اسم ولا دين ولا لغة ولا طبقة لنا. نحن نولد في ظروف سبقتنا إلى الوجود. هذه الظروف هذه البيئة هي التي تعطينا ملامحنا. نقبلها أو نرفضها بعد ذلك.. وفي التاريخ قصص حقيقية وخرافية عن أطفال خرجوا من بيوتهم أو هجرتهم أمهاتهم فانضموا دون وعي إلى مجتمعات الذئاب. فهناك أكثر من حكاية عن أطفال أرضعتهم إناث الذئاب. فكان لهم سلوك الذئاب: كل منهم يعوي ويمشي على أربع ولا يأكل إلا اللحوم. وهناك أطفال أرضعتهم الغزلان فكان الإنسان الذئب والإنسان الغزال. وكانت هذه الحيوانات أرحم على الأطفال من أمهاتهم.. وفي بريطانيا ظهر فجأة الإنسان الأخضر.. أخ وأخت.. ولا يعرفان كلمة إنجليزية واحدة. ولا طريقة الكلام. ولكن فيهما صفات حيوانية. وعندما اعتقلوهما وحبسوهما وفرضوا عليهما الأكل والشرب الإنساني مرضا.. فقد غلبت عليهما البيئة الغريبة التي لا يعرفانها. حتى ماتا.. وفي الصحف البريطانية هذا الأسبوع كلب صغير. عاش ضمن بيئة من القطط. كان صغيرًا وحيدًا. وكانت القطط أغلبية وأقوى. صحيح أنه ينبح كالكلاب ولكنه يقفز ويصعد الأشجار ويبقى

فوق تمامًا كالقطط. وهو نموذج كيف تستطيع البيئة أن تحول سلوكيات الحيوان والإنسان.. تصلحه إن كانت صالحة وتفسده إن كانت فاسدة. والبيئة ليست البيت فقط وإنما المدرسة والشارع والمصنع.

هل يمكن إزالة العداء التقليدي بالمودة والمحبة.. هل الكراهية بين الأجناس صعبة أم إنها من صنع البيئة؟ ومادامت من صنع البيئة، فهي من صنعنا ويمكن غرس الود والسلام بدلا من العداء بين الكلاب والقطط وبين الناس والناس هذا أمل!

عش الدبابير

الرجل الطيب الرئيس كارتر. يصفونه بأنه أنجح رئيس سابق لأمريكا. فبعد خروجه من البيت الأبيض حاول أن يصلح ما بين شعوب 65 دولة، سافر وأقام وتناقش وصلى بالناس في الكنائس واستغفر وبكى. ليس تمثيلًا ولكنه رجل متدين. يرى أن العناية الإلهية قد أرسلته لسلام الشعوب.. وقد حقق السلام بين مصر وإسرائيل. ثم حاول ذلك بين شعوب أخرى فاستحق جائزة نوبل.

وهو أول رئيس أمريكي يؤلف رواية. الرواية عن حروب الاستقلال عن بريطانيا. والرواية اسمها (عش الدبابير). ويقول إن المؤرخين لم يفهموا أهمية حرب الاستقلال. بل أساءوا فهمها. وقد تعلم من هذه الحرب دروسًا يجب أن تستفيد منها الشعوب الأمريكية. أهم هذه الدروس: إن الحرب ليست ضرورية. وأن أمريكا يجب ألا تستخدم قوتها وعنفوانها السياسي والاقتصادي في القضاء على الأزمات.

ويرى كارتر أن حرب أمريكا على العراق لم تكن ضرورية وإنما قامت على أكاذيب أمريكية بريطانية. وأن خسائر أمريكا من هذه الحرب أعظم من غنائمها.

ولي حكاية مع الرئيس كارتر. فقد نشرت أن الرئيس السادات قد ألف كتابًا عن (السلام في الأديان) أهداه إلى المستشار الألماني

هلموت شميت. فلما جاء الرئيس كارتر إلى القاهرة سألني سكرتيره: لماذا أهداه إلى المستشار شميت مع أن الرئيس كارتر هو الذي كان شريكه في السلام!

والحقيقة أنني لم أعرف. وطلبت إليه أن يمهلني بعض الوقت لأبحث. وفجأة جاءني عميد المراسلين الأجانب فنتفور فسألني: المستشار شميت يسأل عن سبب هذا الإهداء ومتى فكر الرئيس في ذلك؟

ووجدت إجابات من عندي أنا. ولا أعرف إن كان أحد قد اقتنع بما أقول. وعلى كل حال: فالكتاب قد ضاع والإهداء أيضًا. ولا يزال الرئيس كارتر يدعو إلى السلام بين الناس وفي صلواته لعل وعسى!

حلـــوة
يــا بلـــدي..

حلوة يا بلدي أغنية المرحومة داليدا، وكانت تقصد بها مصر بلدها، أو بيتها في شارع شيكولاني بشبرا، ولو عاشت ورأت جمال مدينة المنصورة لأهدت هذه الأغنية لها.. أخيرًا.. ذهبت إلى بلدنا.. صارت أجمل.. أنظف.. أعلى وأوسع.. لقد كان ينافسني في عشقها محافظنا د. سعيد صوان الذي هو معشوقها أيضًا.. أينما ذهبت كانت حفلة تكريم لهذا الرجل الذي نظر تحت قدميه فأصلح الشارع، والرصيف، ووسع الميادين.. وأجمل ما بنى مكتبة مبارك.. أروع وأفخم مكتبة تحمل هذا الاسم، وأجمل من أي مكتبة، فهي المكتبة الوحيدة التي لها حديقة على النيل. وفجأة وجدت عددًا كثيرًا من الأندية الضخمة والفخمة على النيل..

أما الذي أسعدني أكثر فهو الحرم الجامعي الواسع الشاسع الأخضر.. والكليات الجديدة، والمعاهد، والأقسام، والمدينة الجامعية، والمطعم المركزي، وملتقى الطلاب الذي يشبه الحي اللاتيني في باريس.. ولا أريد أن أذكر شيئًا غريبًا أدهشني وأعجزني عن التفكير، وهو أن 99٪ من الفتيات الجميلات محجبات!

وفي شوارع المنصورة، وجدت الشوارع التي كنا نراها واسعة لا أول لها ولا آخر، ضيقة جدًّا.. يا خبر.. هل هذه هي السكة الجديدة..

ونحن أطفال كنا نراها أوسع من شارع الشانزليزيه في باريس، وكورفرتسندام في برلين، وفياناسيونالي في روما، وشارع إكسفورد في لندن، وكنزا في طوكيو.

وهذا ميدان موافي.. يا خبر.. لقد كنا نراه أوسع من ميدان الكونكورد.. ونحن صغار كانت الدنيا أكبر، ونحن كبار صارت الدنيا أصغر.. والحقيقة أنها لا صغيرة الآن، ولا كبيرة كما كانت، وإنما نحن في حاجة إلى وقت لتتخذ الأشياء أشكالها الحقيقية، وأحجامها، واتساعها، وألوانها..

جلست مع صديق العمر المستشار خالد حسونة نسأل عن زملاء الدراسة والطفولة، كلهم ذهبوا إلى أماكن بعيدة، وأكثرهم إلى العالم الآخر.. فإنا لله وإنا إليه راجعون..

وهذه المكتبة التي عندي شهادة من أمينها بأنني قرأت كل ما فيها من كتب.. صغيرة جدًّا.. فقد قامت بدلًا منها على النيل مكتبتان، وفي الجامعة مكتبة كبرى.. فلا يزال أبناء الدقهلية أكثر أبناء مصر ثقافة وحبًّا للمعرفة.

كان اليوم احتفال جامعة المنصورة بأحد نوابغ بلدنا وصاحب الشهرة العالمية د. فاروق الباز. ابن السنبلاوين. فاروق أستاذ الجيولوجيا وأحد الذين دربوا رواد الفضاء على النزول على سطح القمر. هو الذي حدد لهم المواقع العديدة. وهو أحد المؤمنين بأن التوسع الحقيقي المؤكد لمصر هو إلى الصحراء الغربية.. التي تجري من تحتها الأنهار. وفاروق الباز له نظرية أن الرمال الناعمة في الصحراء الغربية لا تذروها الرياح وإنما تحملها مياه الأنهار

الضخمة التي كانت تغطي هذه المنطقة من عشرين أو ثلاثين ألف سنة. والدليل على ذلك ـ كما قدمها لنا في شرائح ملونة ـ وجود رسومات وأبقار على الجدران ـ وهذه نقطة خلاف بيننا سوف أعود إليها فيما بعد..

وفي مدرج السنهوري باشا الجميل جدًا بكليات الحقوق تبارى رئيس الجامعة د. أحمد جمال الدين موسى وهو من الدقهلية أيضًا ود. فتحي عبدالقادر عامر عميد كلية العلوم ود. مفيد شهاب وزير التعليم العالي في الحديث عن صفات فاروق الباز ودوره العلمي وأبحاثه. وكلهم يشتركون في صفة واحدة. أنه ممكن جدًا أن يكون الإنسان عالمًا جليلًا وعلى خلق كريم ـ كذلك رأوا فاروق الباز..

وأجمعوا على أنه على الرغم من أنه يرأس معهدًا أمريكيًا عظيمًا، فهو لا يغيب عن مصر ولا تغيب عنه. وهو مشغول بها وشغوف أيضًا. وهو لا يتوقف عن الإشارة والإشادة بكنوز الصحراء الغربية التي سبقنا إليها الفراعنة، وعرفوا ما فيها من أحجار كريمة ومعادن.

ويندهش فاروق الباز كيف استطاعوا ذلك برغم وعورة الطريق وجفاف الرمال. كيف اهتدوا إلى هذه الأماكن ولم يكن عندهم الأدوات العلمية المتطورة جدًا. إن هذا دليل على عبقرية الفراعنة وعلى كسلنا وتخاذلنا وتقاعسنا ونكوصنا.. فما من طريق شققناه إلا كان الفراعنة أسبق منا إليه. ومن رأي فاروق الباز أن جهودهم لم تضع.. ففي وسعنا أن نذهب إلى أبعد وأعمق. وأن نضيف الكثير إلى ما اكتشفوا وأفادوا واستفادوا ـ ياللا شد حيلكم يا شباب الفراعنة..

هل الكلام عن مياه النيل، وإسراف مصر في استهلاكه، وصرخات دول المصادر المائية ـ كل ذلك سابق لأوانه؟ وإذا كان سابقًا لأوانه فمتى هذا الأوان؟ أو هل الكلام عن مياه النيل ينبه دول حوض النيل إلى مخاوف موجودة في خيالنا؟

إن أي وقت هو أوان الكلام عن ماء النيل ونقص مياه النيل..

أو نقص المياه في إفريقيا. ولابد من مواجهة هذه المشكلة. أولًا بأن نتعلم في مصر كيف نستهلك المياه..فلا يوجد بيت ليست به حنفية محتاجة إلى جلدة.. ولا يوجد بيت ليس فيه (سيفون) يصفر ليلًا ونهارًا.. ولا يوجد حقل ليست به قناة مفتوحة من الغروب للشروق فتنساب المياه من الأرض الصغيرة إلى المصارف. وقد أثبت خبراء إسرائيل أن مياه المصارف عندنا صالحة للري. وأن نسبة الملوحة فيها مقبولة. وإنما يمكن (تدوير) هذه المياه واستخدامها في الري مرة أخرى!!

وهل نحن عندما نهون من وقع التهديدات الإفريقية والمطامع الليبية، نؤجل هذه القضية؟ هل الكلام عن مياه النيل يمنع من البحث عن مصادر أخرى للماء.. سواء كانت آبارًا، أو تحلية لمياه البحر.. هل الكلام عن مشروعات إسرائيلية عند الدول التي تعتبر إسرائيل صديقة لها مثل إثيوبيا وأريتريا وغيرهما من دول حوض النيل مجرد

تخاريف. وإذا كانت فنحن في حاجة إلى من يؤكد لنا أن مخاوفنا في غير محلها..

ورغم احترامي للسيد وزير المياه د. أبو زيد، فكلماته وعباراته يكاد يكون معناها: بلاش السيرة دي.. لا داعي لفتح أبواب جهنم علينا.. ولكن هذه الأبواب جاهزة ويمكن فتحها بالقوة في أي وقت. وكل المطلوب هو مناقشة بالعقل لتبرير وتفسير هذه المخاوف أو القضاء على هذه الخرافات ـ إن كانت!

أحبوا أعداءكم

رأيت فيلم (آلام المسيح) مرتين. في المرة الأولى لم أستطع قراءة الترجمة الإنجليزية. فالحروف صغيرة سريعة الاختفاء. فاليهود والمسيح يتكلمون الآرامية والرومان يتكلمون اللاتينية. وفي المرة الثانية تمكنت من قراءة الترجمة. وأيقنت أنك تستطيع أن تتابع الفيلم دون حاجة إلى الترجمة.

فالقصة معروفة. والصورة هي البطل الحقيقي للفيلم.. والمسيح لم يفعل شيئًا سوى أن يتعذب بصورة بطولية وأن يظل يئن أكثر من ساعة ونصف ساعة. ولا تملك إلا أن تتساءل: ولماذا يكره اليهود المسيح كل هذه الكراهية المريضة..؟ حتى أطفال اليهود لماذا هم أشرار شياطين..؟ ثم لماذا يحرص الرومان على تعذيبه حتى يدقوا المسامير في يديه ورجليه..؟ ولكي يتأكدوا أنه مات يدقون الرماح في بطنه ـ فيما عدا الحاكم بيلاطس وزوجته.. صعب أن يحتمل هذا التعذيب المستمر أحد من المؤمنات أو المؤمنين.

لقد ظهرت أفلام كثيرة عن السيد المسيح مثل (بن هور) سنة 1907 وسنة 1925 .ورأيته أنا في (المسرح المصري) في هوليوود سنة 1959 وظهر فيلم (ملك الملوك) وفيلم (علامة الصليب) و(الإغواء الأخير للمسيح) و(الإيمان كما جاء في إنجيل متى) و(المسيح سوبر). ولكن

فيلم (آلام المسيح) سيتفوق على الجميع في جمال الصورة وشاعريتها الموجعة وهذه الجرعة الهائلة من العذاب الدامي والدموي أيضًا.

والسيدة مريم العذراء أم السيد المسيح وكذلك مريم المجدلية، لم تفعلا شيئًا سوى البكاء الصامت.. ولا أعرف إن كان قد جاء في الأناجيل إنهما كانتا تمسحان دماء المسيح التي أغرقت الأرض..

إن (طريق الآلام) الذي حمل فيه المسيح صليبه إلى قمة جبل الجلجثة.. لم يكن طريقًا تعذب فيه المسيح وحده، وإنما يتعذب فيه اليوم ملايين المسيحيين وغير المسيحيين الذين رأوا وسوف يرون هذه السيرة السوداء من العذاب والظلم والكراهية والشماتة والمتعة المرضية.

وعلى لسان السيد المسيح يقول: أحبوا أعداءكم.. ثم إنه يطلب لأعدائه المغفرة من الله.. ويقول: اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون..

وعلى الرغم من أن المخرج جيم جيسون حاول أن يضيء هذا السواد بلحظات من الطفولة السعيدة للمسيح إلا أنها لم تستغرق إلا لمحات رأينا فيها السيد المسيح طفلًا على صدر أمه.. ولكن بقية الفيلم أسود في أزرق في أحمر.. دم المسيح وعيون الباكين عليه في الفيلم وفي دور السينما.

محافظة المنصورة

لما أحس أبناء الدقهلية بالفخر وبأنهم كبروا.. بلادهم اتسعت وعقولهم وقلوبهم.. حتى ما في جيوبهم يتبرعون به للمستشفيات والكليات.. ملايين الجنيهات كل عام، رأى بعضهم أن كلمة (الدقهلية) أصبحت كلمة غير لائقة.. فلماذا لا تكون محافظة الدقهلية هي محافظة المنصورة... تمامًا كمحافظات أسيوط والإسكندرية والقاهرة والجيزة ودمياط ومطروح وسيناء. بدلًا من أن تكون نسبة إلى قرية مجهولة في محافظة دمياط اسمها (دقهلة). إنها فكرة! ولكن لا أرى هذا الرأي. فهو اسم تاريخي.. ونحن لنا أسماء لم تعد موضة أو شياكة ولكنها أسماؤنا.. نفرض أن واحدًا اسمه بسطويسي أو صابونجي أو الزفتاوي هناك أسماء ألطف. ولكن هذا هو اسمه.. ففي أمريكا مثلًا ولايات لها أسماء لا هي إنجليزية ولا فرنسية وإنما من لغة الهنود الحمر. وبعضها أسماء يصعب نطقها. ولكنهم حريصون عليها لأن لها خلفية تاريخية. وكذلك عندنا في الصعيد أسماء فرعونية. لا يهم الاسم. وإنما التاريخ هو الذي يهم.. إن بلدنا استطاعت أن تحقق الكثير من أحلام وخيال أبنائها من الشعراء والعلماء باسمها القديم. ونفرض أننا جعلنا اسم المحافظة هو المنصورة، وشاءت أجيال أخرى أن تسميها محافظة الورد أو محافظة شجرة الدر، فتتغير اسمها من جيل إلى جيل.. هل يكون هذا أفضل؟

لا أرى هذا الرأي وأنا لا أجد صعوبة في أن أقول إنني دقهلاوي.. وأجد أن هذه الكلمة أخف وأكثر موسيقية من منصوري وخصوصًا إذا كان مذهبي الكروي أهلاويًّا! إن في المنصورة حديقة صغيرة اسمها (شجرة الدر) ..وشجرة الدر هي الملكة الأرمنية التي حكمت مصر 88 يومًا أثناء مرض زوجها وموته.. وهي التي قتلته بالقباقيب، وجاءت زوجته الست (أم علي) فقتلت شجرة الدر بالقباقيب وألقت بها في الشارع واحتفلت بذلك بأن أكلت اللبن بالسكر بالخبز ووضعت فيه حلمتي ثدييها ـ وهي الأكلة المصرية المعروفة باسم (أم علي)؟ شجرة الدر هذه تحتاج إلى تمثال لها في أحد ميادين المنصورة ـ لا لأنها قتلت الملك ولا لأن (ضرتها) انتقمت منها ـ ولكن لأنها شخصية تاريخية!

عـن حيوانـــات
تجــــارب

أعـود إلـى حكايات الحيوانات التي عثر عليها د.فـاروق الباز مرسومة على الأحجار.. أبقار وجواميس وغزلان.. واستنتج من ذلك أنه كانت هناك حياة زراعية في هذه المناطق النائية.. كانت أنهارًا ومزارع وغابات. ومن الممكن أن نعيد إليها الحياة.. حياتها وحياتنا أيضًا..

ولي رأي مختلف منذ أربعين عامًا. وقد نشرت ذلك في كتابين: الذين هبطوا من السماء.. والذين عادوا إلى السماء.. والرأي هو أن هناك رسومات بارزة ملونة على جدران كهوف تسيلي في منطقة جبارين بليبيا. وقد وعدني الأستاذ أحمد قذاف الدم بأن ييسر لي الذهاب إلى هذه المنطقة الصحراوية الموحشة.

ومع هذه الرسومات شيء آخر غير عادي تمامًا: وهو وجود أناس يرتدون ملابس رواد الفضاء بوضوح شديد.. وقد وضعوا على رؤوسهم خوذات شفافة وأمامهم لوحات تشبه الموجودة أمام الطيارين.. كأنهم يقودون طائرة أو سفينة فضاء. ولا يوجد أي تفسير علمي لهذه الصور الغريبة!..

أما التفسير الذي اختاره عدد من الباحثين كالباحث السويسري الألماني (فون دنيكن) فإنه يعتقد أن كائنات من كواكب أخرى قد

هبطت في هذه المنطقة من ثلاثين ألف سنة أو أكثر. ولا يعرف لماذا؟ ثم عادت إلى حيث لم نعرف حتى الآن ولسبب لا ندريه أيضًا.

وفي أماكن مختلفة من العالم أشياء أخرى تدل على هذه الكائنات.. في الهند والصين وتركيا وجنوب فرنسا وفي بيرو وفي مصر الفرعونية.. وفي أوقات متقاربة!

يبقى سؤال آخر نضعه ولكن لا نعرف كيف نجيب عنه الآن وربما استطعنا في سنوات قادمة. السؤال هو: ومن أين جاءت هذه الكائنات؟ إن أقرب مجموعة بها كواكب مثل كوكبنا تبعد عنا ألوف السنين الضوئية. فلماذا يقطعون ـ وكيف ـ هذه المسافة الهائلة ليتركوا هذه الرسوم؟ وبس؟! ألوف السنين وألوف ملايين الكيلو مترات فقط لمشاهدة صحارينا؟

هناك إجابة ساخرة: وهي لماذا لا تكون الأرض والإنسان معملًا لتجارب تقوم بها كائنات أكثر تطورًا.. يعني إننا مثل قطط وفئران وأرانب المعامل..

إنها إجابة مؤقتة.. أملًا في أن نجد الإجابة الحقيقية بعد مئات أو ألوف السنين!

الجميـــع يحسدونهـــم

يسمونها في اليابان «الركشا»، وفي الهند وإندونيسيا يسمونها «البيتشا»، وفـي مدينة نبروه (دقهلية) يسمونها التوكتك، وهي موتوسيكل بثلاث عجلات. ذهبت مع الصديق حسين حويدق – أحد أمراء مملكة حويدق التي احتكرت صناعة الفندقة في مصر رجالًا ونساء، فلهم في المنصورة والقاهرة عشرة فنادق، وعميد الأسرة هو المحمدي حويدق الذي يملك أربع قرى سياحية في الغردقة.

وأنا الذي طلبت أن أرى مدينة نبروه لأول مرة.. وفي دماغي كلام كثير عن أخلاقيات أهلها: تجار شطار، ويلعبون بالعملات من كل لون. ويوجدون الأزمات المالية من حين إلى حين.. وهي أول مدينة منها لأوروبا وأمريكا دون أن تمر بالقاهرة.. كيف؟ هذه براعتهم.

ولـذلك فالمدن الأخـرى تحسدهم على الحرفنة، وعلى أنهم لا يعملون إلا معًا. ولهم طريقة محترمة وغير مألوفة.. فهم يتعاملون بكلمة الشرف، ولا ورقة مكتوبة بينهم. مثلا إذا وجدوا شبر أرض خاليًا في المنصورة فهم أسرع الناس إلى شراء هذه المساحة بأي ثمن.

ولم أر في ذلك سلوكًا غريبًا، إنما هي أصول التجارة الناجحة، جلسنا إلى أحد التجار، سألت وأجاب.. سألت فاستنكر تساؤلي. مع

أنني لا أتهمه وإنما فقط أريد أن أعرف.. هو لا يقول وأنا أتلفت أرى العمارات الجديدة الكثيرة والعالية والفخمة.. أي أن هناك أموالًا للبناء، وأموالًا للإيجار والشراء.. ولكن الذين قابلناهم في نبروه لا يكفون عن الشكوى.. الحال نايمة.. لا بيع ولا شراء في نبروه.. صح.. ولكنهم هم الذين يبيعون ويشترون في أماكن أخرى من مصر والخليج.

أخرجت من جيبي جنيهًا وأعطيته للمليونير، فأخذه ووضعه في جيبه.

فسألته: هل تعرف لماذا؟ فأجاب بسرعة: لا أسأل إنه رزق! ثم قبل يده ظهرًا لبطن.. وبعد ذلك سألني فأجبت ساخرًا: أنت والله صعبت عليَّ فهذه حسنة؟!

فظهر الامتنان على وجهه وقال: شكرًا.. يرزق من يشاء بغير حساب!

لابد أن يكونوا أغنياء تحسدهم بقية محافظة الدقهلية والمحافظات الأخرى!

عشت
تاريخًا

العفاريت الزرق لا تستطيع أن تكتب ستين صفحة عن محاكمة الرئيس كلينتون ـ ولكن زوجته استطاعت في مذكراتها: (عشت تاريخًا) في 534 صفحة. فالسناتور هيلاري كلينتون كانت واحدة من أهم مائة من المحامين في بلادها.. وكانت تتقاضى أجرًا أكبر من أجر زوجها الرئيس الأمريكي، تمامًا كما أن شيري بلير زوجة رئيس وزراء بريطانيا والمحامية أيضًا تتقاضى أجرًا أكبر من أجر زوجها.. والسناتور هيلاري كلينتون لها خبرة بقانون محاكمة الرؤساء ولها دراسة معروفة..

وفي هذا الكتاب الذي أكسبها خمسة ملايين دولار حتى الآن، هو سندها العظيم في حملتها الانتخابية من أجل أن تكون رئيسة لأمريكا، فقد روت قصة حياتها وحبها وأسرتها وأسرته، أما حبها فكان عميقًا. رغم أنه ذئب حليوة ومدرب تدريبًا جيدًا. وكان عندها أمل في أن تقلم أظفاره فلم تستطع، ولكنها أحبته ولا تزال. وقد بلغت درجات عالية في البراعة والذكاء واللباقة والحرفنة في عرضها لفضيحة زوجها، ومشت على عدد كبير من الحبال في السيرك السياسي.. إنه زوجها وحبيبها وهو رئيس أمريكا العظيم. وهي لم تشأ أن تخسره زوجًا وأبًا لابنتهما الوحيدة ومكسبًا فريدًا للشعب الأمريكي. وهو بطل السلام في أوروبا والشرق الأوسط.

والسناتور هيلاري كلينتون ترى أنه لا يوجد سند دستوري لمحاكمة زوجها ولا حتى محاكمة الرئيس نيكسون. ولكن السياسة ووسائل الإعلام والتآمر عليه قد ضيقت عليه الخناق وسبل الهرب من 12 تهمة وجهت إليه. ورأت هيلاري أن المحققين مع زوجها قد تجاوزوا كل الحدود وتحايلوا على الدستور..

ثم واجهت الناس بصورة أخرى، ولكنها من وراء الستار لا تعرف كيف تخنق زوجها دون أن تخسر الرئيس، وقد اعتذر كلينتون لها كثيرًا. وسامحته أمام الناس.. وجاء العظماء يطيبون خاطرها. ويطلبون إليها الصبر.. وأَلَّفَ المطربون أغنيات لها. وبكوا عندما رأوها تبكي. ولكنها مثل كلينتون: فقد صنع الاثنان من الحديد.. وقد ولدا ليعيشا ويتفوقا، وربما أعادته إلى البيت الأبيض وراءها وليس أمامها!

وقد وجهت الشكر وعظيم الامتنان إلى أكثر من مائة باحث ساعدوها سنتين على تجميع المادة التاريخية وترتيبها وتبويبها لتقرأ الكتاب قبل النشر وتحذف وتضيف وأهم من كل ذلك أن تضع اسمها الذي هو (الماركة المسجلة).. ونحن نتطلع إلى ما سوف يقوله زوجها عنها وعنه في كتابه المنتظر..

المســـرح النســائـــي

الأديبة سناء صليحة استراحت إلى أن تعريف الأدب النسائي هو الذي تكتبه النساء عن النساء ـ وليس فقط ما تكتبه النساء عن الرجال ولا الرجال عن النساء. فاختارت خمس مسرحيات لخمس من الأديبات.. ترجمتها وقدمتها وعرفتنا بالأديبات في أحدث كتاب لها بعنوان (نصوص من المسرح النسائي) في 380 صفحة ومن سلسلة مكتبة الأسرة. والأدب النسائي قديم، فقد ظهرت في القرن العاشر راهبة تكتب ساخرة من الرجل ومن إنجازاته ومن انتصار المرأة عليه – والسخرية هنا هي من أسلوب الكتب فهي لا تعظ ولا تبشر وإنما تخربش، وفي ذلك تأكيد لذاتها في مواجهة الرجل وضده والتقدم عليه.. وأشارت الأديبة سناء صليحة إلى اثنتين من الأديبات، وكنت أتمني أن تذهب إلى أبعد من ذلك. فهي أشارت إلى الأديبة شيلا ديلاني.

وكانت هذه الأديبة في مقدمة (الأدباء الساخطين) في خمسينيات القرن الماضي. وكانت تقف إلى جانب زعماء أدب السخط: كولن ويلسون وغيره وأدب الصخب في أمريكا بزعامة جاك كيرواك. وهم الذين ثاروا على مدارسهم وعلى السلطة الأدبية أو أدب السلطة أو أدب القوالب الثابتة في الدين والأخلاق والسياسة.واكتفت أيضًا بالإشارة

إلى كبيرة أديبات بريطانيا دوريس لسينج. فهي قد برعت في كل الأشكال الأدبية. وتوارت الآن تمامًا في مرض النسيان: الزهايمر.. ولكن الذي قالته قبل ذلك كان من علامات الطريق في الأدب الحديث. فلعل المؤلفة أن تعود إلى ذلك في مناسبات أدبية أخرى..

وصدور هذا الكتاب يؤكد ما اختارته المؤلفة من أن العدل يقتضيها أن تبادر بأن تكتب عن الأديبات - إنصافًا لهن من ظلم الرجل أو احتكار الرجال للساحة الأدبية. مع أن هذا الظلم لم يقع عليهن في بلادهن. ولكن يكفينا نحن الرجال، أن نرى نموذجًا أمينًا للنقد الأدبي النسائي - فجاء هذا الكتاب وثيقة صادقة شافية صافية للدلالة على هذا المعنى..

إيكـــــاروس

نجحت لعبة تقسيم الكيانات السياسية الكبيرة.. فقد تفكك الاتحاد السوفيتي وتفككت يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا. وتحاول هذه الدول أن تتعانق اقتصاديًا وسياسيًا بشرط ألا يؤدي هذا العناق والقبلات إلى حياة زوجية جديدة! وروسيا الاتحادية أوضح دليل على ذلك. فهناك محاولات في روسيا إلى استعادة عافيتها وقوتها وأن تتعملق في مواجهة الولايات المتحدة. ولابد من ذلك. فروسيا دولة عظمى بمواردها الطبيعية وثرواتها من العلماء وحضارتها. ولن يمضي وقت طويل حتى تعتدل كفتا الميزان الدولي وتعاود روسيا مكانتها إلى جانب الوحدة الأوروبية والصين وأمريكا..

ومن المؤكد أنه كما تفتتت الكيانات الكبيرة بالأمس، سوف تتفكك الكيانات الصغيرة غدًا.. إنها أسطورة إغريقية قديمة.. ففي أساطير الإغريق أن البطل إيكاروس يحلم بأن يذهب إلى الشمس فألصق بذراعيه ريشًا طويلًا.. وطار. فلما اقترب من الشمس ذاب الصمغ وتطاير الريش وسقط إيكاروس.. وهذه الكيانات اقتربت من النار في داخلها وحولها فسقطت كلها.. وواضح الآن أن النار الأمريكية في العراق هي التي ستؤدي إلى تفكيك العراق إلى ثلاثة كيانات تجمع بينها الكراهية والتعصب: الأكراد في الشمال والسنيون في الوسط والشيعة في الجنوب. إنها الصورة القديمة التي شجعها

الإنجليز وألصقوها بعضها ببعض سنة 1920: لواء الموصل في الشمال ولواء بغداد في الوسط ولواء البصرة في الجنوب..

وربما كانت الموصل أكثرها تنوعًا ففيها الأكراد والمسيحيون والأشوريون والتركمان.والسنيون هم أكثر الناس تمسكًا بالنظم الديكتاتورية: رشيد الكيلاني وصدام حسين. لأن الحكم الديمقراطي يأتي بالأغلبية الشيعية.. ولذلك فالسنيون ليسوا سعداء بالحكم الأمريكي للعراق لأنه ديمقراطي يفتح الأبواب أمام الشيعة وإيران. ومن الصعب الآن أن نعرف ما سوف تقدمه لنا خريطة الطريق في العراق. ولكن أمريكا قد فتحت علينا وعلى نفسها كل أبواب جهنم في العراق والشرق الأوسط!

إلى واشنطن. وبعد خمس ساعات من صعودها للجو هبطت اضطراريًا في جدة. فماذا حدث في داخل الطائرة؟ لا شيء سوى أن المؤذن رفع الأذان للصلاة.. الله أكبر الله أكبر.. الصلاة جامعة.. ضموا الصفوف.. استقيموا. والتفت إمام المسجد وراءه فلم يجد أحدًا..

وبعد أن فرغ من الصلاة تقدم أحد الركاب ليصلي وحده وتوالى المصلون.. عشرات.. مئات المصلين.. يصلون ركعات تحية المسجد والفرض وركعات السنة.. واحدًا واحدًا..

أما النكتة فهي أنه في كل مرة يقوم واحد لكي يصلي تتجه الطائرة ناحية الكعبة.. فإذا فرغ من الصلاة عادت الطائرة في اتجاه واشنطن

... وهكذا بقيت الطائرة تتجه إلى الكعبة ثم إلى واشنطن حتى مضت خمس ساعات لم تبرح أجواء مكة والمدينة.. ولما نفد الوقود هبطت في مطار جدة!

فهم لم يصلوا جماعة مرة واحدة.. أو أن الطائرة لم تكن في حاجة إلى مسجد. ففي استطاعة أي إنسان أن يصلي جالسًا دون أن يتجه إلى القبلة ـ فالدين يسر..

ولكن هؤلاء العرب المسلمين يرفضون العمل الجماعي، وإن كانوا يتظاهرون بذلك. وهكذا لم يتفق العرب على رأي ولا رؤية. وكل واحد يعمل بما في دماغه ـ إن كان له دماغ.

ولم يكتف الفيلم الساخر من العرب ومن المسلمين بما حدث في الطائرة، بل عند نزول العرب من الطائرة ليركبوا سياراتهم الفخمة. كانت المفاجأة أنهم نسوا تموينها بالوقود.وبعد مناقشات وخناقات. كان لابد من نكتة أخرى وهي أن السيارات الكبيرة الفخمة راحت تجرها الإبل!

سفينة رشيد

الحمد لله أن الإنجليز لم يتمادوا في رذالتهم عندما طلبوا من علماء الحملة الفرنسية أن يسلموهم كل أبحاثهم. فهدد الفرنسيون بإحراقها، واكتفى الإنجليز بإحراق وإغراق أسطول نابليون في أبو قير، ولم يغرقوا (حجر رشيد) ..

وفي الوقت الذي توجد في العالم مئات المعاهد لتعليم اللغات اسمها معاهد أو كليات (حجر رشيد) لا نجد اسم هذا الحجر على أية مؤسسة أو منظمة أو دكانة في مصر!

وأخيرًا أطلقت هيئة الفضاء الأوروبية سفينة اسمها (حجر رشيد) يوم 26 يناير سنة 2007. ولها مهمة تاريخية هي أيضًا فك رموز المجموعة الشمسية التي لم يكن لها وجود قبل 4600 مليون سنة. تستغرق هذه المهمة 12 سنة تنتهي في ديسمبر 2015 بعد أربعة آلاف يوم من خروجها من الجاذبية الأرضية...

وقد اشتركت 50 شركة عالمية من 14 دولة في بناء سفينة (حجر رشيد) وكذلك السفينة التي سوف تهبط منها. وتكلف هذا المشروع مليار يورو.. وهذه السفينة طولها 3 أمتار، وهي على شكل صندوق مساحته 64 مترًا مربعًا. وبها أكثر من أربعين جهازًا علميًا..

وقد انطلقت السفينة يحملها صاروخ إريان الفرنسي من قاعدة كورو في جيانا الفرنسية.. وسقطت المرحلة الأولى ودارت حول الأرض ساعتين..

وسوف تدور السفينة حول الشمس على أن تلتقي بأحد المذنبات سنة 2014 فتهبط منها سفينة صغيرة تستقر على المنطقة الجليدية من المذنب في مايو سنة 2014.

... ثم تبدأ في تصويره في أغسطس 2014 وتدور معه حول الشمس حتى ديسمبر 2015 وتصور وتسجل ما تفعله الشمس بالجليد في المذنب. وتنتهي مهمتها.

وهذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يتحول فيها أحد المذنبات إلى سفينة فضاء، عليه أجهزة في غاية الدقة والقوة أيضًا.

أما المهمة فهي أن يحاول العلماء معرفة الهيئة التي كان عليها الكون قبل أن تتكون الكواكب.. وذلك عن طريق الهبوط على أحد المذنبات، ورصده وتصويره.. فهذه المذنبات هي الصورة الباقية التي لم تتغير كثيرًا للمادة الأولى من الكون.

وقد صدر (وصف مصر) في وقت مناسب جدًا. فهذه السنة هي سنة المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي بمناسبة مرور 250 عامًا على ميلاده. والجبرتي هو مؤرخ الحملة الفرنسية وقاضيها العادل المنصف. فاستحق احترام المؤرخين الأوروبيين والمصريين.

وقد اعتبره عميد المؤرخين الإنجليز أرنولد توينبي (1889 – 1975) أعظم مؤرخ في التاريخ. لماذا؟ أولًا: لأنه لم يكتب إلا الذي رآه بعينيه. أما الذي سمعه فيقول: إنه قد سمع وإنه ليس على يقين من ذلك. وثانيًا: لأنه برغم إعجابه بروح العدل عند الفرنسيين وتقدمهم العلمي، فإنه لم يغفر لهم الظلم والاستهانة بالشعب المصري والاستخفاف بعقول بعض المصريين. وكتاب الجبرتي (عجائب

الآثار في التراجم والأخبار) بأجزائه الخمسة يعتبر وثيقة عظيمة الاحترام للحملة الفرنسية على مصر وتسجيلًا للحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية أيضًا..

أما كتاب (وصف مصر) فهو صورة علمية دقيقة لمصر والمصريين كما لم يرها أو يعرفها أكثر المصريين. فلم يدع علماء الحملة الفرنسية صغيرًا ولا كبيرًا إلا سجلوه ورصدوه بمنتهى الدقة. ولو اهتدوا إلى الشيخ الجبرتي لصوروه في بيته وأولاده وجعلوه يقول ويسجلون دون اعتراض منهم ودون رفض منه.

.. فالذي قاله الجبرتي لم يقله الفرنسيون، والذي قاله الفرنسيون لم يعرفه الجبرتي. وهكذا. مع صدور طبعات جديدة لتاريخ الجبرتي التي أصدرها د.سمير سرحان، ومع الطبعة الكاملة لكتاب (وصف مصر) يكون احتفالنا مضاعفًا في المعرض الدولي للكتاب في فرانكفورت..

يضاف إلى ذلك (موسوعة المرأة) التي اكتملت ولأول مرة باللغة العربية. وكانت السيدة سوزان مبارك قد أوصت بتأليفها والحفاوة بها فجاءت في عشرة مجلدات، شارك في إعدادها عشرات العلماء والأدباء والصحفيين

وكلها معًا يتكون منها وحدها معرض فخم للثقافة المصرية وأعماق التاريخ القديم وآفاق التاريخ الحديث أيضًا!

وفي النهاية: أدعوك إلى أن تقتني هذه الموسوعات الضرورية لكل أسرة مستنيرة. أو من الواجب أن تكون كذلك!

وفي سنة 1798 عثر الضابط الفرنسي أكزافيه بوشار على حجر رشيد الذي نقشه الكهنة المصريون في مارس 196 ق.م. وقد ظل هذا

الحجر يتوارثه أبناء وأحفاد الضابط الفرنسي إلى أن عثر عليه أستاذ في جامعة أكسفورد يباع في الأسـواق. وعـاد به إلـى بريطانيا ليكتشف بعض العلماء أن حروفه هيروغليفية..

ولولا أن العلماء الفرنسيين طالبوا برسمه ونقل حروفه كاملة ما استطاع الشاب العبقري شامبليون أن يدرسه ويكتشف معنى هذه الرسالة ومعنى اللغة الهيروغليفية وصوتياتها، وهكذا قد ولد على يديه (علم المصريات). والشاب شامبليون (1790 – 1832) كان في الرابعة عشرة من عمره يعرف العربية والعبرية والقبطية والكلدانية والسريانية. ولما بلغ الثامنة عشرة كان أستاذ التاريخ بجامعة جرينويل. وقبل إقدام شامبليون على فك طلاسم اللغة الهيروغليفية اهتدى فيزيائـي بريطانـي هو تومـاس يونـج إلى معرفـة الأسمـاء والأماكن المكتوبة على الحجر بثلاث لغات: الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية..

أما مقاس الحجر فهو: 114 × 72 × 28 سم ومن البازلت الأسود. وعلى الحجر نقش كهنة مصر رسالة امتنان للملك بطليموس الخامس (13 سنة) الإله المقدس في السنة التاسعة لحكمه لمصر وأحد الملوك البطالمة الذين حكموها بعد تمزق إمبراطورية الإسكندر الأكبر. وفي هذه الرسالة يؤكد الكهنة المصريون أن هذا الملك الصغير قد أدى خدمات جليلة للمعابد ورجال الدين وأطلق سراح السجناء وضاعف حصة رجال الدين. ولذلك يعدونه بأنهم سوف يقيمون له الصلوات وحفلات التتويج في كل مناسبة. فقد تمرد المصريون على حكم البطالمة وقاوموهم، والكهنة يؤكدون للملك الصغير امتنانهم له وحبهم له وأنهم سوف ينشرون دينه في كل مكان..والكهنة يحاولون

طمأنة الملك وتهدئة الشعب المصري، ويؤكدون للشعب أن الملك قد حشد قواته برًا وبحرًا لوقف أي هجوم على مصر، وأنه من أجل ذلك يستحق التقديس والتتويج ملكًا ابن ملك ابن ملكة وإلهًا من أبناء الآلهة!

ولولا هذا الموقف السياسي من رجال ما كتبوا على أنفسهم هذا العهد والوعد لما عرفنا تاريخ مصر ومعنى كل هذه الروائع: الأهرام وأبو الهول والكرنك ومقبرة الملك توت..

وصـــــف

مصـــــر

في 1976 صدرت مجلة (أكتوبر) أي بعد صدور (الأهـرام) بمائة عام.. وفي العام نفسه صدر عمل جليل لأحد محرري مجلة (أكتوبر) دون ضجة. فقد ترجم المرحوم زهير الشايب، وفي منتهى التواضع والصمت، تسعة مجلدات من السجل التاريخي: وصف مصر، و99٪ من المثقفين قد سمعوا عنه.. ولم يره بالفرنسية إلا عدد قليل جدًا.. أنا رأيته لأول مرة في بدروم كلية الطب.. ولم أره كاملًا، وإنما ثلاثة أجزاء فقط.. ولكي أراه كاملًا ذهبت إلى الجامعة الأمريكية، وعندما ترك د. خيري سمرة عمادة كلية الطب فوجئت بعدد من الموظفين من كلية الطب يطلبون كتاب (وصف مصر) لأنه عهدة د. خيري!

وتمنيت أن أرى هذا السجل التاريخي باللغة العربية، وحاولت وذهبت مع الناشر أحمد رائف إلى باريس، والتقينا بالمرحوم لطف الله سليمان الذي أقنعنا بأن وزارة الثقافة الفرنسية ترصد مبلغًا ماليًا ضخمًا لمن يترجم مثل هذا العمل الجليل، ومات لطف الله سليمان. وذهبنا إلى لندن وقابلنا إبراهيم فوزي وكان المستشار العلمي بالسفارة، ولم نجد أن هذا الكتاب قد ترجم إلى الإنجليزية، كما قيل لنا.

ومن المؤكد أننا استمتعنا بهذا السجل الرائع لكل ما في مصر، أرضًا، وحيوانًا، ونباتًا، وجوًا، وحياة، وعلاقات، وعادات وتقاليد،

وفهمًا عجيبًا للعادات المصرية، وللروح المصرية أيضًا. وبقي الأمل في أن نرى الكتاب كاملًا، وفي المجلس الأعلى للثقافة تمنيت أن نراه مترجمًا.. وتعددت الوعود، واكتفينا بهذا القدر.

ولكن في هدوء تام استطاع د. سمير سرحان أن يكمل هذا المتحف الرائع لكل ما هو مصري. فأرملة زهير الشايب ترجمت، وكذلك ابنتهما، ثم إنها تشرف الآن على بقية الترجمة لهذا الكنز التاريخي حتى صدر منه 28 مجلدًا، وسوف يصدر الباقي حتى الجزء السابع والثلاثون. والأجزاء المتبقية عن التاريخ الطبيعي لمصر.

إن المفكر البريطاني الكبير كارليل له عبارة مشهورة، يقول: إذا سقطت شجرة في الغابة أحدثت دويًا.. بينما ملايين من حبوب اللقاح يدفعها النسيم العليل إلى جوانب الغابة لتنشر الحياة في كل زهرة دون أن تسمع لها صوتًا! كذلك فعلت أسرة زهير الشايب، وكذلك د. سمير سرحان، فلهم عظيم الشكر والامتنان.

لــــولا
حجــر رشيـــد

في يوم 21 يوليو سنة 1798 وقف نابليون (28 سنة) أمام الأهرام خطيبًا في جنوده، أحسن جنود فرنسا يقول: إن أربعين قرنًا تنظر إليكم. ولم يعرف نابليون ولا العالم كله، أن حملة نابليون إلى مصر هي التي جعلت هذه القرون الأربعين تتكلم إلينا وتحكي عن أمجاد مصر الفرعونية. فقد اكتشف جنوده (حجر رشيد) واستطاع العالم الفرنسي شامبليون أن يفك طلاسم هذا الحجر واللغة الفرعونية. فكان ذلك إرساء (لعلم المصريات). ومن يومها وعلماء فرنسا وأدباؤها يرون أن التاريخ المصري كله أهم اكتشافات فرنسا في القرن التاسع عشر..

ولأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية رأى نابليون أن يجيء إلى مصر بأحسن قوات فرنسا ومعداتها. وأهم من ذلك بمائتين من علمائها الشبان الذين يبلغ متوسط أعمارهم 25 عامًا. فكان منهم 12 من علماء الرياضيات و13 من خبراء البيئة والجيولوجيا والمناجم و3 فلكيين و12 من خبراء الطباعة كانوا مزودين بحروف عربية ويونانية ولاتينية وعبرية و17 من المهندسين المدنيين والمعماريين و9 من خبراء المياه وعشرة من الأدباء.

وفي ظروف قاسية جدًّا عكفوا على وصف مصر. بعضهم كانوا يرسمون وهم جالسون على الأرض وبعضهم فوق الخيول – وهم في صراع مع الحر والذباب والتراب والأمراض والزمن..

وفي ذلك الوقت أمر نابليون بإنشاء المعهد المصري. ولم يشأ أن يكون رئيسًا بل نائبًا للرئيس. فالرئيس لابد أن يكون من العلماء (وعندما جاء رئيس جمهورية فرنسا جيسكار ديستان وقدمت له جامعة القاهرة الدكتوراه الفخرية قبلها شاكرًا. ولكن عندما طلبوا إليه أن يرتدي الروب الجامعي اعتذر لأن هذا الروب لا يرتديه إلا أساتذة الجامعة فقط!..)

إن حملة نابليون كانت مأساة - هزيمة عسكرية وهزيمة سياسية. وهرب نابليون من مصر وترك قواته. أما الانتصار الحقيقي فهو كتاب (وصف مصر) أعظم وأدق تحليل علمي لكل ما في مصر - ابتداء من الأهرامات حتى الموازين والمكاييل في روض الفرج، والغرفة التي يختبرون فيها جودة السلع الفرنسية فإذا وجدوها دون المستوى أعادوها إلى فرنسا!

وفي سنة 1802 أصدر نابليون مرسومًا بطبع كتاب (وصف مصر) في المطبعة الإمبراطورية وكانوا قد عرضوا عليه مجلدات اللوحة الكبيرة التي رسموها للآثار المصرية والنبات والحيوان والملابس والأطعمة. فقد احتوى الكتاب على 400 لوحة فخمة و837 لوحة نحاسية و3000 رسم. وقد أدى هذا الاهتمام المبالغ من الإمبراطور نابليون إلى التعجيل بطبع (وصف مصر). ولا أحد يعرف كم عدد الطبعات في كل اللغات.. أنا شخصيًا رأيت عشرين طبعة فرنسية. وأربع طبعات يابانية.. ورأيت ملخصات لهذا الكتاب وصورًا ملونة وأفلامًا. ولم يتوقف أحد عن الاهتمام بمصر من ذلك الحين. وفي كل سنة تستطيع أن تتفرج على دور النشر الفرنسية التي تصدر كل عام كتبًا جديدة عن ملوك وملكات وأساطير ومعابد ومقابر مصر

الفرعونية. ولا شيء يدل على صحة المثل الذي يقول: الحب يصنع المعجزات، إلا غرام الفرنسيين بمصر الفرعونية. وإذا كانت مصر هبة النيل فإن مصر الفرعونية هبة فرنسا..

ولابد من الإشادة – دائمًا – بجهود أسرة زهير الشايب: زوجته وابنته في إكمال هذا السجل التاريخي الفريد. وكذلك هؤلاء الدكاترة المخلصون في إتمام ترجمة (وصف مصر) وهم: أسامة نبيل وسامي مندور وأسامة يوسف وجيهان العيسوي وجيهان حسن وعشيرة محمد كامل، ومنى هاشم ومنى صفوت وكاميليا البنا وإيمان رضا الجمل ومنار رشدي وحنان طلعت وناهد الطناني ومنال بشير وحمادة إبراهيم وأمل الصبان وناهد عبدالحميد وكان الإشراف للدكتورة فوزية شفيق الصدر أما مدير التحرير فهو حسين البنهاوي..

وقبل ذلك أصدر د.سمير سرحان سجلًا عظيمًا لتاريخ مصر الفرعونية للأثري المصري الكبير سليم حسن في 17 مجلدًا. وكانت أمنيتي ولا تزال أن نلخص كتاب سليم حسن (مصر القديمة) وأطمع في تلخيص كتاب وصف مصر ليتضاعف قراؤه.. فهو لا يزال وسوف يبقى هدية أخرى قدمتها فرنسا لمصر.. والعجيب أن فرنسا ترى أن هذا الذي قدمته ليس إلا (عينة) ..ولذلك يضيف علماؤها وأدباؤها وشعراؤها وعباقرة الطباعة، جديدًا كل سنة يجعلنا نزداد حبًا لمصر – كأن متحف اللوفر العظيم ليس دليلًا كافيًا على هذا العشق الفرنسي لمصرنا القديمة!

أنتم الناس
أيها الشعراء

الذي يردده الناس ولا يعرفونه. ويحاولون ولا يبلغونه. ويسألون عنه ويجدونه في الشعر وفي اللوحات ولا يجدونه!! هذا هو الحب عند شاعرتك الإيطالية د. سينا روصنم. أما عند السعدي الشيرازي الشاعر العالمي والمعلقة أبياته على جدران الأمم المتحدة. يقول عن الحب...

قال لي المحبوب لما زرته	من ببابي؟ قلت: بالباب أنا
قال لي: أخطأت تعريف الهوى	حينما فرقت فيه بيننا
ومضى عام فلما جئته	أطرق الباب عليه موهنا
قال لي من أنت قلت انظر فما	ثم ألا أنت بالباب هنا
قال لي: أحسنت تعريف الهوى	وعرفت الحب فادخل يا أنا

أهديها إلى د. سينا وإليك سيدي يا من قلت عن الحب الواضح إنه الحب الذي انتهى وكل العشاق أوضح كلامًا في حفلات التأبين لا في حفلات الزفاف.. زفاف اللفظ إلى المعنى ولا أحلى ولا أجمل ولا أروع... زفاف اللفظ إلى المعنى ـ هذا كلامك.. نعم.. يا سيدي كل العشاق السعداء في هذه الدنيا لا يتكلمون وإن تكلموا يبخلون.. أما تعيس الحظ فسرعان ما تنحل عقدة لسانه فيشكو لطوب الأرض بحثًا عن أذن صديق أو صدر قريب أو الدنيا كلها.. وهكذا الأحبة عند الفراق صوت وصورة سيل من الدموع وأمطار من الكلمات. وهكذا حالنا

نحن البشر تعيسنا يشكو بكل اللغات أما سعيدنا فيلوذ بالصمت الرهيب!!

د. عبده أنور (؟!)

قالها شاعرنا شوقي: أنتم الناس أيها الشعراء...

تقول شاعرتي د. سينا روصنم: نصف قلبي هو يدي، نصف قلبك هو يدك. تصافحنا فكنا قلبًا واحدًا... كنت أقول لك يا أنا يا أنت... تقاربنا.. تساقطت بيننا الحروف وذابت المسافات. فأنت أنا وأنا أنت.. ذهب زماني وجاء زمانك.. تركت مكاني لمكانك.. فأنت الزمان وأنت المكان.. لم أعد أعرف أينا أنا وأينا أنت... اختصرنا الحروف واختزلنا المكان واحتوانا الزمان (تك.. تك..) لا أعرف إن كان قلبي يدق في قلبك أو هو قلبك في قلبي... مجانين نحن ؟ فلا عقل للعاشق، ولا عشق للعاقل.. وكثير غير ذلك في ديوانها: (يا قلبي هناك.. ويا قلبه هنا) !

إنهم
أصل الحضارة

ليس لي أقارب في النوبة أو من النوبة أو حتى ذهبوا إليها. ولكن يربطني بها التاريخ القديم لمصر الفرعونية.. انظر إلى اللوحات والتماثيل، تجد البشرة السمراء والوجوه الناعمة والوجنات الناتئة والشفاه المرفوعة والملامح (المحندقة) للنساء: نفرتاري وحتشبسوت وتيي وغيرهن من ملكات مصر النوبيات اللي الواحدة بمائة رجل التاريخ يقول لنا ذلك!

وكتب التاريخ تقول لنا أيضًا إن أصل الحضارة الفرعونية هي بلاد النوبة. وأن نظام الملك في مصر من النوبة، وإن مصر لم تكن تعرف هذا التسلسل في الحكم إلا من النوبة، ثم إن النوبة كانت لها صلات تجارية وثقافية بحوض البحر الأبيض دون أن تمر على مدينة منف العاصمة الشمالية.

ولكن هذا الكلام الحلو عن النوبة وأهلها لا يتحول إلى شيء مادي ملموس.. فلم نعوض أهل النوبة عن بيوتهم التي ابتلعتها بحيرة السد، ثم إنهم لا يزالون يعيشون حياة بدائية. بينما نحن نفاخر الأمم بالكهرباء والإذاعة والتليفزيون والمواصلات. والخطابات التي أتلقاها من أبناء النوبة في أوروبا وأمريكا وأستراليا وجنوب مصر تؤكد أن المثل الذي ينطبق على أهل النوبة هو: إننا زي الإوز: حنية بلا بز.. أي أننا نعطف عليهم بالكلام وبس.

ولم أكن أتصور أن أبناء النوبة كثيرون ومتحضرون إلا عندما كنت مريضًا في باريس.. وجاءتني ورود من أبناء النوبة في إسبانيا وبريطانيا وإيطاليا. لماذا؟ امتنانًا لأنني كتبت عنهم مثل هذه السطور، ولأنني وقفت في أسوان أتمايل طربًا عندما استمعت إلى بعض أغانيهم الشجية الجميلة.. فطارت الخطابات إلى القارات الخمس تروي هذه اللحظة الساحرة!

ويجب ألا يفوتنا أن هناك شياطين يلعبون في الخفاء: ينفخون في أبناء النوبة يريدونهم أن يطالبوا بهوية خاصة وأن يكون لهم كيان نصفه في مصر ونصفه في السودان.. كأنهم يريدون أن يكرروا مأساة الأكراد على حدود تركيا والعراق وسوريا. صحيح لا وجه للشبه. ولكن اليقظة – مثل الامتنان لهم ـ واجبة علينا!

أهـــل النوبـــة:
أهلنـــــا

تلقيت خطابًا رقيقًا من السيد سمير يوسف محافظ أسوان. وكنت قد نقلت شكاوى المصريين في النوبة: فلم يلقوا ما يستحقونه من عناية ورعاية. بعد الذي أصابهم من بناء السد العالي. وأنهم كانوا يتوقعون مزيدًا من الاهتمام بهم كمصريين يعيشون في أقصى الجنوب وفي ظروف صعبة. وأنشر من خطاب السيد المحافظ ما يتعلق بهذه القضية. قال سيادته:

1- التهجير داخل الوطن ليس هجرة وإنما هو ضرورة قد تفرضها المصلحة العليا للوطن أو عند الكوارث والنكبات. وهذا ما حدث عام 1963 من تهجير بعض المصريين من قراهم التي سوف يغمرها النيل بعد بناء السد العالي، وكما حدث عام 1967 من تهجير بعض المصريين من مدنهم وقراهم على امتداد قناة السويس من بورسعيد شمالاً إلى السويس جنوبًا. وأخيرًا كما حدث من تهجير لبعض المصريين في جنوب صعيد مصر بعد كارثة السيول التي دمرت العديد من القرى في عام 1994.

2- في جميع هذه الحالات، قامت الدولة بما يجب أن تقوم به حيال مواطنيها ولقد استأثرت قرى النوبة التي غرقت بمياه بحيرة ناصر.. بالجهد الأعظم من الدولة باعتبارها الحالة الأولى كما

كانت الدولة في وقتها في عنفوان قوتها الاقتصادية. فأنشأت مركزًا إداريًا يضم كل القرى التي سوف يغمرها المياه تحمل نفس الاسم وأنشأت منزلًا بديلاً لكل أسرة في هذه القرية يتملكه نفس المالك. ومساحة من الأرض الزراعية تساوي المساحة نفسها أو أكثر للمالك نفسه، ولقد أصبح المركز الجديد الذي سمي باسم نصر النوبة يضم خدمات في مختلف المجالات من (طرق – كهرباء – مياه – تعليم – صحة.. إلخ..)

كما أنني أوجه الدعوة إليكم في أي وقت ترونه مناسبًا لزيارة مركز نصر النوبة. وتلتقون بكل الناس لتسمع وترى..

أما العبارات التي وجهها لي السيد المحافظ، فأحتفظ بها شاكرًا. أما هذا الرد الموضوعي، فقد بدد الكثير من الغموض وفند ما رآه المصريون في النوبة إهمالاً لهم واستخفافًا بقدرهم. وأجدد شكري وامتناني.. فقد جاءني وجاءهم الرد سريعًا..

تـــوت
فــي سويســـره

بـازل (سويسرا) نحن هنا بمناسبة عرض بعض التحف من مقبرة توت عنخ أمون. الفندق اسمه فندق دراي لنجه أي: الملوك الثلاثة.

ولو أقيم في المغرب لكان الملوك الثلاثة هم الذين اشتركوا في الحرب بين البرتغال والمغرب بالقرب من طنجة. فقد أشعل الملك سباستيان بمعاونة الملك المخلوع المتوكل حربًا على المسلمين. فكانت المعركة المعروفة باسم (وادي المخازن) سنة 1578 وقد غرق فيها ملك البرتغال والملك المتوكل وبعد أيام مات ملك المغرب..

أما الملوك الثلاثة فهم الذين قرأوا في كتبهم أن طفلًا قد ولد في أورشليم سوف يكون ملكًا على اليهود. وجاء الثلاثة وهم: كاسبار وملخيور وبلتزار وطلب منهم الملك هيرود أن يدلوه على الطفل ليسجد له. وكانت نجمة في السماء تتحرك تهديهم إلى مكان الطفل المسيح عليه السلام. ورآوه وسجدوا له وقدموا له الهدايا. وجاءهم الملاك يطلب ألا يخبروا هيرود الملك. والملاك جاء للعذراء مريم وطلب إليها أن تهرب بطفلها إلى مصر وألا تعود إلا إذا جاءها. وقتل هيرود كل الأطفال..

وفي 6 يناير من كل سنة يكون عيد ملوك الشرق الثلاثة ويحمل الأطفال ورودًا على شكل نجمة ويدقون الأبواب يطلبون هدايا

أو فلوسًا مرددين: هالو لويا.. أو حالو لويا.. ولعل (حالو ياحالو) التي يرددها الأطفال في رمضان مأخوذة من هذه الأغاني.

وهذه المدينة هي أكبر مركز للصناعات الدوائية وكل نجوم كرة القدم. وهي المدينة المثلثة التي تقع على حدود سويسرا وألمانيا وفرنسا وملتقى ثلاثة أنهار أيضًا.

وكل شيء هنا يدل على حفاوة الناس بالحدث الثقافي العظيم: 121 قطعة من الآلاف الثلاثة من مقبرة توت عنخ أمون. ففي نوافذ المحلات التجارية صورة الملك توت على علب السجائر وعلى الشوكولاتة. وفندق (الملوك الثلاثة) هو أقدم فندق في سويسرا فقد أنشئ 1026 وصاحبه قد سارع بوضع شوكولاتة الملك توت على مخدات كل سرير وهو صاحب مصنع بيرة فأنزل إلى الأسواق بيرة الملك توت.. ولما ذهبت إلى الأجزاخانة أشتري دواء لم تكن معي روشتة. وحاول صديقي د.عزت عطية أن يقنع الطبيبة. فقلت لها: لو عرفت سيادتك ماذا قدمنا لمدينتكم.. لقد أتينا لكم بالملك توت! ومن فرحتها أعطتني الدواء – شكرًا يا ملك!

وكان قد انضم إلى هؤلاء الملوك الأربعة: ملك خامس سوف أحدثك عنه!

إنه يوم لن يتكرر في التاريخ يوم أربعة شهر أربعة سنة أربعة.. وقد حدثت أشياء غريبة حاول العالم الأثري زاهي حواس أن يجعلها نكتة – وهو لا يعرف كيف ينكت فوجهه حجري جامد وعيناه جاحظتان وصوته صارخ يهدد الناس مع أنه لا يقصد ذلك. قال لهم: إنها لعنة الفراعنة التي جعلت طائرة تتأخر عن موعدها وأتوبيسنا

يتوقف فجأة وأنا آكل اللحم على سبيل الخطأ وهو يفقد الكاميرا الغالية عليه جدًا لأنها هدية - وكل ما لدى زاهي حواس هدايا من القارات الخمس.

ثم قال بالصورة التي رسمتها لك وهو ينكت: ولعنة الفرعون سوف تحل بكم إذا لم تسافروا جميعًا إلى مصر.. فضحكوا ولما استحضروا سالف كلامه ضحكوا بأثر رجعي. فهو لا يقصد أن يلعن الذين كرموه وكرموا أجداده!

والملك توت الذي اكتشفه الإنجليز من 82 عامًا مصدر هذه اللعنة فقد مات كل الذين دخلوا مقبرته لأول مرة بطريقة واحدة: حمى وهذيان وقيء وتشنج. وفي كتابي عن (لعنة الفراعنة) شرحت أن الذي أصابهم هو نوع من التسمم بسبب الفطريات في الغلال التي يضعها الموتى في قبورهم لتكون جاهزة عندما يعودون إلى الحياة، ومن المستحيل أن يعرف الفراعنة هذه الفطريات أو الإشعاعات الحبيسة في المقبرة ألوف السنين..

ومن ثلاثين عامًا اكتشفت باحثة فرنسية وهي تعيد قراءة الثورة الفرنسية وجود مظاهرات في الريف الفرنسي لم يتوقف عندها أحد. فكان المتظاهرون يهتفون: تسقط الأرانب.. تعيش الخنازير.. أهلًا بالكلاب.. اللعنة على القطط. وكان من الطبيعي أن يهتفوا بسقوط الملكية أو الكنيسة ويهتفوا بحياة الثوار..

ووجدت هذه الباحثة أن السبب هو سقوط الجليد كثيفًا في عام الثورة سنة 1789.. فأهلك القمح.. ولذلك لجأت الحكومة إلى مخزون القمح في الصوامع. ولم يتنبه أحد إلى أن هذا القمح القديم

قد امتلأ بالفطريات التي أدت إلى هلوسة الناس في ذلك الوقت وإلى موتهم في مصر - إنها لعنة القمح وليست لعنة الفرعون الصغير!

لابد أن يخجل عالمنا الأثري زاهي حواس من تكرار قضية خاسرة وهي استعادة (حجر رشيد) الذي استولى عليه الإنجليز.. أولًا لأنهم هم الذين اكتشفوا لنا مقبرة الملك توت أعظم الكشوف في كل العصور. وثانيًا لأننا لا نستطيع أن نعرض هذا الحجر بالجمال والجلال كما يعرضونه في لندن.. وكذلك كان من الذوق أن نترك الآثار المسروقة التي أعادتها لنا سويسرا. كان يجب أن نتركها لهم هدية. ليقيموا لها بملايينهم متحفًا جميلًا.. لا نقدر عليه.

ولا أريد أن أعيد وأزيد في قبح المتحف المصري بالقاهرة. فلا هو نظيف ولا أنيق ولا فاتح للشهية. إنه أكبر مخازن مصر الفرعونية. قد نقول إننا نبني الآن ما سوف يكون أعظم. نحن الذين نقول. ولكن تجاربنا تؤكد شيئًا آخر.

..ويكفي أن نرى متاحف باريس وفيينا ولندن ونيويورك وموسكو لنرى كيف يحترمون الحضارة وكيف أنهم أكثر حفاوة واحترامًا لأجدادنا.. ولولا هذه المتاحف الرائعة ما جاء أحد إلى بلادنا ليروا ماذا فعل لنا أجدادنا.

ثم ماذا فعلنا بهم! ولولا أن الناس في كل الدنيا يجدون الفراعنة في كتبهم وبلغتهم مع عظيم الاحترام لهم ما فكروا أن يزوروا مصر. والله لو كان في الإمكان أن ينقل أحد الأهرام إلى أية عاصمة لتمنيت ذلك. فنحن ورثة سفهاء. ولو علم الفراعنة أن أحفادهم سوف يمسحون

بهم الأرض ما أقاموا لا الأهرام ولا المقابر. ولكن هذا دليل على أنهم قد عرفوا الكثير جدًّا، ولكنهم لا يعرفون الغيب!

أما المعرض هنا فهو في غاية البساطة والأناقة والجمال.. تكييف هواء وتكييف ضوء وظلال. ثم إن تذاكر المعرض مكتوب عليها موعد الزيارة. فالزوار لا يجيئون كلهم معًا. وإنما دفعات كل واحدة ستون شخصًا ليروا بهدوء وبلا زحام.

... وفي كل ورقة مطبوعة وكل نشرة أخبار في سويسرا صورة الفرعون الصغير.

الذي لم يستطع أن يجيء بنفسه.. وإنما أوفد أدوات معيشته التي تدل عليه وعلى عصره المضطرب الذي أودى بحياته طفلًا دون العشرين. وهو لم يدخل التاريخ لأنه فعل شيئًا وإنما لأن اللصوص لم يتمكنوا من سرقة التابوت والجثمان: إنها معجزة أروع مقبرة لأتفه ملك!

فـــاروق بالجلبـــاب؟!

سألوني عن ذكرياتي مع الصديق والعالم الكبير فاروق الباز. قلت إنه لم يكن بيننا مشكلة. ولكن المشكلة كانت المرحومة السيدة والدته. فإذا أنا داعبت فاروق الباز، غضبت وخاصمتني وعاتبتني كيف أكون صديقًا وأنشر له مثل هذه الصورة الفاضحة البشعة.

أما هذه الصورة فكانت غلافًا لمجلة (أكتوبر) بالجلباب والطاقية يعمل في الصحراء الغربية. صورة غير مألوفة. يعني صورة صحفية تلفت العيون. ولكنها رأت أنها صورة سفرجي أو بواب. فنشرت صورة أخرى تعجبها – طبعًا فاروق هو الكسبان! وظللت شهورًا أصالحها فطلبت من د. أسامة الباز أن يصالحني عليها.

ومرة أخرى جاءني فاروق الباز ووجدت شعره منكوشًا. فاستدعيت أشهر حلاق في مصر هو (غريب) .وهو حلاق سيدات.. ولم يكن من الرجال الذين يحلقون عنده إلا اثنان: حسن إبراهيم نائب رئيس الجمورية السابق وأنا. والتقطت صورة لفاروق الباز قبل الحلاقة وصورة بعد الحلاقة.. ونشرت الصورتين وكتبت تحتهما: اختبر ذكاءك أيهما فاروق الباز.؟

أما زوجته الأمريكية فقد أيقنت أنه تزوج عليها في مصر.. وإلا ما سر هذه الوجاهة؟ فقد كانت هي التي تحلق شعره بالمقص من عشرين عامًا.

وفي يوم التقينا في واشنطن وذهبت معه إلى متحف سمثونيان لأرى سفن الفضاء والأفلام الرائعة عن إقلاعها وهبوطها على سطح القمر. وكانت السماء ملبدة بالسحب ومطيرة. وحاولنا أن نصل إلى الفندق فلم نستطع. والنكتة: أن الرجل الذي حدد لسفن الفضاء مكان هبوطها على سطح القمر، لم يعرف الطريق البري إلى الفندق. وفي يوم زارني فاروق الباز في مكتبي وعلى طريقته صافح كل الموجودين بابتسامة عريضة وكاد يبوسهم مع أنه لا يعرفهم – ولكنه يفعل ذلك عادة.

في هذه اللحظة التقط له أحد المصورين صورة وهو يحتضن من لا يعرف. وعندما ودعته سألته: عندك فلوس قد إيه في البنك؟ قال: ليه.. قلت: حتى لا أنشر لك هذه الصورة وأنت في السعودية غدًا.. فهؤلاء هم السفير الإسرائيلي ساسون ومدير الخارجية قمحي والمستشار الثقافي بارموشيه.

قبــــلات بشعــــة!

من أسخف عاداتنا في مصر وربما في العالم العربي: القبلات... الرجال عمال على بطال يقبلون بعضهم البعض - حاجة مقرفة. وليس قبلتين وإنما أحيانًا ثلاثًا..وبعضهم يقبض عليك حتى يقبلك للمرة الرابعة. وأشهر القبلات البشعة قبلة يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح عليه السلام. فالرومان لم يكونوا يعرفون المسيح فاتفقوا مع يهوذا مقابل ثلاثين من الفضة أن يقبل المسيح لكي يقبضوا عليه... وكذلك قبلة ياسر عرفات في أية مناسبة!

وعندما تحدد موعد لقاء عرفات بالرئيس كلينتون، طلب من خبراء الخارجية أن يدلوه على طريقة حتى لا يقبله. وجاء الحل من السفير الأمريكي في مصر كرتسنر وهو الآن سفير في إسرائيل. فوجد أن أحسن طريقة أن يمد الرئيس كلينتون إحدى ذراعيه لمصافحة عرفات ويضع الأخرى على الكتف فيتباعد عنه مرتين. ثم هناك طريقة د. مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى وهي: ابتسامة عريضة جدًا تشبعك لدرجة ألا تفكر في تقبيله مع مد ذراعيه وتصلبه تمامًا حتى لا تقترب.. فلا تقبله!

ولكن عميد كلية الطب في المنصورة د. مدحت محمد علي بعث إلى المجلس الشعبي لمحافظة الدقهلية رسالة مهمة عاجلة عنوانها:

السلام باليد خير من قبلة بالعدوى.. وقرر المجلس المحلي تعميم هذه الرسالة على المجالس الشعبية بالمحافظة وجاء في القرار: وعمل جلسات استماع بكل مجلس على مستوى القرية والمدينة والمركز لتوعية المواطنين على أن نهيب بالدعاة في الأوقاف والأزهر ومطران الدقهلية ودور العبادة التابعة لها بالتوعية بالتحية باليد بدلًا من القبلة التي طرأت وانتشرت في السنوات الأخيرة حاملة معها شرور نقل العدوى بالأمراض التي هي شر محدق بالإنسان. كما طالب رئيس المجلس المحاسب محمد محمود عبدالرحمن بالتحذير من استمرار هذا التقليد الدخيل على المجتمع الشرقي حفاظًا على الصحة العامة..

وقال أيضًا: إن المجلس يناشد الأحزاب والجمعيات الأهلية والأندية الرياضية ومراكز الشباب...

شكرًا. وأقبلك من بعيد لبعيد!

هتافات عقيمة!

كرة القدم واليد والسلة والطاولة كلها ألعاب. ولكن لها قواعد.. ولها علماء ولها قانون. وإن كانت جميعًا لعبًا.. ونرى الحكم قاضيًا لا راد لحكمه حتى لو أخطأ. فلا تعقيب على قراره. وإذا حاول أحد في المحكمة أي في الملعب، فإن القاضي يطرده أو يحبسه. فهذا هو القانون الذي وضعناه وارتضيناه وجعلناه القاضي على رقاب العباد.

وفي بريطانيا ظهرت فكرة. لا بأس. يتساءلون: نريد شاعرًا ينظم لنا هتافات الجماهير أثناء المباراة. بعض هذه الهتافات لها وزن ولها قافية. وهي مرتجلة. وتتغير من ملعب إلى مباراة ومن بلد إلى بلد، وهي عبارات بليغة تلقائية فلماذا لا يجمعها شاعر في قصيدة أو أغنية أو أرجوزة.. لقد رأينا شيئًا من ذلك عند ثلاثي أضواء المسرح: سمير وجورج والضيف.. وقالوا: شالوا ألدو جابوا شاهين.. ألدو قال مانتوش لاعبين وهي عن الأسماء القديمة والتي لا يعرفها المتفرجون هذه الأيام.. ولكن هناك هتافات مثل: زمالك يا مدرسة فن ولعب وهندسة.. الأهلي حديد. قاعدين ليه ما تقوموا تروحوا.. وهتافات أخرى كثيرة بنت اللحظة.. أي أنها ولدت وسجلت وهتفوا بها فورًا..

أما في السياسة أو في المظاهرات فقد أصاب العقم الجماهير العربية كلها في كل مكان.. ولم يجدوا إلا هذا الهتاف الممل: بالروح

بالدم نفديك يا مش عارف مين.. وهو هتاف سخيف وكاذب.. فلا أحد يفدي أحدًا لا بالروح ولا بالدم.. والجماهير تكذب والحكام يعلمون ذلك! وفي بريطانيا جعلوا مكافأة مائة ألف جنيه لمن ينظم الهتافات في قصيدة واحدة أو أغنية.. المهم أن يسجلها الشاعر لتبقى. فهذه الهتافات التلقائية البليغة قد تولدت بصدق ويجب أن تبقى..

وفورًا أخذ بعض النقاد يجمعون الهتافاتَ الإنجليزية والفرنسية والبرازيلية من كل الملاعب. استعدادًا لتقديمها مادة جاهزة غنية لمن يريد أن يكون شاعر الملاعب.. فتبقى ما بقيت الملاعب.. وقد أعلن ملحنون ومطربون استعدادهم لتلحينها ونشرها. فيضيفون الموسيقى إلى الطرب إلى الرياضة!

تعالـــي بالطائـــرة بسرعـــة!

للتاريخ أسجل أن الصديق عباس الطرابيلي رئيس تحرير (الوفد) كان أسبق من برنامج (من سيربح المليون). فقد كان – ولا يزال – يقول أعطني مائة ألف جنيه وأنا أردها لك مليونًا بعد سنة أو سنتين لا أذكر بالضبط. ونحن نضحك وهو جاد فيما يقول. وحجته في ذلك أنه دمياطي. وأن لعبة توليد الفلوس من الفلوس هي موروثهم القومي.. كيف يولد المليون من الألف؟ هذا هو الفن. ولم يلق أي رد فعل إلا الضحك. وهو لا يضحك. ولم يحاول أو يغامر أحد بذلك.. وطبيعي أن نتساءل إذا كان هو قادرًا على تحويل الألف إلى مليون، فكم مليونًا يملكها الأستاذ الطرابيلي؟

وفي بريطانيا ظهر كتاب بعنوان: التاريخ الطبيعي للأغنياء بقلم ريتشرد كونيف (منشورات هاينمان). وفي الكتاب دراسة جسمية ونفسية واجتماعية لمئات من أصحاب الملايين. كيف بدأوا أو كيف ورثوا أو كيف جمعوا المليون إلى المليون ووقفوا فوقها يتسولون راحة البال والصحة والأولاد والرحمة من الناس الذين يعجبون بهم أحيانًا ويعجبون لهم أحيانًا.. يحبون سيرتهم ثم يحقدون عليهم.

وليس الغرض من الكتاب أن تكون غنيًّا. وإنما أن تعرف كيف استطاع بعض الناس.. وليست بينهم صفات مشتركة.. فهناك أغنياء

طوال عراض، وهناك أقزام.. وهناك متعلمون جدًا. وهناك يا مولاي كما خلقتني. وإن كانوا جميعًا عندهم إصرار وصبر وثقة بالنفس. وهناك أغنياء يغرقون في شبر ماء. فقد حكي عن مليونير كان في لندن، فاتصل بسكرتيرته في نيويورك وقال لها: عندي مشكلة.. مفيش ورق تواليت.. تعالي في أول طائرة!

وهناك أغنياء لا يعرف كم عدد الفلوس في البنك ولكن يعرف بالضبط كم عدد الفلوس التي في جيبه والتي في مكتبه. وهو لا يعرف كيف تتكدس الفلوس في البنوك ولكن يعرف إذا وقعت الفلوس من يده.. كم منها في يده وكم منها تحت قدميه.. أما الذي يبشرنا به الأستاذ الطرابيلي ففوق كل ذي علم عليم.. وهو لم يتوقف عن الدعاية، ولكن أحدًا لم يتقدم ليربح المليون!

لأسباب أخرى!

الملكة ماري أنطوانيت كانت تشكو من التهابات تحت الإبط، فكانت تمد ذراعها ليقبلوا يدها وتجعلها عالية. وصارت تقليدًا في البروتوكول. وعادة قومية. مع أن السبب شيء آخر. ولما ظهرت مزيلات العرق، انخفضت الذراع وانحنى الرجال يقبلون الأيدي!

وليس هذا هو الحادث الشخصي الوحيد في التاريخ الذي صار عادة وتقليدًا عند الناس. بل هناك ما هو أخطر في الفن والفكر. فمثلا مدرسة الانطباعيين في الرسم.. أي اللوحات التي هي مساحات لونية غير محددة.. بقع حمراء وزرقاء.

وقد اعتبرها المؤرخون ثورة على الرسم التقليدي. وكان يتزعم هذه المدرسة في فرنسا: رنوار وسيزان وديجا ومونيه وماتيس وغيرهم. أما السبب الحقيقي لهذه الثورة فهو أن كل هؤلاء الفنانين ضعاف النظر وكلهم كان يضع منظارًا غليظًا على عينيه.. ولو خلعه لرأى الدنيا تغوص في بحار السحب الحمراء والزرقاء!

وكذلك مدرسة اللامعقول في المسرح.. أو مدرسة العبث. وأساسها أن الناس في عزلة. وأنهم حتى إذا كانوا في حوار (ديالوج) فإن كل واحد يتكلم كما لو كان وحده.. أي في حالة (مونولوج). وأكبر دليل على ذلك مسرحية (في انتظار جودو) وفيها يجلس اثنان معًا.

ويتكلمان كأنهما وحدهما.. وفي مسرحيات أخرى يظهر أناس يكلمون المقاعد الخالية.. كأن أحدًا لا يجلس على هذه المقاعد..

فالناس وحدهم. والدنيا صامتة صماء كأن لا يوجد أحد. وأصبحت هذه النظرية هي وصف حال سكان المدن الكبرى والعمارات. فلا أحد يعرف أحدًا.

ولا يريد – هذه هي النتيجة.. وهذا هو المرض النفسي وهذه إحدى علامات الحضارة الغربية..

أما السبب فهو أن كل زعماء مدرسة العبث الأدبية من الأجانب: يونسكو من رومانيا وبيكت من أيرلندا وأداموف من روسيا وأربال من إسبانيا، يتحدثون الفرنسية - وهي لغتهم الثانية.. وأكثرهم لا يعرف كيف يتكلم الفرنسية.

فكأن هؤلاء الفنانين والأدباء قد فرضوا عجزهم علينا. وبأسلوبهم الجديد جعلونا نرى دنياهم كأنها دنيانا.. أما الأسباب فهي جسدية نفسية شخصية!

الدينوقراطية – أو حكم الدين أو رجال الدين – وهو بعبع أمريكا في الشرق الأوسط. مع أنه لا يوجد حكم ولا دستور قد تجرد من القيم الدينية.

ولكن الخوف أن يكون على رأس الدولة مشايخ وملالي – إيران مثلًا. أي حكم التطرف الديني والإرهـاب. وقد التصقت بالإسلام والمسلمين ظلمًا كل عمليات الإرهـاب قديمًا وحديثًا. ونحن لا نستطيع أن نكابر وأن نكذب أنفسنا. فقد أصابنا من الإرهـاب الكثير من الدمار والخراب. ولم يكن ذلك بسبب الدين، وإنما بسبب فهم خاطئ لتعاليم الدين. ولا يزال الفهم الخاطئ صغيرًا حتى ننظر إليه بعيني الفقر والقهر. فيصبح كبيرًا خطيرًا..

ولذلك يجب أن نبدأ من هذه النهاية إذا رفعنا العناء والقيود عن المعدة والعقل فإن التعصب سوف يخرج من الباب والنافذة. ولم يفسد علينا حياتنا إلا مثل هذه العبارة: أنت مسيحي وأنـا مسلم أو العكس.. أنا وأنت.. أنتم ونحن. ولكن العلم والنور والتسامح يجعلنا نقول: نحن معًا دائمًا..ولا نقول: يا أنا يا أنت.. بل أنا وأنت معًا من أجل حياة أفضل ومستقبل أجمل وسلام أشمل بين كل الأديان...

وسوف نرى العجب في العراق بعد صدام حسين.

هل سيكون العراق جمهوريًا اتحاديًا أم يعود إلى الملكية.. وكيف يوزعون الثروات والسلطات بين الشيعة والسنة.. والشيعة أكثر من نصف الشعب العراقي.. والشيعة ليسوا على رأي أو نظرية واحدة فهم أيضًا: فرق وحوزات.. ومشاكل أهل السنة وهناك الأكراد والتركمان والسريان وجماعات الانتقام والجواسيس والخونة والعائدون من لندن وواشنطن وتل أبيب وأغنياء الحرب الأمريكية؟!.

ولا أحد يعرف ما هو الفرق بين الديمو ـ قراطية أي حكم الشعب والدينو ـ قراطية أي حكم رجال الدين. الأمريكان وحدهم هم الذين سوف يقررون المعادلة: كم من الشعب وكم من رجال الدين وكم من خارج الشعب وكم من الذين لا دين لهم ـ سوف نرى عجائب المخلوقات على منابر الحكم في بغداد! وأخطر مما يحدث في بغداد ما سوف يقع في الدول المجاورة. فإن لم يكن العراق نموذجًا ناجحًا، فهو نموذج للفشل المدمر لكل الدول العربية..

مصطفى
كمال حلمي

طبيعي كل سنة في الجلسة الأخيرة لمجلس الشورى أن يقدم د.مصطفى كمال حلمي رئيس المجلس حسابه الختامي. وهو على يقين، ونحن أيضًا، أنه كان رفيع المستوى عظيم الأداء. هو قال. ونحن نشكره على ذلك.. وقد سبقنا إلى الامتنان إلى رئيس الوزراء والوزراء والمعارضة وحزب الأغلبية. وفي كل سنة.. نتفق جميعًا على مختلف ألواننا السياسية والفكرية على أن د.مصطفى كمال حلمي نموذج للأستاذية والرياسة والحكمة. وكيف اتسع صدره وكيف كان هادئًا عاقلًا.

وكيف.. وكيف؟ ودهشتنا وعجبنا لا ينتهي لهذه النوعية الفريدة من مخلوقات الله.

... وأينما جلسنا فنحن نتبارى في وصف هذا الأستاذ الفاضل: كيف لا يغضب..

كيف لا يضيق.. كيف لا يمل... إننا نستمع إلى خطب ومداخلات متكررة تبعث على الدهشة وتبعث على الغيظ.. ومن بعيد ننظر إلى د.مصطفى كمال حلمي إنه هو هو.

....كأنه يستمع إلى أم كلثوم أو عبدالوهاب. سعيدًا؟ شكله كده! معقول؟ آه هذا هو المعقول لأنه رجل من طراز آخر. أذكر أن فنانًا

كبيرًا سأله: هوه حضرتك يا دكتور بالشكل ده طول عمرك؟ وضحك وضحكنا. نعم هو كذلك طول عمره. إذن هذا من حظنا في مجلس الشورى..

مرة واحدة ترك د. مصطفى كمال حلمي مقعد الرياسة ووقف بين الأعضاء ليصحح قضية علمية – وقد تخصص في الكيمياء. وكان من الممكن أن يقول رأيه وهو على المنصة. ولكنه كرجل يعرف الأصول. وجد أنه من الضروري أن يقول رأيه العلمي بعد أن فرغ كل الأعضاء من آرائهم واجتهاداتهم. ومن النادر أن يضع رأيه قبل أن يفرغ الأعضاء من رأيهم موافقين أو معترضين..

يعني إيه؟ يعني نحن سعداء بحكيم مجلس الحكماء هذه الأعوام الماضية والأعوام المقبلة. أذكر أنني سمعت ما أعجبني من أحد الأعضاء فرفعت يدي كأنني أصفق ـ ولم أصفق. فجاءتني ورقة من د. مصطفى كمال حلمي فيها عبارة رقيقة يقول فيها: سيادتك تعلم أن التصفيق ممنوع في مجلس الشورى.. وبعد الجلسة شرحت له أنني إنما أردت أن أبدي إعجابي دون صوت. وكان رده: أنا خشيت أن يكون سيادتك قد نسيت – منتهى الذوق والأدب والتسامح!

جنـــازة لذبابـــة!

خبر صغير يوجع القلب. فقد نشرت الصحف العالمية أن كلبًا لأسرة عراقية تجرأ ونبح على القوات الأمريكية فقتلوه.. وحزنت عليه الأسرة وأقامت له جنازة. ولم تجف الدموع - انتهى الخبر. والخبر ليس غريبًا على الذين يحبون الكلاب - وأنا واحد منهم. وقد مات لي خمسة كلاب في ظروف غريبة. وحزنت عليها. وبرغم ذلك فإنني عازم على اختيار كلب صديق، من المؤكد أنه صديق.

وأذكر أنني ذهبت لزيارة محمد نجيب أول رئيس لمصر. فوجدت في أحد أركان حديقة البيت لافتة وعليها هذه العبارة: هنا يرقد أعز أصدقائي من الكلاب! وفي مستشفى العباسية تجد مقابر للكلاب. تلفت نظرك، العبارة المكتوبة على كلب كان يملكه د.هاشم فؤاد عميد كلية الطب. تقول: إلى جنة الخلد يا كوكو - وعبارات أخرى من قلوب حزينة!

وفي التاريخ أن الشاعر اللاتيني فرجيل (70 – 19 ق.م) قد أقام جنازة لذبابة.. أتى بالموسيقيين والمغنين والمنشدين والمعددين الذين يتحدثون عن محاسن الفقيدة.. كيف كانت ناعمة رقيقة لا تضع أقدامها إلا فوق الرءوس، ولم تكن سببًا في إيذاء أحد.. بل إنها كانت تطن عند كل مرة، أي تستأذن في أن تهبط على الرأس لحظة

أو لحظتين.. وكان الشاعر فرجيل يملك أرضًا واسعة، وأقام للذبابة مدفنًا فخمًا.. وكتب لافتة تقول: هنا ترقد أعز صديقاتي! ويقال: إن الشاعر كانت عنده أسباب أخرى. فالقانون الروماني لا يحصل ضرائب عن الأضرحة والمقابر. فحتى يهرب الشاعر من الضرائب جعل الأرض كلها مقبرة للذبابة!

ومحبو الكلاب معذورون.. إنهم يجدون فيها كل ما يفتقدونه بين الناس من لطف وحب وامتنان.. والقاعدة: كلما عرفنا الكلاب ازددنا كراهية للإنسان!

أما أشهر جنازة في التاريخ، فهي عندما ماتت الكلبة لايكا في إحدى سفن الفضاء الروسية.. تحولت السفينة إلى نعش، والنعش يدور حول ملايين المشيعين!

وسقـــط
الاثنـــان

إنها قصة سيارتين.. الأولـى اشتراها أبـو مـازن رئيس وزراء فلسطين.. مرسيدس مصفحة. فهو يخاف من الرصاصات الصديقة. السيارة وقفت على الحدود، اعترضها الجنود. السبب: أن حكومة فلسطين لم تسدد الكثير من الديون الجمركية. فأمر نيتانياهو وزير المالية بمنع السيارة.. يا الدفع يا العودة من حيث أتت. وتدخل شارون فسمحوا للسيارة بأن تذهب إلى محمود عباس.

السيارة الثانية. انطلقت عليها ستة صواريخ أصابت الزعيم الديني الدكتور الرنتيسي أحد أقطاب حماس. وأصابت ابنه وقتلت مرافقًا له وجرحت ستين مدنيًا بريئًا. ومن المستشفى أعلن الرنتيسي أنه لابد من الانتقام وأنه لا راحة لليهود إلا خارج إسرائيل. وأعلن رئيس الـوزراء: أن هـذا إرهـاب إجرامـي ـ على مهلك في فهم هذا المنطوق في الأسبوع الأول لشهر العسل بين فلسطين وإسرائيل.

أما الرئيس بوش فقد أعلن أنه في حالة (قلق) ..القاف الأولى لأبي عباس والقـاف الثانية لشارون، أمـا الـلام فهي للشرق الأوسط ومستقبل السلام ومستقبله الانتخابي ومستقبل صديقه توني بلير.. وكلاهما يعاني إعلان الحرب على العراق دون سبب.. فلا أسلحة دمار شامل ولا علاقة للعراق بابن لادن!

وسوف يسقط بوش وبلير في وقت واحد حتى لا يمضيا في خرافة، (خريطة الطريق) ..إلى الهاوية! انتهت حكاية السيارتين.. أما الأهم من كل ذلك فهو هذا السؤال: من الذي أبلغ إسرائيل أن هذه سيارة د. الرنتيسي.. من الذي حدد أوصافها وركابها ومسارها؟ وقبل ذلك عشرات السيارات. وأنه وأنهم عملاء إسرائيل من الخونة الفلسطينيين. فهم أيضًا لا يريدون السلام، لأنهم يكسبون من أن يبقى الحال على ما هو عليه وأسوأ! وليست مفاجأة. فلا شارون يريد السلام ولا الخونة. وإن كان شارون قد صدق وعده للرئيس بوش فهو ماض في الهدم.. هدم بيوت الفلسطينيين.. وبعض المعسكرات التي أقامها الطلبة. والرئيس لا يعرف ما الفرق بين المستعمرات والمعسكرات.. فإذا كانت المستعمرات من خشب فالسلام من ورق.. ويا قلبي لا تحزن كثيرًا، وإنما كثيرًا جدًا..

لا

ســــلام!

جاء لك كلامي: ولد السلام غريبًا وسيعيش غريبًا ويموت كما بدأ. ولا خلاف بين كل رؤساء إسرائيل وأمريكا في إبعاد السلام قدر استطاعتهم عن هذه المنطقة. لماذا؟ لأنه لا توجد دولة فلسطين. هكذا قالت جولدا مائير وغيرها كثيرون.. وشارون أسوأ واحد في هذه المجموعة. وهذا سر تمسك شعبه به. فهو رجل يدافع عن أرض الميعاد التي تتسع يومًا بعد يوم. فقد ابتلعت جزءًا من فلسطين. وأضيفت لها العراق. فأكثر الذين يديرون شئون العراق اليوم هم العراقيون اليهود.. هم الذين رسموا وخططوا وتقدموا وأداروا وقرروا واستقروا!

ولن تهدأ الأوضاع في العراق في وقت قريب. وسوف تحاول إسرائيل برجالها وأفكارها أن تبقي على الخلافات الدينية والعرقية حية تسعى بينهم بمزيد من التمزقات. وقد يأتون لهم بملك مثل ملك أفغانستان. وسوف يجدون من يهتفون: يحيا الملك ويسقط أي رئيس قبل وبعد صدام. وطبل وزمر وفرحة وزفة، والأغاني تقول: العراقيون أهمه وبالروح وبالدم نفديك يا جلالة الملك.. ولن يتقدم أحد إلى خريطة الطريق.. لن يعلقها على حائط.. لا حائط العراق ولا حائط البراق.. وإنما سيشيعونها إلى مدافن العظماء في القدس (المحتلة) وهي صيغة يقبلها العرب.. أما إسرائيل فمثل أمريكا لا ترى ذلك.. وقد

تفضل الرئيس بوش مشكورًا ومبهورًا فوصف إسرائيل بأنها الدولة (التوراتية) شديدة الحيوية. ومعنى هذه الصفة للدولة العبرية أنها دولة اليهود لليهود ومن أجل اليهود. أما المسلمون والمسيحيون فالباب مفتوح يتسع لجمل وفيل. ثم يستنكر الرئيس الغضب الذي يؤدي إلى العنف، والعنف الذي هو مقدمات الحرب.. وأن الرسالة المقدسة التي يحملها الجيش الأمريكي إلى المنطقة هي نفس رسالة نابليون وموسوليني وهتلر إلى مصر: إنه جاء ليخلص الشعوب من حكم المماليك والبكوات، وجاء ينشر العدل بعد أن امتلأت الأرض ظلمًا وقهرًا!

والآن: لا طريق إلى الخريطة ولا طريق منها، وإذا كانوا قد ضحكوا علينا فقد ضحكوا قبلنا على الرئيس المؤمن: جورج دبليو بوش!

ضـــاع
عمـــره

السيد الفاضل والكاتب الكبير:

تحية طيبة وبعد، عهدنا سيادتكم فارسًا من فرسان الكلمة الذين يحرصون على الحقيقة ونقلها للقراء، ونود أن نوضح لسيادتكم معلومة جاءت في مقالكم بتاريخ 2003/5/5 نقلا عن الشاعر العراقي يوسف عزالدين. الذي يتشابه اسمه مع الأديب الدكتور يوسف عزالدين عيسى بخصوص مستحقاته في الهيئة العامة للكتاب. فالدكتور يوسف عزالدين عيسى لم يسافر إلى القاهرة منذ عام 1984 إلا مرة واحدة بمرافقة ابنه، لتسلم جائزة الدولة التقديرية من سيادة الرئيس محمد حسني مبارك في عام 1991 وذلك لإصابته بكسر في ساقه في 1984 ترتب عليه تركيب مفصل صناعي، مما أدى إلى صعوبة في الحركة ومعاناة شديدة استمرت معه حتى رحيله في 1999، ولا تزال مستحقاته من الهيئة العامة هناك حتى الآن، لم يتسلمها أحد، وليس في نيتنا المطالبة بها ونتمنى أن تساعدوا دائمًا في إظهار الحقيقة وإنصاف الأديب الدكتور يوسف عزالدين عيسى الذي عرف عنه ترفعه عن المادة، الذي اختار بمحض إرادته أن يعيش في هدوء بمدينة الإسكندرية بعيدًا عن صخب العاصمة.

أسرة الدكتور يوسف عزالدين عيسى

ثم جاءني من لندن خطاب من د. يوسف عزالدين يقول: ذهبت إلى مكتب د. سمير سرحان، وحاول أن يعثر على مخطوطة كتابي: شعر فهمي المدرس، وكتاب (الحداثة) فلم يجدهما.. كما أعطيته مجموعة من القصص القصيرة باللغة الإنجليزية. وأرجوك أن تأمر مدير مكتبك بأن يبحث عن أصول هذه الكتب في أحد أدراج مكتبك. فمن يدري ربما وجدها.. أو تعاود مطالبة د. سرحان بأن يفتش في أدراج مكتبه. ولك الشكر.إنها - إذن - قضية د. يوسف عزالدين العراقي مرة، ومع أسرة يوسف عزالدين المصري، ومرة مع د. سمير سرحان، ومرات معي أنا. ولا أعرف بأي هذه المشاكل نبدأ. وأنا أعلم أن ضياع هذه الكتب خسارة فادحة. أما الفلوس فلا شيء. ولكن الشيء هو هذه الأعمال الأدبية التي تستحيل كتابتها مرة أخرى. وكما نرى قد تحولت من حارس على خزائن يوسف إلى أحد اثنين متهمين بتبديد ثروة مادية وأدبية. ولكنه صديق جليل قد أضعنا من عمره عشر سنوات.. ولا يجدي الأسف!

هؤلاء الفنانون

الفن: أعظم. يحيا الفن.. منذ يومين ذهب أحد الخنافس المطرب ماكارتني وزوجته إلى موسكو، وفي الميدان الأحمر راح يشدو بأغنيته الشهيرة: رجعنا إلى الاتحاد السوفيتي. وتجمع عشرون ألفًا يصفقون ويرددون أمام قبر لينين. ولو كان لينين حيًا لسقط ميتًا مرة أخرى. فقد حرم هو وكل خلفائه مثل هذه الموسيقى لأنها نموذج للانحلال الغربي!

وأذكر أنه في أحد أيام الزعيم خروشوف ذهبت إلى موسكو. وأرادوا أن يدلونا على التقدم الروسي والاتجاه إلى الغرب فأخذونا إلى فندق روسيا لكي نرى اثنين من الشبان يرقصان الروك أند رول – تصور!

أهم ما في زيارة المطرب ماكارتني هو أن يقوم الرئيس الروسي بوتين بدور المرشد السياحي له ولزوجته، ليروا عجائب قصر الكرملين. وأهم ما في الصورة التي نشرت لهم: سعادة وبهجة وأناقة الرئيس الروسي. فهو في هذه اللحظة ليس رئيسًا ولكنه يمارس العزف أيضًا.

وينظر إلى ماكارتني مبهورًا. وهذا هو الجانب الذي لا يعرفه الناس عن السياسي الكبير.. وكذلك كان الرئيس كلينتون ورئيس وزراء بريطانيا توني بلير.. وقبلهما كان إدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا،

لقد كان يعزف على البيانو ويقود الفرق الموسيقية.. ولما قاد الفريق القومي للتجديف فشل في إحدى المرات، فلم يقولوا: إنه رئيس وزراء فاشل وإنما هو رجل رياضي يكسب ويخسر! وربما كان الملك الحسن الثاني أكثر تميزًا. فقد كان عازفًا ومطربًا. وكان يحب العازفين والمطربين. وفي حفلاته في القصر الملكي كان يقود الفرق الموسيقية.. وهو في ذلك مغربي صميم.. فالمغاربة يحبون الموسيقى والطرب وأولاد نكتة ـ ربما كانت المغرب هي أكثر الشعوب المغاربية فرفشة وحبًّا لكل أشكال الغناء والطرب والرقص. فإذا كان الموت يقهر السياسة فإن الفن أقوى من الموت!

لابـــد مـــن
التفـــاوض

لابد أن يحتار القلم في يد الكاتب، أو الكاتب في يد القلم. ما الذي يقال.. ما الذي لم يقله.. ولماذا لا نسكت ما دمنا لا نجد كلامًا مفيدًا جديدًا.

المصيبة أن الذي يقع في فلسطين لا يمكن السكوت عليه.. فلا توجد طريقة مبتكرة للبكاء. ثم إن الدموع كالدماء لا تجف. فالآباء والمدرسون والأطباء لا شعبية لهم عند الأطفال. لأنهم لا يكفون عن النصيحة. والسياسيون لا شعبية لهم عند الكبار. لأنه من الصعب أن تفرق بين صدقهم وكذبهم. وهكذا ترى أنه على الرغم من أنني لا أريد أن أقول شيئًا. فقد قلت وسوف أمضي حتى نهاية هذه المساحة.

فالصعوبة أن يكون كلامًا بالعقل لمن أفقده الظلم عقله.. من الصعب أن تطلب من يد مرتعشة أن توقع بوضوح على سطح الموج الهائج.. (حدث في التاريخ مرة واحدة.. عندما ذهب أحد المستشارين إلى الملك فاروق ليوقع على وثيقة النزول عن العرش. فارتعشت يده فجاءت الحروف مرتبكة. فما كان من السيد المستشار الساذج إلا أن طلب من الملك أن يوقع مرة أخرى. وكانت أول مرة في التاريخ لملك أن يوقع مرتين على ورقة واحدة) !

ما الذي نقوله لفلسطين وإسرائيل. نطلب إليهم أن يعيدوا التاريخ.. فقد اتفق السادات وبيجين على قاعدة بسيطة: أن كل شيء قابل

للتفاوض. لابد من الجلوس معًا في هدوء.. وجلسا واختلفا واتفقا وهدد السادات بأن يلملم أوراقه ويعود إلى مصر. وهدد بيجين. وجمعهما الرئيس كارتر. وعادت إلى مصر أرضها وسط مظاهرات فلسطينية تهتف ضد السادات الذي باع القضية.. وعندما عادت كل أرضنا إلا طابا تعالت الهتافات في الضفة والقطاع ضد العميل الذي باع طابا وأودع ثمنها في البنوك السويسرية. وعادت إلينا طابا بالقانون الدولي مع عظيم الاحترام!

يعني إيه؟ يعني ما لم تسكت المدافع وتخرس القنابل في فلسطين وإسرائيل.. شهرًا أو عشرين شهرًا فلا أمل في أي حل.. فالدولتان اللتان هاجمتا إسرائيل يوم ميلادها هما مصر والأردن. واليوم تعيش الثلاث في سلام نتمناه لدولة فلسطين. إن الذي يحب فلسطين وشعبها المكافح المستنير هو الذي يرجوه ويتوسل إليه أن يتوقف ليفاوض. ولا توجد ولن توجد أية وسيلة أو خريطة أخرى للسلام إلا على مائدة المفاوضات!

لابـــد أن نتفـــق

ذهب الزمن الذي كان يقال فيه لابد من إلقاء اليهود في البحر، وذهب الزمن الذي قال فيه تيتو إن كل من يفكر في إلقاء اليهود في البحر، يجب أن يبدأ بإلقاء أمريكا، فلا اليهود قوة خارقة ولا أمريكا. فقد استطاع الفلسطينيون ترويع اليهود وبهدلة الأمريكان، فلا أحد أكبر من الغضب، ولا أحد أبعد من الانتقام. فالسلاح في الأيدي يقتل كل أحد، والأمريكان يموتون في العراق، والأمريكان يزرعون الحقد والغضب والانتقام في العراق، وفي فلسطين، وفي الشرق الأوسط علنًا وسرًّا وأملًا.

والشعب الفلسطيني ليس من أعز أهدافه أن يموت من أجل أبوعمار ولا أبومازن، وإنما أبوعمار وأبومازن فداء للشعب الفلسطيني.أنا أعرف أنني أهمس في أذن الريح، ولكن لابد أن نقول وأن نتحدث عن الممكن الصعب.. أملًا في المستحيل الأصعب، وليس سباق الموت هو سباق الحياة، وليس الذي يملأ جيوب الأطفال بالحجارة، والكبار بالرصاص، هو دائمًا الذي يتمنى الحياة والأمن والحب والرخاء للشعب الشقيق. إننا دائخون مثلهم، وحائرون أكثر منهم، وإن كانوا هم الذين يموتون صغارًا وكبارًا، ولابد من الكلام الذي لا يحبون أن يسمعوه، ولكن هذا هو الكلام الصحيح. إن روشتة الأطباء ليست قصائد شعر، ولا هي أغنيات أم كلثوم وعبدالوهاب، وإنما هي معادلات لاتينية

جافة، ولكن لا علاج بغيرها، وكما أن الروشتة لا جمال فيها، فالدواء مر، والداء ليس هو الدواء.. والقتل ليس هو الحياة..

والمثل الشعبي المصري صحيح في السياسة، وفي الحب، وفي الحياة، وهو أننا نفضل من يسلينا ويبكي علينا، على الذي يضحكنا ويضحك الناس علينا، ونحن لا نريد أن نبكي لشعب فلسطين وعليه، ولا نحن نضحك له ونضحك عليه، وإنما نحن نتمنى لشعب فلسطين ما نتمناه لأنفسنا. فمن حقه أن يكون له وطن على أرضه ودولته، وأن يعيش، وأن يستريح.

ولكن.. لابد من هذه الكلمة التي تقف في الحلق وتؤلم الأذن والعين.. لابد أن نتفق على أن نتوقف، وأن نجلس، وأن نحاول دون يأس، ولا حل آخر، ولا كلام آخر أيضًا!

فاطمـــة المرنيســـي

مفاجأة أدبية جميلة، فلم أكن أعرف الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي، وعرفتها من كتبها. والله إنها لمحترمة عالمة وأديبة، ولا أظن أن لها نظيرًا في الشرق العربي، قرأت لها ثلاثة كتب، أحبهما الاثنان: (شهرزاد)، والثاني (الحريم السياسي).. فهي على علم عظيم بالتاريخ العربي والإسلامي. ولها آراء جديدة ونتائج مبتكرة. وهي جذابة. فأنت لا تمل قراءتها. ولا تضيق بكثرة المراجع والنصوص في الهوامش. وعلى الرغم من أنها تكتب بالفرنسية فإن الترجمة العربية جيدة، ولا أعرف مدى قربها أو بعدها عن النص الفرنسي، ودور المترجم شاق. ولكن النتيجة بديعة. والسيدة فاطمة المرنيسي شديدة الاعتزاز باللغة العربية وبالتاريخ وبدينها، ومن يقرأ لها، يسعده كثيرًا أن تكون من بين الأديبات العربيات من بلغ مستواها الأدبي والعلمي والفلسفي.

وفي الكويت تلقيت كتابين من كاتبة لا أعرفها. ولا أتوقع أن تكون هكذا تجمع بين العبارة السهلة وتخصصها في الرياضيات البحتة. قلبت في كتابها (كوكب ساسون) وهو من الخيال العلمي، ولم أكن أتوقع أن أرى أو أجد شيئًا له قيمة. ولكني قرأت صفحة وعشرين ومائة صفحة. شيء عجيب حقًا. فالعبارة سهلة برغم

صعوبات الموضوعات. والكاتبة أديبة وعالمة ولما قرأت قصة حياتها لم أجد أنها كانت صحفية تدربت على الممارسة اليومية ومواجهة أقل الناس ثقافة. إذن هي موهوبة. وبس. وطلبتها لأراها. وجاءت السيدة أو الآنسة طيبة الإبراهيم. وأبديت لها دهشتي. وكانت تضحك وتتحرك وتتكلم بسرعة، ولم تشرح من أين جاءتها السهولة في العبارة، وإنما تتحدث عن رواية ثالثة من الخيال العلمي عن معنى الزمن.

وسألت عنها، وقيل إنهم يقرأون عنها.. وبعضهم قال إنها ليست هي التي تكتب. تمامًا كالتهمة التي وجهت إلى أديبة فرنسا مدام كوليت، عندما قالوا إنه زوجها. ولكني لا أصدق أن كاتبًا يعرف كيف يكتب وكيف يقول يخفي نفسه وراء كاتبة نسيت أن تسوي شعرها وتشتري فستانًا أحسن.. لابد أنها هي.. فقد تفرغت تمامًا إلى العلم والأدب ونسيت مظاهر الحياة. إنها ظاهرة أدبية علمية تستحق الاهتمام والحفاوة بها.

محمـــــود
مرســـي

كان قادمًا من باريس. تقابلنا في أحد المطاعم، بادرني بقوله: وبعدين؟ فقلت له: يعني إيه؟ قال: ماذا أعمل؟ فطلبت إليه أن ينتظر، وسألني: والآن؟ فأشرت عليه أن يقزقز قرطاسًا من اللب. وظللنا نقزقز في شوارع سليمان باشا، وقصر النيل، وثـروت، وعدلي. والممثل القدير محمود مرسي أحد الممثلين الذين تخصصوا في الفلسفة، هو من جامعة الإسكندرية، وفرحات الشهير بدكتور شديد من جامعة القاهرة، وتلميذي محمد عوض من جامعة عين شمس.

ويومها كتبت مقالًا في مجلة الكواكب بعنوان: محمود مرسي: ست شخصيات تبحث عن مؤلف. وفي خمسين عامًا وجد 25 مؤلفًا سينمائيًا. أما الشخصية التي لم تعجبني فهي شخصية الأستاذ العقاد في مسلسل العملاق، فقد ظهر العقاد ذئبًا، مع أنه لم يكن كذلك، فعدد النساء اللاتي عرفهن العقاد أقل مما يعرفه طالب صغير.

والذين عرفوا محمود مرسي يتفقون على أنه كان مثقفًا قوي الشخصية حيويًا عصبيًا، وكلها مؤهلات لوجع القلب وضعف الصحة.

ولقد مات محمود مرسي وهو يمثل، كما يموت البحار في السفينة، والطيار في السماء، والجندي في الجبهة، والرهبان في

الصوامع، وكانت عندنا فكرة قديمة وهي أن نختار معًا إحدى قصص الحب في التاريخ ليقوم هو بدور الفيلسوف العاشق. وفي قصة الراهب إبيلار وتلميذته الراهبة هلويزة، وبرغم الصعوبات التي في مثل هذا العمل، والأحداث التي من الصعب الإشارة إليها، أو إغفالها، ولكن قررنا وأجلنا. وجاء القدر.

٥آ

في كل مستشفى!

قبل أن أحدثك عن مأساة التمريض في مصر – مأساة الممرضة نفسها، والمرضى أيضًا – أريد أن أحكي لك قصصًا وغرائب وطرائف وعجائب عن الممرضات في بلاد أخرى. فعندي تجارب. كان أول عهدي بالمستشفيات في طوكيو. كنت مرهقًا وأنا موسوس بطبعي، وكنت في منتصف رحلتي حول العالم أردت أن أعرف سبب الإرهاق الشديد. وكان من الطبيعي أن أكون كذلك، فسألت عن أقرب مستشفى. ودلوني. وجدته نظيفًا جدًّا أنيقًا جدًّا. وكل صفة أخرى يمكنك أن تضيف إليها كلمة (جدًّا)، ولا خوف من المبالغة، ورأيت وتفرجت، وطال انتظاري وسألت وعرفت أنها مستشفى للولادة. والممرضات كعقارب الساعة اليابانية.. كالزهور والفراشات..

وفي واشنطن انحنيت على يد السفير أريده أن يدخلني مستشفى البحرية.. وكانت هناك صعوبات. ودخلت وندمت على ذلك، فالممرضات والممرضون من أبطال الأثقال وكمال الأجسام. وأنا كنت مثل زجاجة أو طشت ينقلونه من غرفة إلى غرفة، ومن حين لآخر يلطعون على قفاي أو على خدي أو في رقبتي علامة تدل على أين كنت وإلى أين أنا ذاهب، أنام وأصحو وأجدني على كرسي له عجلات، وأنني مندفع إلى كل الاتجاهات سواء كنت نائمًا أو أتمنى ذلك: فالحقن تدخل في ذراعي والترمومتر في فمي. ولا أجرؤ أن أرفع رأسي لأرى

القوة الغاشمة الدافعة إلى كل الاتجاهات.. إنهم زنوج.. يأكلون السندوتش وأصواتهم غليظة مخيفة..

وبعد أيام وجدتني أمام باب المستشفى الكبير وفي رقبتي معلق كيس به كراس هو قصة حياتي المرضية منذ دخلت هذا المعتقل الطبي العظيم..

ولما عدت إلى مصر دفعني الوسواس إلى معمل د. فتحي الصيفي. سألني: عندك إيه؟ قلت: كل حاجة. ولكنه بوجهه النحيف ـ الذي اختفت منه كل المعالم الودية قال: إيه الكلام الفارغ ده.. عندك إيه؟ فقلت: كل حاجة.. وبعد أيام عدت إليه ليقول لي: مفيش حاجة.. ولما أعطيته الكراسة التي علقوها في رقبتي في مستشفى البحرية غضب جدًا. وقال لي: الله إنت عندك حاجة زي دي.. وبعدين جاي تحلل عندي.. أنت قادم من سوبر ماركت لكشك سجائر. اترك لي هذه الكراسة أتفرج عليها!

دخلت مستشفى الأميرة جريس في لندن. وكان الطبيب هو جراح الأسنان د. جابي جبران مصري وأبوه كان زميلًا كبيرًا في أخبار اليوم. وقبل أن أسافر إلى لندن قابلته في القاهرة. لم يطلب مني أن أفتح فمي. وإنما قال لي هات صورًا للفك السفلي. ذهبت أستنجد بالطبيب البارع د. هشام قنديل. فذهبنا معًا وحصلنا على الصور المطلوبة. وقبل أن أسافر قال لي: أنت سوف تدخل المستشفى تحت اسم مستعار. لاعتبارات أمنية. وفي أول لحظة. ستجيء ممرضة لتعرف تاريخ أمراض الأسنان في أسرتك. وواحدة تقيس لك الضغط.. وواحدة تعطيك مهدئًا.. ثم مهدئًا شديدًا ثم منومًا.. وفي نومك سننقلك

إلى غرفة العمليات. ولن تشعر بأي شيء. وليس من الضروري أن تتألم. فالطب اليوم يرى أن الألم ليس ضروريًا. فلن تشعر بأي شيء حتى تعود إلى مصر.. وسوف تبقى أيامًا هنا وأسبوعًا في الفندق وبعد ذلك سوف أفك الأسلاك التي في الفك السفلي وأراك كل سنة مرة..

تمامًا كما قال لي في القاهرة حدث في لندن. أما الممرضات فنظيفات جميلات نشيطات. بعد نصف دقيقة تكون عندك وفي النهاية سألت د. جابي جبران. إن كنت أقدم لها.. لهن أي بقشيش وكم يكون.. ففزع وقال: علبة شيكولاتة كفاية جدًا.

سألت د. جابي جبران: من أين يأتين بهذه الابتسامة الحلوة ليلًا ونهارًا.. إنني لم أر واحدة تتثاءب ولا واحدة قد دخلت بالزنوبة أو تتساند على الجدران من الإرهاق أو التعب.. أو تفتح عينيها بأظافرها.. ولا تلم شعرها ولا تسلك أذنيها وتمسح أنفها.. يعني إيه هذا كله؟

وكل هذه التساؤلات مصرية صميمة. فلا معنى لها في المستشفى الإنجليزي. فكل شيء مدروس معروف. وهناك قواعد ثابتة.. وكل واحد يعرف بالضبط ما هو المطلوب منه. الطبيب يعرف واجبه وماذا تستطيعه الممرضة. وهي تنفذ بوعي كل ما يريد. وكل شكاوى المرضى تنتقل إلى الطبيب أينما كان. شكوت من حرقان في عيني وبعد لحظات جاء طبيب يكشف على العين فأعطاني قطرة للعين اليمنى وقطرة للعين اليسرى..

داعبت إحدى الممرضات قلت لها: أنا أدعوك إلى عشاء.. أنت تأكلين وأنا أشرب شوربة دافئة! وبمنتهى الجدية أخرجت نوتة من

جيبها. وبعد لحظات تضاعفت ابتسامتها وأشرق وجهها وقالت: ممكن يوم الأحد.. بعد شهرين!!

لم يكن السبب الوحيد في انتقالي بعربة إسعاف من المستشفى إلى المطار، وفي عربة إسعاف أخرى من مطار باريس إلى المستشفى، هو أن جلطة أصابت ساقي، فأمر الرئيس مبارك بنقلي فورًا إلى باريس، وإنما السبب أيضًا إهمال ممرضة، وكان حاضرًا مأساة الإهمال الصديق. هاشم فؤاد. وكدت أموت لولا المعجزة.

هذه الممرضة أتذكرها الآن وكل حين. رأيتها تتقصع وتتساند على الحائط وعلى السرير وتقول لي: ميس سوسن.. أنا الآنسة سوسن. يعني إيه؟ الحقيقة كان لازم تقدم لي نفسها. فليس بينها وبين اسمها أية صلة.. لا هي سوسنة ولا هي زهرة ولا رائحتها زكية ولا تفتح النفس على أي شيء إلا على لعن من أتى بها إلى المستشفى أو إلى غرفة الإنعاش التي نقلت إليها..

وفي باريس دخلت دخول مومياء الملك رمسيس. فأنا نائم على ظهري أرى الشوارع من فوق.. البلكونات.. ولا أرى أحدًا من الناس.. وكنت أتوقع أن يطلق السائق الزمارات الشهيرة لإفساح الطريق.. ولكنه لم يفعل. وعرفت فيما بعد أنه ليست لديه تعليمات بذلك. وعرفت من الطبيب المعالج البروفيسور روشمور أن حالتي كانت في غاية الخطورة: ليس في الرئتين أي أكسجين. فأنا وصلت إلى باريس لكي أسلم الروح وبس.. وأعود في تابوت كالفراعنة..

وحدث لي في مستشفى (أوتل ديو) ما حدث لي في مستشفى البحرية في واشنطن. عربة يدفعها شاب جزائري. لا أكلمه ولا يكلمني.

فهو يعرف كل ما لا أعرفه. فهو يقرأ في ورقة. ويتركني إلى جوار الحائط حتى يجيء دوري. ويجيء الدور وأدخل وأخلع ملابسي وأرتمي على جهاز يدخلني في جهاز وضوضاء وصواريخ وزلازل والممرضة فيتنامية. ويبدو أنها تضحك أو أنها تقول: برافو... أنت لا تشكو.

وأنا عادة لا أشكو بشهادة كل الأطباء لأنني مريض نموذجي. أو كان من الممكن أن أشكو لكن خارت قواي. وداخلني اليأس. واستسلمت.. وجاء دور الممرضات يقلبنني على الجنبين ويفتحن عيني وفمي ليلًا ونهارًا. ولا كلمة مني أو منهن!

وقد تعلمت إذا سمعت صوتًا في غرفتي الصغيرة أن أنهض وأنشر ذراعي وأطلع لساني.. هذه تقيس الضغط وهذه تعطي حقنة وهذه تضع الترمومتر في فمي. كما دخلت الممرضات في هدوء خرجن.

وشكوت للطبيب أنهن يدخلن غرفتي دون إذن. فضحك وقال لي: جميع الغرف أبوابها مفتوحة حتى تتمكن الممرضة من الدخول لترى إن كان المريض في فراشه أو في الوضع الخطأ. فالغرف مفتوحة. وغلقها ممنوع.

وفي يوم افتعلت مشكلة. فجاءت ممرضة وكتبت الشكوى وجاءت ممرضة تتحقق من الشكوى وجاءت ممرضة ثالثة بتعليمات من الطبيب لتتأكد من علامات في الجسم أو اللسان أو الفم. ثم جاء أطباء كل في اختصاصه. وشاهدوا. وكشفوا وخرجوا وبعد دقائق عادوا. وقالوا: لا خوف.. لا شيء!

سألت الممرضة: تتكلمين الإنجليزية قالت: أستطيع أن أفهم. وسألت: وأية لغة أخرى؟ قالت: لغتي.. فأنا تشيكية..

فما الذي رأيت هنا أيضًا: أن الممرضة سريعة الأداء. موجودة في أية لحظة. أنيقة بشوشة. قادرة على الحسم. ومتى يظهر الطبيب. وفي المستشفى أنت تستأجر التليفون والتليفزيون. أما غسيل وكي الملابس فخارج المستشفى أيضًا. ويبقى المستشفى للعلاج فقط.

في يوم جاءت ممرضة ظريفة وسألتني: أنت سوف تخرج بعد يومين. وأريد أن أعرف منك بالضبط.. ما الذي تغير في إحساسك؟ هل تتذكر ما الذي كان يضايقك.. هل تتذكر مخاوفك؟ هل تستطيع أن تقول لي ما الذي اختفى من كل هذه المتاعب..؟ وإن كانت هناك أو هنا أوجاع لا تزال بشكل ما.. هل تشعر بأنك أخف وزنًا؟ هل عندك شيء من الأمان أو الأمل..؟ أو كثير من كل ذلك..؟ هل أنت آسف على الوقت القليل الذي أمضيته معنا. إن طبيبك البروفسور يريد أن يعرف كل ذلك قبل أن يراك لآخر مرة غدًا.. ولم أجد ما أقوله. فالحمد لله!

سألت الممرضة (س.ع.م) ما هي المشكلة. قالت: ليست لديها هي مشكلة. فمهنة التمريض شاقة جدًّا. وفي كثير من الأحوال تبعث على القرف والضيق والملل. والممرضة لا ترى من هذه الدنيا إلا أسوأ ما فيها: مرضى وموتى ودماء وأورام ومغص ودورات مياه. وإنها قد ارتضت كل ذلك. وإنها تعايش المريض أكثر من أحب الناس إليه.

تقول: وبدلًا من أن يكون ذلك موضع تقدير من المرضى وأهلهم وعامة الناس. فهم ينظرون إليها ويعاملونها كخادمة. وإحساس الممرضة المؤهلة علميًا بهذا الامتهان يجعلها تكفر بإنسانية التمريض.. بسبب تعالي الناس عليها: مرضى وأطباء. ثم إنها محسودة من غيرها لأنها تتقاضى الشيء الفلاني.

وقالت: إن الأطباء أنفسهم يحتاجون إلى مساعدة الممرضة التي درست بعض العلوم الطبية.. ولكن عندها تجارب أكثر من الطبيب.. ومعايشة لعشرات المرضى على مدى الساعة. بينما الطبيب يجيء دقائق ويختفي. وبعض الأطباء لا يجد حرجًا في أن يسألها ويستعين بها لكي يفهم.. ولكن أطباء آخرين يتعمدون إهانة الممرضة أمام المرضى.. والشكوى من ذلك ليس لها رد وأحيانًا غير مقبولة..

وتقول الممرضة (أ.ن.ك) إنها تجد متعة في عملها.. وإنها تحب أن تكون إلى جوار المريض وتسعد كثيرًا عندما يكتب له الله الشفاء.. وكثير من الطبيبات يردن أن يكن ممرضات لولا المعاملة السيئة التي سوف يلقينها من الكلية ومن الجامعة ومن بعض الأطباء..

فإلى أن تقوم – لا جامعة المنصورة الباهرة الشابة وحدها وإنما بقية الجامعات – بإصلاح هذا الخلل وهذا الازدراء لمهنة حيوية إنسانية تلقى عظيم الاحترام في كل الدنيا، إلا في مصر.. إلى أن يحدث ذلك فسوف تبقى المهن الطبية في مصر ناقصة والمستشفيات خالية والمرضى أكثر تعاسة ومرارة في انتظار الممرضة الواعية المستنيرة وليس الخادمة أم زنوبة ولبانة!

وهو ممكن بأن نقدم القدوة الحسنة من أي موقع من مواقع العلاج: في العيادات والمستشفيات.

باريس
الجميلة أبدًا!

باريس – زغاريد وصواريخ بريئة تدوي في 25 عاصمة أوروبية. فقد انضمت عشر دول إلى الاتحاد الأوروبي – أي نصف مليار من البشر نصفهم يخرجون لسانهم لأمريكا والنصف الثاني لروسيا.. لقد كانت ليلة نبيلة جميلة في دبلن عاصمة أيرلندا. وقد كانت كلمة رئيسة أيرلندا جميلة – الكلمة جميلة والرئيسة جميلة. وما حدث نموذج رفيع لما تستطيعه الإرادة الواعية برغم الخلافات الهائلة.

وقبلها سنة 1961 اجتمعت دول عدم الانحياز في بلجراد وعددها أيضًا 25 دولة شديدة الاختلاف: فماذا بقي من عدم الانحياز، بقي الانحياز والعدم.

ما علينا! واحنا ما لنا! فلا وجه للشبه بين ذلك والمجمع اللغوي المعروف باسم جامعة الدول العربية!

أما باريس فهي جميلة كما كانت وكما سوف تبقى. وسواء نظرت إلى السماء الصافية والهواء النقي والشوارع المغسولة والأشجار وأوراقها والطيور الآمنة في الحدائق – لا داعي للمقارنة بين التراب والهباب والسحاب الأسود في مصر. ولا داعي أن نطلب من الله أن تكون القاهرة قطعة من باريس. وقد حاولوا أيام الحملة الفرنسية فكنسوا الشوارع وأضاؤها وعاقبوا المهمل والكسلان. وكان ذلك

ماضيًا بعيدًا.. وإني أتساءل: هل في كل مرة أجيء إلى باريس تتكرر كل المشاعر التي تعلمناها من توفيق الحكيم وطه حسين وأحمد الصاوي محمد؟ هل نحن تعلمناها.. أو أنها كذلك: رائحة البن النافذة تهب من المقاهي الشهيرة وتجتاحنا فنصحو ونقول: الله.. أو أنها هي كذلك. لا أعرف ولكن لا باريس من غير المقاهي ومن غير القهوة والكرواسان والصحف أشكالًا وألوانًا في يدك. هل هذا وهم أو أنها حقيقة. لا يهم أن يكون الوهم حقيقة أو تكون الحقيقة وهمًا. إنها باريس الفاتنة الحلوة الشابة أبدًا! وهي الحقيقة المؤكدة. أما أجمل فهي المكتبات فلا أروع ولا أمتع ولا أدفأ ولا شيء يفتح شهية العقل فيفكر ويتخيل وتنشط الأصابع فتكتب.. ولا يرفع قامة الكاتب إلا إذا أحس بهذه الصحبة الراقية من الأدباء والمفكرين والفنانين الذين احتشدوا في كل مكتبة!

ككل مرة سوف تجد فيها ما كنت تتوقعه. فهناك كتب كثيرة عن نابليون.. كتب جديدة. وكتب عن مصر الفرعونية. شيء عجيب. فهذه مكتبة صغيرة. على الرفوف مع كل كتابين عن نابليون أربعة عن مصر الفرعونية. فلا الفرنسيون زهقوا من نابليون ولا شبعوا من إخناتون. لا الكاتب تثاءب ولا القارئ ولا الناشر. لابد أن نتعجب ونعجب.. كيف تيسر لهؤلاء الباحثين الفرنسيين أن يجدوا كل هذه المعاني الجديدة والحكايات المثيرة... إن عدد الكتب التي صدرت بالفرنسية عن نابليون في القرنين الماضيين خمسون ألف كتاب! أما التي صدرت عن مصر الفرعونية فأضعاف ذلك.. وما عرف أحفاد الفراعنة لا أبيض ولا أسود عن هذه الروائع الفرنسية.. إن الفرنسيين

اكتشفوا حجر رشيد. وعرفوا أسرار الفراعنة. وما زالوا كل يوم يجدون حجرًا جديدًا – هم فقط.. أما دورنا نحن فهو أن نقابل هذا العشق الفرنسي بأذن من طين والأخرى من طين أيضًا – إلا عددًا قليلًا من المترجمين وقليلًا من المثقفين..

وفي يدي الآن الجزء الأول من (ملحمة نابليون) وهي تتحدث عن جنود نابليون في مصر وغيرها. وكتاب آخر عن (نابليون أسطورة فرنسا). وكتاب (أسرار صغيرة لرجال كبار) في مقدمتهم نابليون ابن الذوات. فأسرة بونابرت هي واحدة من أربع عائلات تملك جزيرة كورسيكا. وليس صحيحًا أنه من أصل فقير. إنما هم المؤرخون أرادوا أن ينافقوا الفقراء فجعلوه معدمًا!

والزميل د.أحمد يوسف له كتاب. فإذا شاء ترجمته إلى العربية فلابد أن يغير عنوانه.. (نابليون ومحمد) فهو يقصد نابليون والإسلام. والفارق بين المعنيين كبير جدًّا لدرجة أن المؤلف قد يغرق ويهلك هو ومن يتشدد له. والكتاب فيه نظرات عميقة والتفاتات ذكية وعبارات تجاوزت كل الخطوط الحمراء والسوداء أيضًا.

ولقد شاهدت صلوات من بقايا أسرة نابليون على روحه في الكنيسة المجاورة لقبره في متحف الأنفاليد يطلبون له الرحمة فقد قتل الملايين..

والفرنسيون يستطيعون أن يجدوا كل يوم مناسبة للاحتفال بأمجاد وعبقرية نابليون...

وقد سمعت ولا أعرف إن كان ذلك صحيحًا – أن القانون يمنع أن يكون لأي إنسان اسم نابليون. أما بونابرت فيمكن..

طفل من أسرتنا في العاشرة من عمره سألته: ماذا يرى في باريس لأول مرة؟ اندهش لأن سيارات التاكسي من آخر وأحسن طراز! ففي ذهنه تاكسيات مصر. ولاحظ أن الشوارع خالية من المشاة. ولما ذهبنا إلى شارع الشانزليزيه لم أكن في حاجة إلى أن أقول هذا وذاك. وإنما سبقني صارخًا: أعرف هذا المطعم وهذا المقهى وبرج إيفل... وهذه اللوحة الشهيرة لموناليزا.. كلها حطمتها! أما برج إيفل فقد شطرته نصفين. وجعلت أحدهما جسرًا مررت فوقه إلى المتحف الذي أشعلت فيه النار ـ هو يقول بحماس وأنا مندهش. فالطفل عاقل وسليم الأعضاء. أعرفه تمامًا. ولم أحاول أن أسأل كيف؟ وإنما مضى يقول: أنا دخلت بالسيارة من هنا وخرجت من الناحية الأخرى.. ولما نفدت الصواريخ ألقيت عليها قنابل يدوية.. كلب واحد هو الذي أنقذته من تحت الأنقاض.. ثم حطمته بعد ذلك..

أما دهشتي فلا نهاية لها. واستوقفته وهو ينطلق كالمدفع الرشاش. ما هذا الذي تقول: هلوسة. هذيان؟!

أبدًا.. كل ذلك فعله على (بلاي استيشن). تلك الألعاب الإلكترونية التي يطلق فيها الرصاص على الإنسان والحيوان، ويهدم القصور والقلاع والأبراج.. حتى لوحة (موناليزا) الجميلة إحدى روائع الرسام العظيم دافنشي قد فقأ عينيها. أعوذ بالله...

سألت هذا الطفل أنيس الصغير ـ إن كانت في هذه الألعاب الإلكترونية أية ألعاب تعلمه كيف يرسم كيف ينقذ طفلًا.. كيف يبني قصرًا أو يقيم هرمًا؟ الجواب: أبدًا.. سألته إن كان هو وحده الذي يملك كل أسلحة الدمار الشامل؟ فأجاب: بل كل الأطفال مثله. وسألته إن كان أخوه الأكبر أو الوالدان يتدخلون في اختيار هذه الألعاب

الخطيرة؟ فأجاب. إنه وحده. ثم إن كل الألعاب هكذا. وكلها مثيرة صارخة دموية داوية مدمرة!

فإذا أضفنا إلى ذلك كل أفلام العنف على الشاشة، فكيف نزرع السلام في عقول وخيال الصغار الذين هم المستقبل.. كيف ينام الطفل ويصحو على القتل والتفجير والتدمير.. يأكل ويشرب وينام، أو يفضلها على الأكل والنوم والدراسة، ثم نريد جيلًا عاقلًا محبًا للحياة والسلام؟! إن هذه الألعاب هي أقسى من كل أسلحة الموت.. إنها تدمر مستقبل البشرية وبالألوان الجميلة!

تدوخ الفتيات وتحلم وتنام على خد واحد إذا قرأن ما يكتبه د. محمد إسماعيل علي.. فهو يمسك بيد قيثارة الحب وبيد فرشاة الجمال.

ويقول ويغني ويترنم ومن ورائه كورس يقول: آه يا دكتور.. قلبي يا دكتور.. أما ما يكتبه الأستاذ عبدالوهاب مطاوع فهو يجعل الفتيات والأمهات يجلسن ويقفن على حيلهن.. فهو يمسك في يد ميزان العدل وفي يد سيفًا. إنه يفتح العيون على الحقيقة الأليمة.. على الواقع الخشن.. ومن أحب الكلمات لدى إسماعيل علي: الرقة واللطف والدموع.. وأحبها عند عبدالوهاب مطاوع: الطلاق والخلع وعودي إلى البيت من أجل الأولاد حتى لو كانت حياتك أقرب إلى الموت.. عودي يرحمك الله!

ترجمت بعض عبارات د. محمد إسماعيل علي، شفاه الله، إلى الصديقة د. سينا روصنم فحملتني إليه عددًا من الأسئلة وهذه الرسالة أترجمها إلى العربية قدر استطاعتي: عزيزي د. إسماعيل.. إن القليل منك كثير جدًا..

أنت آخر القلوب التي تدق لوجه الله.. آخر الأحضان الدافئة.. قل لي يا دكتور.. قل لي كثيرًا وطويلًا وعلى مهلك وعلى راحتك: أما يزال هناك أحد يحب.. وإذا أحب توجع.. تمزق وتفرق وتبدد.. إن شاعرًا عربيًا واحدًا وصف قلبه فقال: إنه طار شعاعًا ولا أظن أن في كل الشعر العربي والأوروبي من أتى بمثل هذا التعبير الذي يتماشى مع فيزياء القرن العشرين.. كيف تتحول الآهات إلى أشعة.. إلى طاقة.. كيف يتحول الشيء إلى لا شيء جميل.. كيف يستطيع الشاعر والفنان أن يستخدما الأشعة كلمات، والشعاع عبارات، والضوء دموعًا، والعدم قمة الوجود.. قل لي يا دكتور أين قلبك من هذه القلوب.. أين أنت بين الأنت والهو والهي والنحن.. أين في أعماقك هذا النبع الجميل الرقيق الدافئ الدافق الحنون..

كيف أصبح صاحب القلب فاقد القلب.. كيف اتسع قلبك الكبير لكل الناس وضاق بك وعنك أنت وحدك.. قل لقلبي يا قلبي إن كان قد بقي لك من دنياك شيء.. أن شاعرنا الحزين ليوباردي قال يومًا: عندما أشعر أن لي قلبًا واحدًا فإنني أختنق.. فأنا القلوب كلها تدق في قلبي، أنا الدموع كلها تسقط على خدي.. أنا الآهات أنا الأشجان أنا الأحزان..

وأنا أضع يدي على فم الشاعر دانتي والشاعر ليوباردي وأجمع شملي.. فقد تفرق دمي ونومي أنا أيضًا من الكلمات والآهات فأنا أيضًا صاحب وجيعة ودموع.. وإن كنت اليوم وأمس لم أعد أعرف لمن وعلى من ولماذا أبكي.. يبكي بعضي على بعضي!

إنـه اختـراع أمريكـي

من واشنطن..

هنا عاصمة القرارات والإرادات والقضاء على إرادة الشعوب. ولكنك تمشي في الشوارع وتجلس في المطاعم وتسمع إلى كل الناس ولا تجد أحدًا من الذين يقررون لك طعامك وشرابك وفلوسك... فلا أحد وجهه مثل شاشة التليفزيون مكتوب عليها كل ما تريد.... والناس عندما يصافحونك فإنهم يحاولون أن يقرأوا كفك لعلهم يفهمون أنك فهمت بيان الرئيس بوش: ولماذا أي واحد بدلًا من عرفات. وإذا أجريت انتخابات وأتت بعرفات فهل هذا حل أو طريق إليه؟

والجواب. لا عرفات ولا أي واحد آخر... وإنما معارك بين الذين ليسوا عرفات وعلى استعداد لخيانة عرفات.. فإذا حدث وسوف يحدث، فهذا هو الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار الذي يجعل من الصعب التفاوض مع أحد بشأن فلسطين:

أرضًا وشعبًا ومستقبلًا. وتسأل الأمريكان يقولون لك نحن في غاية الحزن. وسألت عددًا من الزملاء في إسرائيل فقالوا: إن الرئيس جاء يكحلها عماها. وأن المشكلات المقبلة أعمق وأعنف من كل ما حدث في القرنين التاسع عشر والعشرين!

وأناس يقولون بعد 4 يوليو إن عشنا... وسوف يعيشون. وتبقى كل مشكلات الشرق الأوسط حية تسعى إلى العراق وسوريا ولبنان

وأفغانستان وباكستان والفلبين. ولو سقط بن لادن في أيد الأمريكان فلن يعلنوا عن ذلك. لأنه ليس المهم القضاء على بن لادن، وإنما على ملايين آخرين مثله...

وفي هذه الأثناء يتم تشكيك الأنظمة العربية في قدرتها على الاستمرار. وإنها في حاجة هي الأخرى إلى وجوه جديدة.. وإلى مساحات من الأرض جديدة تضاف إليها مكافأة على الإسهام في بلبلة الرأي العام.

وسيارات الأمن الكثيرة هنا في كل مكان سببها القلق من بن لادن الذي اخترعه الأمريكان واستخدموه في تخويفهم وانطلاقهم حتى آبار بترول بحر قزوين والخليج.. أما السيارات التي تطل منها أعلام وأناس يقولون: هيه باللغة البرتغالية فهم الجالية البرازيلية احتفالاً بفوزهم بكأس العالم – يا بختهم يفوزون بها كل أربع سنين.. أما قضية فلسطين فليس لها كأس ولا دوري ولا ملعب ولا أحد يعرف من هم حكام هذه المباراة، وإن كنا على يقين من النتيجة: صفر لفلسطين وعشرون لإسرائيل!

هــذا هــو العــام

بعد قراءة الأبـراج الصينية والأوروبية، فإن عام 1998 هو عام التحدي. أي مطلوب من كل إنسان أن يقف ويشد حيله دون خوف. فلن يفوز إلا الجسور.

ومن ملامح هذه السنة أيضًا أن تقتصد في علاقاتك الودية. لا تحاول أن توجع دماغك في صداقات جديدة.. فليس النجاح أن تكون صديقًا لألف. وإنما أقل عدد من الأصدقاء الأوفياء هو أعظم رأسمال يمكنك أن تحققه في هذا العام. دون خوف من الأعداء. فمن الطبيعي أن يكون هناك أعداء للناجحين والأغنياء والمشاهير..

ومن معالم هذا العام في كل الأبراج أن الصحة يجب أن تحرص عليها.. فالأخطار سوف تزيد في هذا العام. والنجوم تنصحك بأن تأكل أقل وتتحرك أكثر. فلا خوف عليك من أن تقوم جائعًا في كل مرة تجلس إلى المائدة. فأكثر الناس مرضًا أكثرهم طعامًا.. وأقل الناس مرضًا أقلهم شبعًا.

وإذا أمسكت نفسك هذا العام ففي استطاعتك أن تتحرر في العام القادم. فليست هذه السنة هي نهاية العمر.

ويرى المنجمون أن هذا العام سوف يكون أحسن من الأعوام العشر الماضية إذا كانت عندك نية الزواج.. فالعلاقات الإنسانية

العائلية سوف يكون نصيبها من السعادة والهدوء أكثر من السنوات العشر الماضية. فالذي أجّل زواجه من العام الماضي إلى هذا العام كان قراره حكيمًا، ومواليد هذا العام أحسن صحة ومستقبلًا من مواليد العام الماضي..

وعلماء التنجيم لم تكن عباراتهم بهذا الوضوح وإنما كانت هكذا: بدخول المريخ في مدار المشتري مع اقتراب نبتون وتعامدها جميعًا لأول مرة على الشمس، سوف يؤدي إلى كذا وكذا.. على خلاف المريخ عندما دخل في زحل متعامدًا على القمر خارج نطاق عطارد سوف يؤدي إلى كيت وكيت – والله أعلم!

اللـــون البـرنـــزي

اختراع جديد أقـوى من الفياجرا للرجال والنساء، وهـو أخطر وفوائده أكثر، هذا الاختراع لم ينزل بعد إلى أسواق أستراليا وأمريكا، ولكن الدعاية قد سبقته في الصحف والمجلات، وسوف يلقى من الرواج ما لقيه: الميلاتونين المنوم، الفياجرا المنشط جنسيًا عند كل الناس إلا مرضى القلب.

العقار الجديد هو هرمون اسمه الطبي: ميلانوتان، واسمه التجاري (حبوب باربي) وباربي هي البنت الرشيقة الشقراء في كارتون الأطفال.

هذه الحبوب لها مزايا كثيرة، فهي تنشط الميلانين.. أي المادة التي تلون البشرة، وتجعلها برونزية، فمن يتناول هذه الحبوب يصبح برونزيًا سواء جلس في الشمس أو في الظل، فالشمس لم تعد تهم، فحبوب (باربي) تعطي البشرة هذا اللون الجميل، كما أنها تقي البشرة وتشفيها، وتحميها من سرطان الجلد، ولذلك كان إنتاجها في أستراليا أولًا، حيث تهبط على هذه القارة أشعة الموت مخترقة غلالة الأوزون، حتى أصابت الأسماك بسرطان الجلد، ثم إن (حبوب باربي) هذه منشطة جنسيًا للرجال والنساء أيضًا، وأهم من كل ذلك أنها تسد النفس عن الطعام، أي تؤدي إلى الرشاقة، فهي إذن الحبوب المعجزة

لأنها سوف تكون سببًا في الجمال والحيوية الجنسية بلا نتائج ضارة من أي نوع، لا عند الذين قلبهم من حديد أو قلبهم من ورق!

وفي القرن التاسع عشر كان اللون الأبيض دليل العز والنعمة تمامًا كالسمنة واللون الأسمر للعمال والفلاحين، ولكن بعد أن زالت الحدود بين القارات بالطائرات والسيارات أصبح اللون البرونزي دليل الثراء والقدرة على الذهاب للمصايف والنوم على الرمال الذهبية تحت الشمس في الشواطئ البعيدة!

وكلها شهور وينشط المحبون ويتساوى الجميع في لون الأجسام والعزوف عن الطعام.

كـــان

إخنـاتـــون

حتى صحف الجرائم والفضائح والإثارة إذا أرادت أن تلقى شعبية أكبر نشرت موضوعات عن مصر الفرعونية لا في صحف فرنسا فقط وإنما في بريطانيا وأمريكا أيضًا. فلا يزال توت عنخ أمون فتى الغلاف والشاشة. ولا يزال إخناتون المصدر الأول في التاريخ للإله الواحد.. وأهم من ذلك أن إخناتون هو أول من عبد (النور). وأحدث النظريات العلمية تؤكد أن الضوء هو أصل الخلق.. ففي البدء كان النور.. والنور هو الله..

والذي قاله إخناتون في الدين ونشأة الكون هو أحدث ما اهتدى إليه العلماء وآمن به رجال الدين - عجبي!

فصحيفة (ديلي ميل) البريطانية الشعبية نشرت سلسلة من المقالات العلمية عن مقبرة توت عنخ أمون.. وعن الذي حدث في مصر بعد وفاة إخناتون. فقد تمسك بعضهم بعبادة الشمس فطردهم كهنة أمون من مصر. ويقال إن هذا هو (الخروج) خروج اليهود كما تقول التوراة، هذه هي القضية المثيرة وهذا هو اللغز.. ويقال إن كارتر مكتشف مقبرة الملك توت قد احتفظ بورقة بردي(؟!) هذه الورقة هي عن حقيقة الخروج من مصر، هل هو خروج اليهود أم هو خروج المصريين المؤمنين بإخناتون.. ويقال إن القنصل البريطاني

كان يعلم بحقيقة هذه البردية الخفية التي احتفظ بها كارتر. أين هي الآن؟ هل ضاعت؟ هل في إحدى الخزائن؟ إن لغزًا آخر يحتاج إلى تفسير. فقد مات كارتر بعد ثلاثة أشهر من اكتشاف المقبرة. فهل هي لعنة الملك توت؟ أم أن شخصًا قد قتله. ومن يكون؟ ومن الذي يهمه إن كان الذين خرجوا هم اليهود أو هم المصريين؟

إن عظمة الفراعنة بلا حدود في المكان والزمان. ولا يزال توت عنخ أمون هو الفتى الأول. ولا يزال سره محيرًا لكل العصور!

لقـــاء

بيـريـــز

طلب مني الرئيس السادات أن أستضيف زعماء حزب العمل الإسرائيلي. فجاءوا إلى لقاء مع الدكاترة مصطفى خليل وإبراهيم حلمي عبدالرحمن وبطرس غالي في مجلة (أكتوبر) .أما الزعماء فهم: شمعون بيريز وأبا إيبان وحاييم برلييف ويوسي بيلين.. وكان لقاء طويلًا جدًا مسجلًا على 150 صفحة.

ثم طلب مني الرئيس السادات أن أدعو موشي ديـان. فجاء هو وزوجته وقابلا الرئيس في القناطر الخيرية.

وطلب إسحاق رابين أن أدعوه فدعوته للقاء الرئيس في الإسكندرية وحضر اللقاء وزير الثقافة منصور حسن..

أما كيف تمت دعوة شمعون بيريز فقد جاءني أستاذ أمريكي اسمه ستيفين كوهين. ودار الحديث من مكتبي ساعة أو أكثر بين بيريز في تل أبيب، وبيني وبين الرئيس السادات في أسوان. وبيريز رجل خبيث ومتردد وحاول ستيفين كوهين بكل الطرق أن يقنعه بضرورة لقاء الرئيس ومعه أقطاب حزب العمل. ولا أدعي أنني فهمت ما دار بينهما بالعبرية. ولكن أعرف مخاوف بيريز وشكل الدعوة ومن الذي يقابلهم وكيف يمكن نشر أو عدم نشر ذلك وهي قصة طويلة ممتعة!

وعندما سافر الرئيس السادات إلى النمسا رتب له المستشار برونو كرايسكي لقاء في المطار والتقى فيه الرئيس السادات بشمعون بيريز.

وقال الرئيس بالضبط ما قاله في البرلمان المصري وفي البرلمان الإسرائيلي بمنتهى الوضوح: إنه لا حل ولا سلام ولا أمان إلا بعد حل القضية الفلسطينية! وطلب بيريز من الرئيس السادات هذا الطلب الماكر: يا سيادة الرئيس إن التقاليد عندنا إذا التقى أحد من المعارضة بشخصية كبرى، لابد أن ينقل إلى رئيس الوزراء ما دار بينهما. فماذا أقول لبيجين؟

يريد أن يعرف منه ما يقال وما لا يقال. فكان رد السادات أخبث: قل له كل حاجة يا شمعون! والحقيقة أن حزب العمل لا يختلف كثيرًا عن حزب الليكود. ولكن الخلاف بين شخصية بيجين و(لا شخصية) بيريز وبن إليعازر الذي قابل الرئيس مبارك أخيرًا ولابد أنه قد سأله ماذا يقول وماذا لا يقول لشارون. ومن المؤكد أن الرئيس مبارك قال: قل كل حاجة فكلامي واحد!

د. عبـــد المنعـــم الحفنـــي

عجبي على عدد من كبار مثقفينا لا أحد رآهم ولا عرفهم ولا التقى بهم في أي مكان، فقد قرروا أن يعملوا في صمت، وأن يعيشوا أو أن يموتوا كذلك، ما اسم هذا السلوك، رهبنة العلماء، يأس من الناس، إنها دودة القز التي تنسج كفنها الحريري، تعيش وتموت فيه ثم تستأنف الحياة مرة أخرى، وفي ملايين السنين لم تتعلم دودة القز أن جهدها ضائع، وأنها لا عاشت ولا أكلت ولا شربت، وإنما ارتضت الحكم عليها بحياة كأنها الموت.أحدهم: د. عبدالمنعم الحفني، ذلك العالم المتواضع الذي قدم لنا (موسوعات) في الفلسفة وعلم النفس، والتصوف، والمذاهب الدينية، والدراسات الإسلامية من عشرات الألوف من الصفحات، فلا أحد رآه ولا أحد سمعه، ولا هو حريص على أن تكون له صورة أو ذكرى إنما هو سعيد بهذه الصوفية أو هذا الزهد الرهباني.

والله وحده يعلم من أين يستمد د. عبدالمنعم الحفني هذا الصفاء والرواء والنقاء والقناعة التي هي كنز لا يفنى. ثم الأستاذ مجاهد عبدالمنعم مجاهد، شاعر رقيق وناقد جاد وقد قدم لنا كل ما ينوء به المتخصصون في دراسة الفلسفة.

ترجم وألف في قضايا فلسفية خالصة لا تعب، ولا مل، ولا زهق، ولا حرص على أن يعرف أحد بالضبط ماذا يفعله في وكالة أنباء

الشرق الأوسط، وما تفعله به. وقد ترجم أخيرًا موسوعة ضخمة شاقة في النقد الأدبي من تأليف رينيه وليك، أنا أعرف كم تعذب، وكم توجع، ولكنه ماض في إمتاع نفسه ولا يهمه ماذا يلقى هذا العناء عند الناس.

والثالث المجهول الذي ترجم في عشرين عامًا من عمره القصير ملحمة (عوليس) للشاعر اليوناني كازانتراكس مؤلف الرواية الشهيرة (زوربا) ورواية (إعادة صلب المسيح)، ورواية (العبد لله) ظهر هذا المسكين من عشرين عامًا في التليفزيون، حاولت أن أعرف اسمه، لم أجد أحدًا يذكر ذلك، ولكنني رأيته على شاشة التليفزيون وحزنت عليه، إنهم أحفاد سقراط الذي مات من أجل الحقيقة، وبرونو الذي احترق في سبيلها. وأية جائزة من جوائز الدولة قليلة عليهم، كثيرة على كثيرين ممن فازوا بها.

في انتظار المرضى

كنت مع د. عبد العزيز حجازي رئيس وزراء مصر الأسبق في زيارة لإحدى دول الخليج، ذهبنا نتفرج على أحد المستشفيات، جميل أنيق نظيف هادئ، وتقدم د. حجازي في أبوة أو أستاذية، وسأل الأطباء المصريين: هيه يا أولاد.. عاوزين حاجة؟

تضاحكوا وقالوا: عاوزين عيانين!

فقد أقيم المستشفى وجاءت الأجهزة مع أحسن الأطباء، وليس لديهم مريض يوحد الله، وهم ينتظرون عادة ما تلقي به أمواج الخليج إلى الشاطئ من جثث الهاربين من إيران، ويطلبون من الله ولا يكتر على الله أن يكون الهارب فيه نفس، هنا يلتف حوله الأطباء وتنشط الأجهزة، فإذا عاش المريض فهي فرصة للصلاة شكرًا لله الذي يرزقهم كل شهر مريضًا على حافة الموت!

أقول قولي هذا وأتطلع إلى مكتبة الإسكندرية البديعة، وجهًا وظهرًا وبطنًا وسلالم ورفوفًا وقاعات وتوزيعًا عادلًا للضوء والحرارة وقبة سماوية، وأحضانًا واسعة للقراءة والبحث، وأتمنى لها ما تمناه الأطباء في مستشفى الخليج: أن يجيء القراء والباحثون.. وأن تجيء إليها ملايين الكتب الحديثة في كل العلوم.

وقد كنا زمان نذهب إلى جانب من مكتبة القاهرة: قاعة الدراسات الشرقية وكان يشرف عليها الأستاذ رضا والد الفنانين محمود رضا وعلي رضا.

وكان رجلًا هادئًا وعطوفًا تعلمنا منه كيف نحتضن الكتاب، وكيف نقلب أوراقه برفق، فإذا تحرك المقعد تحتنا، وكان له صوت وقف الأستاذ رضا يستنكر فنعتذر، وأحيانًا نخرج من القاعة حتى لا نكتم السعال طويلًا، وقد عشقنا هذا الركن الهادي الدافئ في المكتبة، وكنا نسارع إليه، ونتنعم بالانضباط والهدوء الفريد والهمس والإشارة، وكان الأستاذ رضا أبًا وأستاذًا وصديقًا ينشر عشق القراءة، وحب الخصوصية بيننا...

ولم تكن هذه المكتبة إلا واحدًا على ألف من مكتبة الإسكندرية الجديدة... فما أسعد شباب الإسكندرية من المثقفين اليوم، وما أسعد مصر بهم غدًا!.

فلسطيـــن
كمـا تراهـا إسرائيـل

ليس اكتشافًا سياسيًا أن أقول: إن أمريكا ليست جادة في أي عرض تقدمه حلًّا للقضية الفلسطينية.. لا الدولة المستقلة في ثلاث سنوات ولا حتى في ثلاثين سنة. ولكي نعرف بالضبط ما هو الأمل والمستقبل لدولة فلسطين فهو ما يقوله السفاح شارون. وهو رجل واضح تمامًا: لا تهمه الأمم المتحدة ولا القانون. والنتيجة: المشوار طويل جدًّا لكي تكون هناك دولة أو شبه دولة فلسطينية. فالانسحاب منها مشكلة والإدارة الفلسطينية مشكلة. وتعمير البلاد وتشغيل الأيدي العاطلة وعلاج الأمراض والتغذية وياسر عرفات.. والبليون دولار ونصف باسمه في البنوك وديون إسرائيل لفلسطين.. ووقف إطلاق الحجارة والنار لكي يكون هناك أمن مؤقت أو سلام طويل وفي ظله يتم الاتفاق.

الاتفاق على ماذا؟ هذا هو السؤال السهل الذي ليس له جواب، فإسرائيل لا تريد (دولة) فلسطين. وإذا كان لابد ومن أجل سواد عيني الرئىس بوش أو الرئيس الذي يليه فلا حدود لها. وإذا كان لها شبه حدود فلا سفارات لها ولا جيش، ثم أن يكون أي إنسان رئيسًا لها إلا ياسر عرفات! وذلك بعد أن يتم القضاء على المنظمات الدينية الموجودة في لبنان بتشجيع وتمويل من إيران وسوريا. إذن لبنان

هو الآخـر يجب أن يقضي على الجماعات الدينية التي تحارب إسرائيل.. ولا حل لمشكلة الجولان دون التعهد بعدم مساعدة أحد ضد إسرائيل.

أي لابد أن تتعهد الكرة الأرضية كلها بألا تلقي طوبة على أمريكا.. وأن تقف وراءها ضد الأمم المتحدة وضد القانون وضد الحضارة التي حرصت على الإنسانية والحرية والتسامح والسلام، وأن يكون القانون فوق الجميع.. فإذا تحقق ذلك - ولن يتحقق - فسوف تقول أمريكا لكل الشعوب المظلومة: شبيكم لبيكم بوش وباطنته تحت رجليكم - ولن يحدث ذلك!

بصمات العين

من أعظم إنجازات الطب الشرعي في العصر الحديث: أن استطاع مصور مجلة (ناشونال جيوجرافيك) العظيمة الاحترام أن يعرف الفتاة التي جعلها غلافًا للمجلة من 17 عامًا. فقد ذهب إلى أفغانستان ووجد وجهًا جميلًا وعينين أجمل وكلها في غاية البلاغة في التعبير عن الحزن والتحدي والإصرار على الحياة، ورغم الفقر والهوان ظلت جميلة.. فعاد إلى معسكرات اللاجئين يبحث عن هاتين العينين في مئات ملايين العيون، والتقط ألوف الصور. وادعت فتيات كثيرات أنهن اللائي ظهرن على الغلاف.. وكان الشبه بينهما قويًا لدرجة أن المصور لم يستطع أن يميز بينها..

هنا تدخل الطب الشرعي في المخابرات الأمريكية. ففحصوا العينين على الغلاف ومئات ألوف العيون الأخرى. فهناك نظرية تقول كما أن لكل أصبع بصمة متميزة على ألوف ملايين البصمات فكذلك (إنسان العين) لا يوجد اثنان متطابقان. وبهذه النظرية تأكد المصور من الفتاة التي صورها وتزوجت وأنجبت أطفالًا وهي لا تعرف ما الذي أحدثته صورتها في الرأي العام العالمي، وإلى أية درجة كانت سببًا في العطف عليها وعلى شعبها!.

أما المعجزة العلمية الثانية فهي فتح ملف قضية الملك (توت عنخ أمون).. ومن الذي قتله ولماذا؟ وقد أثبتت الصور والتحاليل الضوئية

والكيماوية.. أنه مات قتيلا. وكيف قتلوه وما الذي أصابه في دماغه عندما ضربوه عليها. وبعد دراسة ظروفه التاريخية والصراع على السلطة جول هذا الشاب الصغير ومن معرفة هـؤلاء الأشرار حوله استطاع علماء الطب الشرعي أن يشيروا إلى واحد بالذات هو القاتل. وبذلك اكتملت أركان جريمة اغتيال الملك توت. وقد شاهد العالم على الشاشات، وسوف تشاهد هذه الجريمة التاريخية كما اهتدى إليها العلماء والباحثون في عشرات السنين – أنا رأيت هذا الفيلم أربع مرات. ولابد أن غيري قد فعل ذلك ـ متعة تاريخية وأبهة علمية!

الطغيان الأمريكي

لم يحدث أن أهانت دولة واحدة كل دول العالم وداست كل القيم والمبادئ كما فعلت أمريكا هذه الأيام، فهي وقبلها إسرائيل تهزأ من الأمم المتحدة. فكم قرار أصدرت الأمم المتحدة ضد إسرائيل. وكان مصير هذه القرارات أن أصبحت صدى وظلًا ثم لا شيء بعد ذلك..

وكانت أمريكا تستنكر هذا السلوك الإسرائيلي. أما الآن فإنها قد تجاوزت سفالات إسرائيل وتريد أن تهدم الأمم المتحدة كما انهدمت ناطحات واشنطن ونيويورك. ولكن هدم الأمم المتحدة ليس هدمًا لمبنى ضخم ولكن لكل ما بلغته الإنسانية في كفاحها عبر العصور من أجل أن تكون متحضرة ومن أجل أن تباعد بينها وبين الحيوانات في الغابات.

إلا أن دولًا كبرى قالت: لا.. لأنها ليست مستعدة لأن تكون ذيلًا وظلًا لأمريكا. وليست مستعدة من أجل المصالح الأمريكية أن تضحي بمصالحها هي أيضًا. فإن تفكر أمريكا في إسقاط نظام اختاره شعب العراق أو اختاره شعب فلسطين، فلا حق لها في ذلك لأن أحدًا لم يطلب – مجرد طلب – إسقاط بوش الابن لأنه سوف يقضي على المثل العليا للأمريكيين في الحرية والديمقراطية والتسامح بين الأديان والألوان والعناصر..

وكان التعايش السلمي معناه: أنا وأنت.. لا أنت وحدك ولا أنا وحدي. وإنما نحن الاثنان معًا على وفاق نعيش في حرية. ونعبر في حرية. وأنت تحمي حريتي مهما اختلفت معك وأنا أحمي حريتك على الرغم من خلافنا في الرأي والرؤية. ولكن القوة العظمى الوحيدة الآن تقول: أنا وبعدي الطوفان.. أنا أفعل بالشعوب والعروش والقصور كما أريد ووفقًا لمصالحي وعلى الشعوب كلها صغيرها وكبيرها أن تقول: آمين.. ولم يقل آمين إلا الشعب البريطاني!

ولا أحد يعترض على موقف أي دولة من السيادة الأمريكية مادامت هذه إرادة شعبها.. ولكن الذي نراه الآن هو الإجماع الدولي على الوقوف في وجه الطغيان والطاغوت والشر المستطير وعاصمته واشنطن!

أنا من رأيك

ما الجديد في مصر الفرعونية؟ إن شبكات التليفزيون العالمية تعلن عن اكتشاف جريمة فرعونية – أي وقعت منذ خمسين قرنًا. طفل قتلوه. وسجل التاريخ ذلك. انتهى الموضوع. ولكن علماء من أمريكا وبريطانيا قرروا فتح ملفات الجريمة واستئناف الحكم في قضية تاريخية سياسية دينية إنسانية..

وإعلانات أخرى عن ملكات مصر الفرعونية.. عن ملكات جمعهن الجمال والقوة معًا. حتشبسوت ونفرتيتي ونفرتاري - ثم كليوبطرة السابعة أيضًا. وكلها معلومات قديمة. ولكن العلماء استعانوا بأساليب حديثة على عرض الجديد في صورة مبتكرة. جميلة أيضًا. فقد رأيت ما أذاعته قناة (دسكفري) عن ملكات مصر باللوحة والنقش والتجسيد أيضًا. فقد أتين بفتيات مصريات لهن الملامح النوبية (المحندقة) حتى أصبح من الصعب عليك أن تفرق بين الملكة وبين التي تمثلها على الشاشة. فلا شيء جديد وإنما هو الاهتمام العميق بكل ما هو فرعوني هو الذي لا يخمد. ثم إنه العطش والجوع إلى أعظم الحضارات القديمة الغنية بالأفكار والأسرار. أنا شخصيًّا أعتبر أن أعظم فراعنة مصر هو إخناتون. ففكرة إن الله هو الشمس هو نور السماوات والأرض تتفق مع العقل والمنطق والفيزياء الحديثة فقد انتهت الفيزياء الحديثة إلى أن أصل الكون (طاقة) وكل شيء يبدأ بها

ويتحول إليها.. إننا لم نفلح في تحويل الطاقة إلى مادة، ولكن الله استطاع.. فهو قادر على كل شيء! كيف جاءت هذه الفكرة إلى إخناتون وكيف أصر عليها في هذه الفترة المبكرة من الحضارة الإنسانية؟ إنها عبقريته!

شيء غريب ألا نتحمس لكل ذلك وعندي تجربة. نصحت بعض أصدقائي ألا تفوتهم مشاهدة هذه الأحداث الجليلة.. سألوا: هل هي جديدة؟ الجواب: لا.. وإنما عرضها الجميل ووضعها في مكانها الرفيع من تاريخنا والحضارة الإنسانية.. وكان ذلك سببًا كافيًا ألا يراها أحد. أو أن قليلين في مصر قد شاهدوها.. ولكن الملايين في العالم احتشدوا لها.. وجاءني صوت مهاجر في آخر الدنيا يقول: فعلًا متعة وعظمة، ما رأيك؟

أنا من رأيك!

أعجبني الوزير

عادة فرعونية: إن الملك الحالي يشوه سمعة الملك السابق أو يمحو آثاره.. أو يقلع عينيه أو يكسر ذراعه - أقصد المرسوم على الجدران أو إن كانت له تماثيل. وهذه العادة لا تزال تلقى احترامًا عامًا. فالوزير الجديد مثلًا يبذل جهدًا عظيمًا لكي يؤكد للناس أنه (ماحصلش) وأن سلفه كان مش ولابد.. أو كان لا يفهم أو ما كان يجب أن يشغل هذا المنصب.. والوزير الجديد عادة يلقى مساندة من كثير من الذين لم يكونوا سعداء في عهد الوزير السابق. أو كانوا ولكنهم يريدون أن يكونوا أحسن حالًا.. وهؤلاء الموظفون هم الذين سوف يمدون الوزير الذي بعده بمعلومات جديدة..

وفي هذه الأثناء يحاول الوزير الجديد بعد أن أقنع الناس بأن سلفه لم يكن عظيمًا ولا حاجة.. وأنه هو الذي سوف يعمل وهو الذي كشف وفلح وأنه وأنه.. وقد يتسع وقت الوزير الجديد ليثبت أنه شيء ومهم وقد لا يتسع.. وهكذا يكون الوزير الجديد قد أمضى من عمره سنوات يثبت أن الذي جلس على مقعده كان يجلس تحت المقعد..

ولذلك فقد أعجبني د. عوض تاج الدين وزير الصحة الجديد في حديثه مع الأستاذ مفيد فوزي عندما قال إن هناك جهدًا موصولًا متصلًا.. وإن وزيرًا بعد وزير هو سباق التتابع.. وكل واحد يخطو

خطوة في طريق واحد هو المصلحة العامة للشعب.. وإن سلفه قد فعل وقد أنجز وأنه سوف يكمل المسيرة، ويجيء من بعده من يضيف جديدًا..

لقد أعجبتني نظرته العلمية واحترامه لمن سبقوه ولنفسه ولمن سوف يجيء من بعده. فقد عشنا سنوات نقاوم التاريخ الجديد الذي يقول: إنه قبل ثورة يوليو لا ثورات ولا تاريخ.. ولا كرامة ولا عزة. صحيح نحن لم نصدق، ولكن شبابًا صغيرًا قد صدق.. ثم اكتشف بعد ذلك أن التاريخ لا يبدأ من سنة 1952. وإنما قبل ذلك بألوف السنين. وكما أنه سنوات وقرون هو خطوات وصعوبات ومشكلات وحلول وعقبات وكفاح طويل الحلقات والمراحل.. وهذا هو نسيج الحضارة الإنسانية..

خطيب
عجيب

استطاع د. عبد الرحمن السديسي إمام وخطيب المسجد الحرام أن يشخص ويلات البشرية اليوم وغدًا في ثلاث دقائق... أما أسلوبه في الخطابة فهو بحر يتدفق بالمعلومات التي قرأها في الصحف والمجلات ورآها على شبكات التليفزيون. فهو هكذا قريب جدًّا من الناس. ولم يعمد إلى حشر خطابه بأسماء غريبة من الذين عاشوا في مطلع الإسلام أو في الجاهلية. وإنما ذكر أحداثًا يعرفها كل الناس ولا ينقصهم إلا تفسير بسيط مقنع. وقد تمكن هو من التفسير الواضح والتشخيص الدقيق... والعلاج الممكن. لقد وجد بيت الداء هو (تفكك الأسرة) تباعد الأب عن الأم وتباعد الاثنين عن الأولاد... ووجد أن كل الجرائم الصغيرة والكبيرة تتولد في المسافة التي بين الآباء والأمهات والأولاد. فالأسرة هي الخلية الأولى – إن صحت صح البدن والعقل والعلاقات الاجتماعية والإنسانية..

وذكر د. السديسي جرائم الانتحار والقتل والعنف والغش والسرقة.. ولم يستخدم أساليب الترويع والإرهاب اللغوي والبلاغي في إقناع الناس.. وإنما طلب إليهم أن ينظروا في أنفسهم وفي بيوتهم وفي بلدهم والبلاد الأخرى... ولم يدفع الناس إلى اليأس من أي علاج. ولا فتح لهم أبواب جهنم على الآخر.. ولم يسد في وجوههم أبواب

الرحمة والجنة وإنما خطابه أن الشفاء ممكن.. وأن في استطاعة أي إنسان أن يبدأ الآن وعندما يعود إلى بيته. وأن يبدأ بالسلام والدعوة إليه مع زوجته وأولاده... وأن يجمعهم جميعًا على استئناف المودة والحب والرحمة والإيمان وكل الأبواب مفتوحة وكل الطرق ميسرة.. والعلاج ليس في الأجزاخانة وإنما هو في جيب كل الذين يستمعون إلى خطابه أو الذين سمعوا عنه واحتشدوا وراءه للصلاة.

ولما استعدت ما قاله خطيب المسجد الحرام وجدت أنه رجل منطقي وطبيب بسيط ومؤمن صادق.. ولم يذهب بعيدًا... وإنما كل شيء حاضر وممكن وقريب ولا يخرج عن ثلاثة أو أربعة أو خمسة من الناس والبداية الآن والسلام والصحة والأمان غدًا!

أصـــوات أعجبتنـــي

جاءني يسألني عن وجوه شابة للقناة الجديدة (عربية)، وهي قناة إخبارية تصحح المفاهيم الخاطئة، والأساليب السامة، والتشويهات المتعمدة لكل ما هو عربي وإسلامي. وقال إنه رأى وقابل واتفق مع عدد كبير من الوجوه المصرية: مذيعات ومذيعين وقراء نشرات الأخبار ومحررين ومترجمين، وهو يطلب عددًا من المحللين السياسيين والعلميين ومساعدتي في برنامج أسبوعي أو يومي، وسألني النصيحة.

وقلت إنه لا داعي للاستعجال، فلابد من تدريب عدد كبير من الوجوه الجديدة مادامت لديهم الفلوس الكثيرة، ولابد من اختيار من لا يخطئ في اللغة العربية، ولا في نطق الأسماء الأجنبية، ولابد من أن يكون الإيقاع سريعًا، ولكن لابد أيضًا من تفسير الأخبار والأحداث، وألا يكون هدف هذه الشبكة الجديدة ضيقًا، وإنما يجب أن تتجه إلى العالم العربي، وإلى العرب وأصدقائهم، وأعدائهم في كل مكان. وقال إن مصر تقدم لهم كل التسهيلات، ولكنها في الوقت نفسه تطلب الاعتدال في خطف الوجوه الجديدة من القنوات المصرية، وقال أيضًا إن المواهب المصرية لا حدود لها، وإن لدينا مخزونًا هائلًا من الكفاءات في كل المجالات، وقال لي: تعرف أن عيني على

مذيعة في قناة النيل للأخبار، ونريد أن نخطفها بأي شكل، وأنا أريدك أن تراها كيف تقرأ النشرة، وكيف هي جادة وحلوة، وكيف أن إيقاعها سريع، وكيف نطقها للأسماء الأجنبية، وأنها حلوة يا أخي، صدقني!

وفي التليفون قال لي من القاهرة: افتح التليفزيون الآن وتفرج على المذيعة (......)، ورأيتها، ووجدت أنه على حق، ولكن ظهورها على الشاشة المصرية مكسب وظهورها على شاشة أخرى مكسب لهم، وخسارة لنا. ولا أعرف ماذا نصب لها من شبكات وشيكات ليخطفها إلى القناة العربية الجديدة، وغيرها من الشباب. ثم عاد فطلب إليَّ أن أفتح التليفزيون لأشاهد وجهًا آخر، وقال: إيه رأيك.. تكلمه أنت أو أكلمه أنا.

وتمنيت ألا يتمكن من سحب هذه الوجوه الشابة والأصوات السليمة والأداء الصحيح إلى القناة الجديدة، وأن تبقى إعلانًا ناجحًا عن قناة (النيل للأخبار) التي اتجهت إليها تمامًا، فقد وجدت فيها الكثير مما أحتاج إليه كل يوم من أخبار وتفسيرات لما يجري لنا وعلينا في هذه الدنيا، بسرعة وسهولة ولغة مفهومة لكل الناس!

دون
كخوته

معروفة لنا رواية الأديب الإسباني سرفانتس التي اسمها (دون كخوتة) ..وقد ترجمها إلى العربية د. عبد العزيز الأهواني، ثم أعاد ترجمتها من الإسبانية مع دراسات وهوامش طويلة وغزيرة د. عبدالرحمن بدوي. وهي ولا شك تحفة أدبية. وسوف تكسب كثيرًا جدًّا من المعلومات والعبارات البليغة والأفكار الذكية إذا فتحت نفسك يومًا أو يومين لقراءتها.. وبطل المسرحية رجل مثالي خيالي ويمكن تقول عنه: لدرجة الجنون وهذا الفارس يركب حصانه ويواجه أوهام ومخاوف الدنيا. ويمشي وراءه صاحبه وخادمه وتوءمه سانكو بانزا. وإذا حاولت أن تترجم هذين الاسمين إلى اسمين معاصرين فتقول: إن الأول هو جورج بوش والثاني توني بلير ـ ولن تبعد عن الحقيقة..

ودون كخوتة يرى أن كل شيء يتحرك أمامه ووراءه هو عفاريت تتربص به وتحاول أن تقتله. وكل شيء حوله يتحرك. إذن الدنيا قد امتلأت بالأوهام والأرواح والأشباح والعفاريت وهو يحاربها وحده. وينهزم طبعًا. والرئيس بوش هو هذا الرجل الخيبان الخائف. فلا يكاد يرى أحدًا يمسك سكينًا ليذبح فرخة حتى يقول: بن لادن يتدرب على اغتيال الأمريكان ويأكلهم لحمًا نيئًا. وتوني بلير يقول: آمين.. فالدنيا كلها اسمها: بن لادن في معظم الأحيان وفي أقل

الأحيان: صدام حسين وياسر عرفات وكيم آل سونج. وهؤلاء جميعًا يهددون المواطن الأمريكي الذي يطلق الطائرات بلا طيارين في سماء اليمن لضرب السيارات ونسفها – دون أن يشعر الأمريكان بالاعتداء على سيادة دولة واحترام أمانها وإهانة دستورها وشعبها. فهذه حقوق مكتسبة مغتصبة للإمبراطورية الأمريكية الجديدة..

لقد ذهبت أمريكا بصواريخها وسفن فضائها إلى أطراف المجموعة الشمسية بلا خوف وفي منتهى الأمان.. ولكن أمريكا نفسها قد عرفت الخوف والرعب وأصبحت تخاف من كل من يحمل عصًا أو بندقية.. إن أمريكا أقوى الدول وأعظمها خوفًا ووهمًا.. وليس (دون كخوتة) إلا نبوءة إسبانية بأن هذا مصير كل مواطن أمريكي في ظل رياسة بوش الابن..وشاعرنا المتنبي هو أعظم من قال ووصف وشخص حال الرئيس بوش.قال المتنبي:

وضاقت الأرض حتى ظن خائفها

إذا رأى (غير شيء) ظنه رجلا!

محنـــة
العيـــاشي

كان لي عالم صديق اسمه الشيخ إبراهيم العياشي. وكانت له محنة مثل محنة أستاذنا العظيم سقراط. اشتغل الأستاذ العياشي عشرين عامًا يحدد فيها أماكن (الحجرات) أي البيوت الصغيرة التي كانت تسكنها زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام. موضوع دقيق وصعب. ولكنه بالصبر والإيمان والتفرغ التام استطاع أن يحقق إنجازًا علميًا مهمًّا. وقال لي ونشرت. ثم قال لي واشتكى وبكى ونشرت وأذعت وذهب إلى الأمير عبدالله الفيصل. وإلى السفير السعودي الصديق أسعد أبو النصر. وساعداه..

وقدمت الشيخ العياشي إلى التليفزيون المصري. ونسيت أن أمد المذيع ببعض المعلومات عنه وعن معنى كلمة (الحجرات) وإلى لهجته الحجازية غير المفهومة.. المهم أنه ظهر عشر دقائق على الشاشة ولم يفهم أحد كلمة مما قال. ومما قاله لي أن خلافًا بينه وبين زوجته جعلها تلقي بالبحث في النار. وهي أشد قسوة من زوجة سقراط. فقد كانت زوجة سقراط تلقي فوق دماغه بالماء القذر. وكان الفيلسوف يقول: إن زوجتي كالسماء تبرق وترعد ثم تمطر بعد ذلك. ولكن الأستاذ العياشي أصيب بالشلل. هذا ما قاله في ذلك الوقت. وجاء إلى القاهرة منكسر الظهر والخاطر.

ولكنه كان مسليًا وممتعًا ولديه معلومات في موضوعات في السيرة الإسلامية لا تخطر على البال. وفوجئت بالأستاذ العياشي، وهو ثقيل الخطوات، يغير مسكنه بين القاهرة والجيزة وإمبابة. وبسرعة غريبة. وسألته فقال لي: إن بنات صغيرة تدق بابه في ساعات غريبة من الليل فإذا تساند وفتح الباب تضاحكت البنات ولم يعدن.. وهو لا يعلم أن البنات تسأل البواب عادة إن كان ساكن جديد قد جاء. فيقول: واحد سعودي.

ويذهبن وتكون المفاجأة: سعودي أبيض في أبيض وفي الثمانين وليس معه أولاد! حتى جاءني ومعه فتاة صغيرة وأمها وقال: زوجتي! وقبل أن أفتح فمي بكلمة مندهشًا ومستنكرًا. فاجأني بقوله: اسألها.. وسوف تجد أن حالي يسرك. اسألها!

يا عم إبراهيم أسألها إزاي وأقول لها إيه؟!

وقبل سفري بأيام حدثني ابنه في التليفون من القاهرة ليقول لي: إن الذي قاله والدي ليس صحيحًا. وأمي سيدة عاقلة لا ترتكب كل هذا الذي قال!

يرحم الله واحدًا من العلماء أحفاد سقراط العظيم.

المدينة المنورة

لا أهدأ من هذه المدينة ولا أرق وألطف من شعبها. وليس فيها شيء ولا أحد مستعجل الخطوة والحركة.. فهناك وقت للسير والبيع والشراء والذهاب والعودة من مسجد الرسول ﷺ وقد رأيت المسجد صغيرًا ورأيته يكبر ويكبر حتى صار الآن في مساحة المدينة المنورة على أيام الرسول عليه الصلاة والسلام. والناس الطيبون يرون أن كل شيء في هذه المدينة مبارك الطعم والرائحة. فطعامها شفاء وهواؤها علاج. وصومها وصلاتها بألف ألف ثواب في أي مكان آخر.. بل إن الذي يصلي في المسجد والذي يصلي أمامه والذي يصلي وراءه في الفنادق يكفي أنه يرى المصلين ليكون له ثواب.. وقد حددوا الثواب بالألوف ومئات الألوف فأنت كسبان دائمًا في دنياك وآخرتك وأنت تدخل المدينة مفلسًا من الحسنات وتخرج منها مليونيرًا وبليونيرًا. فقد تحولت حسناتك أولًا بأول إلى الآخرة. وهذا سر القناعة والرضا والأمان والفخر عند زائر المدينة وعند أهلها..

ومن الممكن أن تدخل في مناقشات جادة في موضوع غريب وهو (تمر) المدينة المنورة. وكيف أنه يختلف عن التمور في كل السعودية ويختلف طبعًا عن (تمور) البصرة العراقية الشهيرة.. ويدخل في هذه المناقشة بروح جادة أطباء وعلماء. وكلهم يؤكد المزايا الطبية

والصحية لتمور المدينة وفاكهتها ولحومها وأهم من كل ذلك عطورها وسماؤها وأرضها وهواؤها.. فهي مصحة النفس والعقل والقلب. وهي شفاء من كل داء. وسوف تسمع ألف ألف يقسمون على ذلك. وتستطيع أن تلمس ذلك بنفسك في نفسك اليوم أو عندما تعود إلى القاهرة.

أقسم لي المستشار (ف...) أنه كان يشكو من ألم هنا وألم هناك.. وأنه عندما وطئت قدماه أرض المدينة المنورة اختفت من عينيه الطائرة التي أقلته واختفى من جسمه الألم الذي أقعده في فراشه شهورًا.. هل تصدق؟ ألف ألف يقولون في نفس واحد: نعم!

كيف يكذبون؟

سألت أحد العلماء: قل لي من فضلك؟ وقال لي. ولم أقتنع. فقد لاحظت أن الباعة في المدينة المنورة يقسمون بالله العظيم ثلاثًا أن سعر السلعة خمسون ريالًا مثلًا. ثم يبيعونها بأربعين وثلاثين. ويقسمون بالعظيم أنها صفقة خاسرة. وقد رأيت ذلك في كل المحلات التي ترددت وتفرجت عليها ـ فيما عدا الصيدليات..

مثلًا في محل جلابيب أنيقة فخمة موضوعة في علب فخمة. قال الرجل الجلباب بمائة وعشرين لا تنقص. وأقسم على ذلك. وأنه لم يحدث أن ناقشه أحد. وإنما الناس جميعًا يعرفونه وسألني فقلت لا أريد فقد أهداني أصدقاء أعزاء الكثير من هذه الجلابيب. فأغراني أن أمد يدي وأن أتفرج.. وأقسم وكرر القسم. وانشغلت بأشياء أخرى وبالحديث مع المصريين الذين (يفاصلون) فالشراء هو غريزة المرأة، والفصال هو اللذة المؤكدة والمتعة الحقيقية. ولذلك من الممكن أن نجد المرأة قد اشترت ما لا تريد، ولكنها استطاعت أن تخفض السعر من مائة إلى خمسين أو ثلاثين. وهذا النصر هو الذي أغراها بأن تعود إلى البيت بما لا ضرورة له! ورأيت سيدة تستعرض قدرتها على تخفيض سعر أي شيء. وهي حكاية طويلة لا تعجبني. وأرى أنه لا شيء في الدنيا يساوي هذه البهدلة في اللف والدوران والمحايلة

والاحتيال. ولكنها رياضتها اليومية والمادة الأولى في حكاياتها وشطارتها ومغامراتها في السعودية وفي كل مكان تذهب إليه. ورأيتها فعلًا قد خفضت ما أقسم الرجل على أنه يستحيل إعطاء غير المطبوع على البضاعة. ولكنها استطاعت ولا يزال الرجل يحلف أن هذه هي المرة الأولى وأنه خسران!

عدت أسأل أحد العلماء: كيف يكذب على الله كل يوم ولا يرده ولا يصده أحد؟

فقال: هو يقول علنًا إن سعرها والله العظيم ثلاثون ريالًا.. ثم يقول في سره: ولكني سوف أبيعها بسعر أقل. فليس كاذبًا!

ولو كنت أعرف رقم تليفون مفتي الديار المصرية لسألته؟!

اعتـــراف
شنيـــــع

ساءني جدًا أن أرى د. محمد شعلان طبيب الأمراض النفسية المعروف بهذه الصورة الأليمة في برنامج (حوار صريح جدًا).. فلو كان للدكتور شعلان عدو متفرغ ما قال أسوأ من الذي قاله عن نفسه. فقد تطوع د. شعلان أن يبهدل نفسه، وأن يتحدث عن فشله وعجزه وخيبة أمله في أولاده.. فشله كأب وكطبيب. أما لماذا فشل كأب فهو أن أولاده يشتمونه.. يشتمونه لماذا؟ لأنه دلعهم، أو لأنه أعطاهم حرية أكثر من اللازم فرفعوا الكلفة وألغوا المسافات وظلوا يقتربون منه حتى صغر حجمه وتضاءل وزنه وتلاشى أبًا وأستاذًا.. يعني أصبح صفرًا.

وحتى من الناحية الجسمية فهو بقايا د. شعلان.. العينان قد أطفئتا، والبشرة ذبلت، واليد ارتعشت. لقد سقط التمثال العقلي والنفسي. وأنا أعرف د. شعلان وجلست إليه كثيرًا وطويلًا، ووجدت له نظرات نافذة ثاقبة في السياسة، وفي علم النفس السياسي. وما كتبه عن الرئيس جمال عبدالناصر نموذج رفيع المستوى للتحليل النفسي للزعامة، أو للشعوب في مواجهة الزعيم. والسيدة منى الحسيني في غاية الإشراق والحيوية نهشت لحم الرجل الطيب.. كانت مثل سمك القرش لا عندها رحمة ولا حدود تقف عندها في فتح بطن الرجل

وأكل أحشائه، وهي في غاية السعادة. ود. شعلان قد صفى حسابه مع الدنيا. لقد كان برنامج (حوار صريح جدًّا جدًّا) مثل عذاب القبر!

وقد ساءني قبل ذلك اعتراف أستاذنا د. لويس عوض عندما تعرى أمام القراء وقال: إنه لا عنده أولاد، ولا أخوه قادر على الإنجاب، وأخته ماتت عذراء في مستشفى الأمراض العصبية!!

ما هذا يا أستاذنا؟ ولماذا هذه البهدلة النفسية؟.. فلا أحد من قرائك يستحق أن تذبح نفسك عند قدميه لمجرد أنه تفضل مشكورًا واشترى لك كتابًا بعد موتك! لا سامحك الله يا منى الحسيني!

عتــــاب
صديــــق

هذه رسالة من صديقي الكاتب الكبير الحائز على الجوائز الدولية في أدب الأطفال: عبدالتواب يوسف:

سألت عنك أكثر من مرة، وفشلت في الاتصال بكم. مجرد الاتصال. أشرت في عمودك إلى (باربي) فقلت إنها البنت الرشيقة الشقراء في كارتون الأطفال والحقيقة أنها دمية، عروسة، احتفل مصنعوها بمرور خمسين عامًا على ظهورها، وكسبوا من خلالها المليارات من الدولارات، والبنات يحببنها ويشترين لها الثياب يبدلنها ويغيرنها عشرات المرات يوميًا.. وفق أحدث الأزياء: للصباح، للمساء، للمكتب، للشط، للسفر، للنوم.. لكل شيء.. وأساتذة علم النفس يشجعونها ويتحمسون لها رفيقة وصديقة، تتحدث إليها البنت، وتشكو من ظلم الحياة والكبار وقسوتهم، وهناك صيحات تطالب بعروسة مصرية، أو عربية.

وقد كتبت عملًا قصصيًا طويلًا عن دمية تحمل اسم (ليلى) ظهرت منذ قرابة العام عن روايات الهلال، ولا أظن أن وقتك يتسع لها، خاصة وقد أهديتك كتبي وبالذات ما حصل منها على جوائز عالمية ولم تشر إليها قط.. وباربي – على فكرة – كتبت عنها عشرات بل مئات القصص ولدي منها العشرات، وربما تكون قد ظهرت كارتونيًا،

إلا أنني لم يحدث أن رأيتها.. وهي صغيرة مثل لوليتا، أي مراهقة.. وهم يستغلون شهرتها في تسمية الحبوب الجديدة باسمها.. مع أنها مجرد لعبة – انتهى العتاب!

اعذرني يا أيها الصديق فأنا لست متابعًا تمامًا لكتب الأطفال وعالمهم ففي أسرتنا أطفال أراهم بعض الوقت وأنشغل بهم لحظات. ويعود كل شيء إلى ما كان أعود أنا إلى عالمي من الكتب والقراءة والتوالد المستمر لعلامات الاستفهام والتعجب التي تلتف وتطير حول دماغي وتفسد النوم والطعام وتشوشر البال وتطلق دخانًا أسود في عيني وطنينًا في أذني.

وأعرف أن أدباء الأطفال هم شهداء الأدب.. فرغم جهودهم الهائلة فإن الأطفال وحدهم وبعض الآباء هم الذين يعرفونهم.. ولم أعد طفلًا ولست أبًا. ولكن من المعجبين بك أديبًا حرصت على سماع قصصك في الإذاعة وبعض قصصك المكتوبة.. ولا ألومك إذا لم تقرأ لي كتبي. فلا تلمني. وشكرًا على تصحيح غلطة وقعت فيها. وأعدك بأنني لن أعود إلى الكتابة إلا من بعيد جدًا عن أطفالك ومخلوقاتك البديعة.

بطـــولات خفيـــة

مهمة كبيرة ثقيلة ولذيذة كانت تقوم بها السيدة سامية الإتربي مع يحيى تادرس في برنامجها التليفزيوني الشهير الذي يسجل التراث الشعبي بالصورة والصوت والحوار الحي..

فقد مضت سنوات لا أعرف كم عددها ونحن نرى السيدة سامية الإتربي تقدم هذا البرنامج.. بل إنها لا تقف عند إذاعته وإنما هي تندمج فيه أيضًا فتكون أحد معالمه.. والبرنامج يختار نماذج لا تقع عليها العين. ولكنها نماذج تستحق التسجيل والفرجة والاحترام. واختيار هذه النماذج هو إطلاق النور على أناس يتلاشون في الظلام والنسيان. ولكن البرنامج يعيدها إلى الحياة. ويجدد متعتنا بالمشاهدة والمتابعة والتأمل والابتهاج بما كان في أعماق حياتنا الشعبية..

وقد شاهدت (أبطالا) في الظلام يكافحون وحدهم ويتساقطون ثم يمسحون دموعهم ولا يتوقفون.. ورغم أن أحدًا لا يراهم ولا يسمعهم، فإنهم ماضون في حياة يحبونها.. إنهم نماذج من الفقراء الشرفاء أو من الفنانين بلا جمهور وبعضهم لا ينتظر أن يشير إليه أحد. وكان امتنانهم عظيمًا عندما وقفوا أمام الملايين يقولون ونسمعهم ونراهم...

إن هذا البرنامج وحده نموذج يستحق الاحترام.. فهو عمل صحفي وروائي وهو تسجيل تاريخي وإحياء لفنون وآداب كادت تنقرض..

ولا أظن إلا حلقات قليلة من هذا البرنامج قد فاتتني، فأنا أحرص عليه وأدعو له أيضًا. وقد استطاع هذا البرنامج بقوته الذاتية واحترام الناس وحبهم أيضًا أن يبقى في العين والأذن والذاكرة..

ويمكن أن تتحول الحلقات إلى كاسيتات تباع في مصر وفي كل البلاد العربية.. فهي عن الناس الصغار.. الناس الذين كانوا أو أصبحوا على الهامش في الظل.. ولكنهم صادقون طيبون. والأستاذ يحيى تادرس لا يكف عن البحث والتنقيب: نحلة في كل روض. أو بلغة الكرة (كشاف) يبحث عن المواهب المتواضعة الوفية في كل أحياء وقرى مصر. وقد نجح الاثنان....

قـــط
وفـــأر

جاءتني هذه الرسالة من الكيميائي عباس صادق مدير عام بالهيئة القومية للرقابة الدوائية سابقًا. وقد أرفق معها صورة لقصاصات عن موضوع الرسالة من جريدة (مورننج كال) التي تصدر في ولاية (نورث كارولينا) الأمريكية:

طالعت ما كتبتموه عن حكاية قطة في الصحف البريطانية.. وقد تسمحون لي بأن أذكر حكاية (فـأر) في الصحف الأمريكية.. حيث كنت موجودًا هناك وتابعت قضية مصرعه في الصحافة وتطوراتها الغريبة.. وتبدأ القضية باتهام رجل (69 عامًا). باصطياد فأر ثم قتله عن طريق ضربه بيد مكنسة، حيث إن الفأر كان يلتهم الطماطم التي يزرعها في الحديقة. فاتهموه بالقتل دون ضرورة لذلك. وبأنه انتهك قوانين الولاية التي تجرم الإساءة والقتل للحيوان.

وهو يواجه عقوبة غرامة 1250 دولارًا والحبس ستة أشهر في السجن. دافع الرجل عن نفسه قائلًا إنه لم يقتل الفأر تحت تأثير الكراهية أو الغضب.. وإنه لا يحب أن يكون ضحية فأر.. أفاضت الصحف الأمريكية في نشر تطورات هذه القضية تحت عنوان قاتل الفأر.

.. ما رأيكم في المقارنة بين قيمة حياة الفأر الأمريكي لدى الأمريكان.. وحياة الإنسان المسلم في البوسنة وأفغانستان وفلسطين

والعراق لدى الأمريكان أنفسهم.. إذا كان العراق يخشى الضربة العسكرية الأمريكية المتوقعة.. فما عليه إلا أن يضع فأرًا أمريكيًّا في كل مدينة عراقية ويا دار ما دخلك شر!.

وجاءني من د. فريد أبو ذكري الذي عاش في تايوان ستة أشهر يقول:

إنهم هنا يأكلون الثعابين البرية ويمكنك وأنت واقف في محل (جزارة) أن تراهم وبرشاقة وخفة غريبة يسلخونها.. كأن الثعبان كان يعيش في جورب من الحرير الرمادي المنقوش. فهم يأكلون الثعابين وقبل أن يأكلوها، فإنهم يذبحونها.

ونشرت إحدى الصحف عن شاب مريض هوايته تعذيب الثعابين.. وحبسوه وحاكموه.. المعنى: الرحمة بالحيوان الضعيف الذي لا يملك إلا القليل دفاعًا عن النفس! وكما نرى هناك في كل مكان من الدنيا: قسوة وعنف ومص دماء الحيوان والإنسان. ولولا ذلك ما كانت رسالات السماء والدعوة إلى السلام. فنحن أشرار وأخيار يا سيدي.. وهناك عبارة شهيرة تقول: إننا نفزع من منظر الدم مع أنه يجري في عروقنا! ولكن هناك فرقًا بين الدم الأمريكي النبيل ودماء كل البشر!

أ.د. نادر نور الدين مستشارنا الثقافي في الكويت أتاح لي فرصة غالية أن أجلس إلى المثقفين والأدباء الرسميين أقول ويقولون. لقد تغيرت الكويت، فقد رأيتها كثيرًا قبل العدوان العراقي، وبعد العدوان أيضًا. بعد العدوان كانت الأرض والسماء ونفوس الناس في لون الدخان والتراب واليأس وخيبة الأمل بعد غدر الصديق وخيانة الشقيق، وبعد أن صارت الآبار نارًا، والهواء هبابًا، والبحر وحلًا، ومات البشر والحيوان والطيور، وأصيب الناس بأمراض لم تخطر على البال، فقد زاد عدد مرضى السكر وتسوس الأسنان والاضطرابات العصبية، وانتشر الربو، وكفروا بالعروبة، ولا حيلة لأحد في ذلك كله.

ثم رأيت الكويت أخيرًا.. البلاد غسلت وجهها وأرضها ودخل الأمان والاطمئنان إلى قلوبهم والأمن إلى عقولهم، وقامت العمارات التي انهارت، وامتلأت الأسواق، ولكن شيئًا ما ليس هناك.. إن الكويتيين يسألون ويتساءلون. ولكنهم في الوقت نفسه لا يريدون أن يسألوا سؤالًا واحدًا وحيدًا ماذا سيحدث بعد ضرب العراق؟ إنهم وإننا نتمنى أن يذهب صدام وأن يبقى شعب العراق.. كيف؟ الأمريكان يقولون ممكنًا. فقد أعدوا الأسلحة فضاء وجوًا وبرًا وبحرًا وجواسيس ومعارضة وخريطة لما بعد صدام.. هم يقولون، ولكننا لا نعرف،

والقنوات الفضائية امتلأت كلامًا واجتهادات وقراءة الفنجان وضرب الودع. ولكن الشيء الواضح المؤكد هو أن المفتشين سوف يقفون عند نقطة أو نقطتين، وأن صدام لن يسمح لهم بتجاوزها، هنا فقط تجد أمريكا أنها ليست في حاجة إلى مجلس الأمن، وأنها ستفعل ما استعدت له، وهو ضرب صدام، وبعد ذلك ضرب ما لا نعرف من بلاد الشرقين الأوسط والأقصى، فكوكب الأرض قد فوض الرئيس بوش أن يفعل ما بدا له، بيده أو بيد إسرائيل.

وأكثر الناس قدرة على التنبؤ سوف يجد نفسه عاجزًا عن رؤية غد وما بعد غد.. وسوف نرى ولن يطول انتظارنا!

قضايـــا مستعـــارة

شيء مضحك أن تجد من يسألك عن الرئيس عبدالناصر الذي لا أعرف ما الذي يمكن أن يفعله هو أو هتلر أو موسوليني أو ستالين أو أتاتورك. لقد مضى عليهم زمان طويل.. وتقلبت وتألبت صفحات التاريخ وجاء قوم من بعدهم آخرون ومشكلات وكوارث.

وأطلت وتوارت وجوه. وتعاظمت المشكلات وتعملقت القضايا وانفجر السكان. وتشققت الأرض، وجف الماء والدموع.

وأنا أندهش كيف أن أناسًا يتحمسون للحديث عن عبدالناصر. مع أن الرجل قد صفى حسابه وأقفل كتابه. وانتهى دوره زعيمًا وكبيرًا بخيره وشره. ولكن لماذا يثيرون قضية ليست قضية ولا مشكلة. فما كان قد كان. انتهى. وأمامنا ووراءنا جديد في جديد.. أما السبب فهو أننا نعيش كثيرًا من القضايا المستعارة – مستعارة من الماضي هربًا من الحاضر وخوفًا من المستقبل. فنفرض الماضي على الحاضر ونقيم للماضي تماثيل نخر لها راكعين ساجدين. هل تستحق ذلك؟ لا.. ولكننا نحن الذين لا نستحق أن نعيش حاضرنا ومستقبلنا. ولذلك اخترنا البكاء على ما كان. والبكاء لا يجدي. ولكنه مزاج عام.

وقد أتيحت لنا فرصة أن نسعد وأن نفرح بعد نصر أكتوبر ولكن الحزن غلبنا واليأس تمكن منا.. فلم نستطع بعد 1973 إلا أن نترحم

علي1967. وأوقفنا التاريخ بكل أحداثه وأبطاله عند سنوات النكسة.. وبعض الشعوب مثلنا ـ تحب أن تمشي إلى الوراء وتطيل النظر إلى ما كان وأن تستقر هناك.. أي أن تدفن رؤوسها وقلوبها وعقولها في الأمس.. ثم إن بعض الناس قد انتهت أعمارهم الافتراضية فراحوا يطيلونها بقوة الإلحاح وإيمان الناس بالخرافة، وعبادة الناس لماضيهم وماضي الذين ظلموهم وقهروهم ـ هي أيضًا إحدى مراتب تعذيب النفس وتحقيرها!

علــى
جثتـــي

اقتربت الساعة وانكشف الخطر على العالم العربي وغيره من العوالم، فالذي سوف يحدث للعراق وفي العراق شيء خطير جدًا: سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. فأمريكا لن تهدم عمارتين في بغداد، وإنما سوف تهدم نظامًا على دماغ شعب عريق الحضارة. شعب غني جدًا قد عرف الجوع والحرمان والهوان، وطال عقابه وعذابه لأسباب لا دخل له فيها.. وسقوط صدام حسين هو نموذج للتدخل الأمريكي في أي مكان ـ فلا قانون ولا دستور ولا تقاليد ولا حضارة، وكثيرون يقارنون بين هولاكو وتيمور لنك وآل بوش.

وإذا كان الرئيس بوش يتصور أن هذا كله يحل مشكلة إسرائيل في الشرق الأوسط ومشكلة اليهود في العالم، فهو مخطئ، فالذي فعلته إسرائيل في العراق عندما ضربت له المفاعل النووي – أوزيراك – الذي أقامه الفرنسيون، لن ينساه العراقيون ولا نحن أيضًا، وأذكر أن السيد مناحم بيجين قد قال للرئيس السادات أن في نيته أن يضرب مصانع الكيماويات المبيدة في ليبيا، فقال له الرئيس السادات: على جثتي! إن مشكلة إسرائيل قد ازدادت تعقيدًا، وإذا كانت إسرائيل هي الأقوى، وشعب فلسطين هو الأضعف فإن الذي تريده هو الأصعب. ففي استطاعة إسرائيل أن تسوي فلسطين بالأرض وأن تجعل الشعب

الفلسطيني لاجئًا في بلاده مرة أخرى، ولكن الذي تريده إسرائيل هو أن تنسى: الدموع والدم صعب جدًا بل مستحيل فقد هبطت صورة إسرائيل إلى أقصى الدركات. فليس بعد ذلك أبشع، وإسرائيل تحتاج إلى قرن آخر، لكي تمحو ما رسمته بالحديد والنار على أرض فلسطين، ولكنها تحتاج إلى ألوف السنين، لكي تمحو ما حفرته بالتعذيب والقهر في نفوس الشعب الفلسطيني جيلًا بعد جيل.. والذي حدث في فلسطين من أجل إسرائيل وأمريكا من الممكن أن يحدث في أي مكان آخر، وقد حدث في أفغانستان، وسوف يقع للعراق، ولا أحد اليوم بعيد عن المذبحة الأمريكية!

حسين بيكار

أكثر الناس لا يعرفون صديق العمر حسين أمين بيكار.. أو بيكار. لقد قرأت سطورًا عنه.. والذين كتبوا هم تلامذته من الفنانين أو أصدقاؤه.. ولم يكن بيكار شخصًا عامًّا.. وإنما كان أستاذًا لكبار الفنانين.. وكان قدوة لأصحاب الرأي مهما يكن مخالفًا للرأي العام. فهو لم يكن طولًا بعرض.. حليوة وشوارب وصوت غليظ ومحفظة عامرة.. وإنما كان شخصية رفيعة مهذبة.. وكان رجلًا مؤمنًا زاهدًا في الدنيا.. وكان شيئًا عجيبًا جدًّا إذا عرضنا عليه فلوسًا هي حقه في رسم أغلفة كتب أو مكافأة عن عمل قام به يكون رده: مش عاوز فلوس.. أي فلوس!

وقد سافرنا معًا عبر البحر الأبيض إلى أوروبا.. وكانت رحلتنا مشهورة ومشهودة. فقد كانت تضم أكبر الفنانين في مصر: صلاح طاهر، وعبدالسلام الشريف، وكمال الملاخ، وحسن فؤاد، وجمال كامل، والأخوين سيف وأدهم وانلي، وأبو صالح الألفي، وعبدالغني أبو العينين، ولبنى عبدالعزيز.. وكانت رحلتنا الأولى على ظهر الباخرة إسبيريا على ظهرها فعلًا وفي خيمة.. وكان البحارة يوقظوننا عند الفجر لغسل ظهر الباخرة.. وكنا نهرب إلى الدرجة الأولى لنجد مكانًا أفضل وطعامًا ألذ مقابل أن نقوم بالترفيه عن

ركاب الدرجة الأولى. فقد نظم حسن فؤاد مسابقة لجمال السيقان اشترك فيها معظم هؤلاء الفنانين.. والناس يضحكون مقابل الآيس كريم والمكرونة.. شباب وشقاوة شباب.. وضحك وفرفشة وكتابة مذكرات بعد ذلك.. ويوم تأخر سفر الباخرة من البندقية إلى الإسكندرية.. وكانت قد نفدت فلوسنا فوجدنا لعبة أخرى.. فقد رافقني عبدالسلام الشريف والأخوان وانلي.. فقد كنت أقدمهم إلى المطاعم على أنهم لاجئون سياسيون من كوريا ولا يطلبون من الله ولا يكتر على الله إلا المكرونة والقهوة!!

وغير ذلك كثير جدًا.. وظل بيكار هو الأرق صوتًا وأسلوبًا وخطوطًا.. وهو الأصدق العفيف اليد واللسان.. فلم يحب بيكار إلا الوفاء: أن يحب الناس.. وأن يحبه الناس.. عاش ومات كريمًا على نفسه وعلى الناس.. يرحمه الله.

ثمانـــون مليونًـــا

في إحدى خطب الرئيس عبد الناصر قال: إن عددنا 18 مليونًا. أي أن العدد كبير جدًّا. وهذا يجعل موقف علماء الاقتصاد والتموين والتربية والتعليم صعبًا. كيف يواجهون هذه الزيادة السكانية. كيف يدبرون الطعام والشراب والمقاعد في المدرسة والأتوبيس والسرير في المستشفى والملابس والدواء!

وقد أصبح عددنا 80 مليونًا. وواضح جدًّا من خطب الرئيس مبارك أن هذه كارثة وأنها من الهموم الثقيلة التي يحملها على كتفيه والدولة بكل أجهزتها. فما الحل؟ الحل ألا نزيد. بأن نوقف نمو الملايين التي يخنق بعضها بعضًا في الشارع والمدرسة والمستشفى والوظيفة. وقال الجميع وقلنا. ولكن لم نفلح كما أفلحت الصين واليابان والهند. فهل نستنتج من ذلك أن الطريقة أو الأسلوب الذي نلجأ إليه ليس هو الأسلوب الناجح والناجع. إذن ما هو الأسلوب الذي يناسبنا ومن الذي يقنع الناس بأن يمسكوا أنفسهم: هل التليفزيون هل المساجد هل المدارس؟

إن دولًا كثيرة تمنح من يتزوج مكافأة وعلاوة لمن يأتي بالولد أو البنت وبالابن الثاني والثالث – ربما كانت الفلوس أكبر مشجع على تنظيم النسل. فلا أظن – كما فعلت الصين – أن نعاقب الناس

مع كل طفل ثالث - أي يجب أن تكتفي الأسرة بطفلين وأخيرًا بطفل واحد. ومن الأفضل ألا تنجب الأسرة أو أن تتبنى أطفال الآخرين.

إن الدولة لا تستطيع وحدها أن تواجه كل أسرة. ولكن لابد من حملة إقناع هي حملة حماية مصر نفسها من الفقر والجوع والبطالة والأمية والعنف... أي لابد من قراءة رشيدة لما تنشره الصحف وقنوات التليفزيون عن إنقاذ الشعوب من الانحلال والانقراض!

فـــون
بـــراون

يقول الأمريكان إنهم سوف يستجوبون صدام حسين.. يسألونه كم سؤال. وبعد ذلك يطلقون سراحه – ويا دار ما دخلك شر. طبعًا كلام لا يصدقه عقل! هذا إذا تركوه حيًا أو إذا هو لم ينتحر أو لم يتطاول عليه أحد من عملاء إسرائيل وأمريكا..

ويقولون أيضًا إن العلماء العراقيين الذين يحركهم صدام حسين لصناعة الموت: صواريخ وقنابل ميكروبية وسامة ونووية لابد من محاكمتهم. مع أن أحدًا لم يطلب محاكمة علماء أمريكا الذين اخترعوا القنابل الذرية لضرب اليابان بعد إغراق الأسطول الأمريكي في جزر هاواي. الأمريكان سوف يطاردون العلماء العراقيين. مع أن أمريكا هي التي اختارت لصدام حسين أحد المخترعين الكبار لصناعة وتطوير المدفع العظيم الذي حملته سفينة من المواني البريطانية. وقيل يومها إنه ليس مدفعًا إنما هي أنبوبة غاز، وصدق العراقيون أنهم خدعوا الإنجليز! وكان الغرض من هذا المدفع هو ضرب إيران. أما هذا المخترع فقد اغتالته الموساد.

وهذا ما فعله الأمريكان قبل ذلك في ألمانيا.. فقد كان هناك سباق دموي بين الأمريكان والروس أيهما يسبق الآخر في خطف علماء الصواريخ الألمان في منطقة بينموندة. الأمريكان سبقوا أن

اعتقلوا المخترع الألماني فرنر فون براون وكل الخبراء الألمان. وكانوا يصنعون في هذه المنطقة الصواريخ (ف2) التي ضربت لندن.. ولولا أن الإنجليز اكتشفوا الرادار الذي يلتقط ظهور الطائرات قبل وصولها إلى الجزر البريطانية لتم تدمير لندن وغيرها من المدن.. والعالم الألماني فون براون هو الذي اخترع صاروخًا جبارًا حمل أول قمر صناعي حول الأرض. وكذلك الصواريخ التي أنزلت أول إنسان على القمر.. وليس الغد ببعيد!

بروتوكولات صهيون

عندي كلام عن (بروتوكولات حكماء صهيون) ...فقد كان من المفروض أن أترجمها سنة 1948. جاءت نسخة للأستاذ محمد صبيح سكرتير تحرير جريدة (الأساس) وأعطاها للأستاذ جلال الدين الحمامصي مستشار التحرير في ذلك الوقت. ولم أعرف رأيه فيها. وعكفت على قراءتها. ولكني في ذلك الوقت كنت في نهاية دراستي الجامعية وعلى عتبة الصحافة مشغولًا بالأدب والفلسفة، لا بالسياسة، وقرأت البروتوكولات ولا أظن أنني استوعبتها. ولكنني وجدت في المقدمة اغتيال أول من ترجمها إلى الفرنسية، وكذلك الذي ترجمها إلى الإسبانية..... أما دار النشر التي طبعتها فقد نسفوها. ولكني كتبت عنها مقالًا. وكتب الأستاذ سامي داود تعليقًا على المقال، وكذلك الكاتب الفلسطيني عميد الإمام في (روزاليوسف). وناقش الأستاذ العقاد هذه البروتوكولات وضحك كثيرًا من أنني أوجست خيفة من ترجمتها. وتقدم الأستاذ محمد خليفة التونسي وأبدى استعداده. وقد ساعده الأستاذ العقاد. وجاءت عبارة في مقدمة الترجمة أن البروتوكولات عرضت على كاتب شاب فخاف، عواقب الترجمة – يقصدني!

وأذكر أن الذي أتى بهذه البروتوكولات صحفي بولندي لا أزال أذكر اسمه: هنري كاستر. وقد حذرني مدير الإعلانات مسيو كوهين

من هذه الترجمة التي ستجعل أصحاب الشركات اليهودية يمتنعون عن نشر إعلاناتهم في جريدة (الأساس) ..وقد تبرأ اليهود في كل العصور من هذه البروتوكولات.

ولا أظن أن اليهود يخشون على سمعتهم من هذه البروتوكولات حتى لو كانت صحيحة. فقد نجحوا وحصلوا على كل ما طلبته البروتوكولات - وهي في الوقت نفسه (وصفة) ناجحة لمن يريد أن يقضي على سلطانهم المالي والإعلامي. ولا أظن أن يهود إسرائيل أو أمريكا يخافون على سمعتهم أن تسوء - فالذي اقترفوه في فلسطين وحدها يكفيها لقرون عديدة ليكونوا أبغض الناس إلى الناس..

ومظاهرات اليهود ضد نشر (البروتوكولات) مفتعلة.. ولكنهم يريدون شيئًا أكبر وهو ألا يمسهم أحد... وأن يظلوا قوة مخيفة. يكفي أن يقولوا: أن فلانًا عدو للسامية. مع أن الذين يحكمون إسرائيل ليسوا ساميين.. ولكن المهم أن يستمتع كل إسرائيلي بصفة اللامساس - لا من قريب ولا من بعيد!

عمرها
مائة سنة!

إنها شخصية فريدة كانت راقصة باليه وممثلة وكاتبة حوار وسيناريو ومخرجة ومنتجة، رأى هتلر فيلمها الأخير (الضوء الأزرق) سنة 1932 فأعجب به وبها، وطلب إليها في سنة 1934 تصوير فيلمها: انتصار الإيمان وانتصار الإرادة.... ثم طلب إليها أن تصور الدورة الأوليمبية سنة 1934، وفي هدوء وفي يوم 23 أغسطس الماضي احتفلت ببلوغها المائة من عمرها، وتستعد لدور البطولة في فيلم عن حياتها، ولكن هناك بقعًا سوداء على ثوبها التاريخي، لقد كانت تصور نشاط الحزب النازي، إذن هي نازية؟!

لم تكن نازية، وإن كان من الصعب أيام هتلر ألا يكون أي أحد... ومع ذلك فهي فنانة أتيحت لها فرص نادرة، فلم تضيعها.. وهذا الذي فعلته هو أهم وثيقة تاريخية لنشاط الحزب النازي وهتلر، ولم يسألها أحد في أي وقت إن كانت نازية أم لا؟! فلم يعرف لها أحد أي نشاط سياسي، إنها فنانة وبس.

ومن أروع أعمال هذه الفنانة ليني ريفنشتال ما صورته في السودان والحرب الأهلية، وفي النوبة، وفي تلك الأيام من سنة 1960 لم يكن سهلًا تصوير المعارك الأهلية في الجنوب شديد الحرارة كثيف الرطوبة الموبوء بكل أنواع الحشرات والميكروبات، ولكنها ذهبت

وأقامت وصورت وعشقت. وتركت لنا تحفًا فنية ليس لها نظير. وفي السبعين من عمرها تعلمت الغطس لتصوير ما تحت الماء، غطست ألفي مرة في المحيط الهندي، وفي المحيط الهادي، وكانت لها أفلام عن الحياة في الأعماق، وقد سبقت بذلك عصرها بعشرات السنين... فلو كانت نازية سياسية لاختفت في السجن، ولكنها فنانة، رأت وصورت وأبدعت، فأنقذها الفن من غياهب السياسة، وحتى لو ماتت اليوم أو غدًا، فالفن أطول عمرًا من الفنان، وشخص الفنان يموت وشخصية الفنان لا تموت، وقد كانت (ليني) موهبة فنية باعتراف أكثر الناس كراهية للألمان وعداوة لهتلر!

جئت لأنسى

أنا الوحيد الذي يرتدي البلوفر فالدنيا برد. كثيرون يمشون بصدورهم عارية وسيقانهم وسيقانهن. لأنهم أوروبيون وأنا إفريقي. والشمس التي يتهافتون على أشعتها أطردها من النافذة ولأن ذكرياتي في باريس أليمة وحزينة فلم أعد أتذكر الأماكن التي كنت أحرص عليها.. هذا المقهى في هذا الركن. وهذا البن الأسود القاتم وبخاره يملأ العين والأنف والأذن وينعش الفكر.. وأين المكتبة.. كانت هناك. وهذه المكتبة جديدة. احتلت مكانها. وأسأل فتكون المكتبة من القرن 19 لم يتغير فيها اسم ولا جسم ولا موظفون. ولكني نسيت أو أنسيت. أو أريد أن أنسى وأن أمحو من ذاكرتي كل ما يذكرني بتعاستي في هذه المدينة الجميلة التي ليس لها مثيل في الدنيا. كانت كذلك ثم صارت ما هي عليه. والعيب ليس فيها. وإنما هنا (أشير إلى دماغي وإلى قلبي رافعًا يدي إلى السماء ألا تعود تلك الأيام في غرف الإنعاش والمستشفيات يا رب!) .

ونسيت أيضًا أسماء المحلات التي كنت أعرف موظفيها وموظفاتها وأين يوجد الحرير والصوف والكريب.. وأين أحسن الملابس والأحذية والشنط.. وأمد يدي ولا أنسى إلا نفسي.. ففي جميع المرات لا أجد ما أشتريه لنفسي، لا لأنه لا يوجد، ولكني أنا الذي لا وجود له!

هل فقدت ذاكرتي أو في سبيل ذلك؟ أقوم بتجربة. ففي نهاية شارع (سانت أونوري) توجد على الشمال عمارة. وفوق الباب بلكونة بها ورد كثير ومن بين الورود تطل قطة أو كلب. هناك حيوان أليف كأنه تمثال له. فهو لا يغير موقعه ولا نظرته. وذهبت ورفعت رأسي وتمنيت ألا تكون ذاكرتي هي الأخرى مثل أصابعي متراخية لا تمسك شيئًا. نظرت وجدت الورد ووجدت القطة وسيدة تقول: أهلًا.. أين أنت وأشارت بيدها إلى الجانب الآخر من الشارع.. إنها مكتبة جديدة. أسرعت.. دخلت جلست وشكرت الله أنني لا أزال أذكر أهم ما في باريس. فمن هنا البداية وإلى هنا النهاية: كتب من كل لون ونوع وبلد وعصر!

قمــة
الأرض

الرئيس مبارك في كلمته إلى (قمة الأرض)، أو القمة إللي زي الأرض، التفت إلى بقعة عار على البشرية كلها: فلسطين. بسبب العذاب والهوان، واعتبار الشعب المكافح أرضًا يجرفونها ويكتسحونها كل يوم.. ويجعلون الناس ترابًا يدوسونه بالدبابات باسم الأمن الإسرائيلي، والحرب ضد الإرهاب الذي تحاربه أمريكا.. في كل مكان في الدنيا.. حيث لا يجرؤ أي إنسان أن يقول: لا..ماذا تحتاج قمة الأرض كنموذج لكل ما هو شر في الدنيا: القتل والتجويع والترويع والتخريب والإبادة اليومية؟! ماذا تحتاج قمة الأرض إلى نموذج أسوأ وأفدح من هذا الذي يجري ولا يجري في فلسطين من تلوث.. من تلويث للتراب بالدم.. ومن تبوير للأرض وتجويع للبشر.. وقبل التجويع: انتهاك للطفل والأم والأب. وكل ذلك على شاشات التليفزيون يوميًا..

فإن لم تكن قمة الأرض قد انعقدت لهذه المأساة البيئية والزراعية والصحية والإنسانية والقانونية، فلأي شيء انعقدت.. ولا ما معنى لذهاب الرؤساء ومساعديهم. ولا أمل في تنفيذ قرار واحد مما أعلنوا.. والذي حدث في قرارات قمتي (ريو وكيوتو) قبل ذلك يملأ نفوسنا باليأس من كل النيات الطيبة، ومن كل قصائد الشعر التي تفنن

الخطباء في تدبيجها. فقد أسفر مؤتمر (ريو) عن أن أمريكا ركبت رأسها.. والذي لا يعجبه من كل سكان الأرض فليضرب دماغه في الأرض مرة أخرى..

وهكذا تسجل الأرض ومن عليها وما عليها مرحلة جديدة من العار والخزي.. فالفقراء عاجزون والأقوياء رافضون.. وعلى الأرض كلها وفلسطين السلام في مقابر التاريخ!

أمريكا
في الخليج

عبارة قديمة قالها السياسي الفرنسي الكبير كلمنصو: إن الحرب أخطر من أن تتركها للجنرالات!

فلا اتفاق ولا وفاق بين الجنرالات. وأمامنا الحربان العالميتان الأولى والثانية.

ولذلك يجب ألا يكون القرار النهائي لضرب العراق لجنرالات أمريكا، وإنما لابد من شيء من العقل، والعقل يسألنا: هل صحيح هذه الحرب ضرورية؟ وهل صحيح أن صدام حسين عنده أسلحة دمار شامل؟ وهل صحيح أن لديه رءوسًا نووية ونحن نعلم علم اليقين أنه لا توجد لديه صواريخ تحمل هذه الرءوس؟ وهل صحيح أنه لم تعد هناك وسيلة أخرى لإسقاطه إلا على جثة مئات الألوف من المدنيين العراقيين والعسكريين من الأمريكان وحلفائهم من الإنجليز ودول أخرى صغيرة! والعقل يسأل أيضًا: أليس صدام حسين هذا صناعة أمريكية؟ أليس الرئيس ريجان هو الذي فتح له البنوك الإيطالية يغترف منها كما يريد؟ أليس الرئيس ريجان هو الذي قدم له المهندس الكندي الذي اخترع له أكبر مدفع في التاريخ، ثم اغتالته الموساد؟ أليس الرئيس بوش الأب هو الذي أرسل السفيرة إيريل جلاسبي التي اختفت من الدنيا، وقال لها: قولي له يضرب الكويت وليس السعودية.

وضرب الكويت والتفت الدنيا أمـام ووراء بوش الأب. وانسحب صدام واستقرت أمريكا في الخليج.. كما استقرت على بحر قزوين في الشرق والغرب. ولكي تحكم أمريكا الخناق على آبار البترول كلها لابد من سقوط صدام وكل من يتشدد له! ولا تصدق أي كلام عن المبادئ والقيم والأمن والقضاء على معسكر الشر – وأي شر أفدح من هذه الحرب؟!

في البرنامج الناجح جدًا (اختراق) لعمرو الليثي، تابعت التحقيق في بهدلة الرئيس محمد نجيب ومحاولة اغتياله. لقد فشلوا في قتله، ولكنهم نجحوا في الإبقاء على حياة أفضل منها الموت.. وتعذيب محمد نجيب مع هزيمة سنة 1967 أشنع أخطاء الرئيس عبد الناصر يضاف إليها مقتل عبد الحكيم عامر وأنور المفتي وما لا عدد له من الأبرياء - والثورة عادة تأكل بنيها وأبناء غيرها من الأحياء والأموات. ولكن أهم ما في هذا البرنامج محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر في الإسكندرية سنة 1954. محاولة بشعة. الإخوان المسلمون يقولون: تمثيلية. لا لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا فقد قتلوا النقراشي باشا، ولا عجز الحكومة من أن تقتل فقد قتلت الشيخ حسن البنا وغيره.

والإخوان الناصريون يرون أنها حقيقة. صحيح جمال عبد الناصر قال في مذكراته إنه هو وزملاؤه كانوا مثل ست شخصيات تبحث عن مؤلف. والمؤلف في حادث المنشية هو الرصاص الذي انطلق ولا أظن أن جمال عبد الناصر قد بلغ هذه الدرجة الرفيعة من التمثيل - ولا يوسف وهبي يستطيع أن يعبر عن هذا الموقف التراجيدي بهذه البراعة، فالذي قاله جمال عبد الناصر صارخًا من أعماق حنجرته:

أنا اللي غرست

رست فيكم العزة.. أنا إللي غرست فيكم الكرامة. إن مثل هذه العبارة لا تصدر عن رجل ممثل، وإنما عن رجل صادق في إحساسه بالرعب والفزع.. فقبل أن يولد جمال عبد الناصر كانت في مصر أهرامات وثورات وزعامات وكرامات واستشهاد من أجل الوطن.. وفي سبيله هانت الأرض والدماء – أقرب واحد محمد نجيب!

وبسبب هذا الذي كان (يجأر) به جمال عبد الناصر وبهذه الصورة البركانية يستحيل أن يكون ذلك تمثيلًا.. وإنما هي حقيقة ذبيحة.. أذكر أن الصحفي الكبير محمد التابعي قد سجل خطاب الرئيس عبد الناصر وهو يصرخ بميلاد العزة والكرامة على يديه.. وكان يفرض علينا أن نستمع؟! بل إن التابعي طلب من الرئيس نفسه أن يسمع هذا التسجيل.. فأسمعه له في التليفون.. لكل ذلك لا أعتقد أن عبد الناصر كان قد بلغ هذه الذروة من الأداء المسرحي!

حدث؟!

اخترق شاب ألماني صغير بطائرته كل الاتحاد السوفيتي من الشرق إلى الغرب وهبط في الميدان الأحمر أمام قبر لينين، وكانت هذه إهانة وجهت لدولة عظمى، فلم تتنبه المخابرات والدفاع الجوي والأمن إلى هذه اللعبة الألمانية التي كانت لطمة قوية وإهانة بالغة للشعوب الروسية!

وكانت نكتة الدول النامية: أنه في استطاعة تلميذ صغير أن يمسح بأي دولة الأرض! فلا توجد دولة قوية جدًّا، ولا يوجد إنسان ضعيف جدًّا!

أما ما حدث لأمريكا من سنة فلا يتصوره عقل، كيف استطاعت أربع طائرات في لحظة واحدة أن تخرج ولكل منها هدف خطير، وأن تحقق أهدافها بمنتهى الدقة: هذه تهدم ناطحة سحاب، والأخرى ناطحة ثانية، والثالثة تهدم وزارة الدفاع، والرابعة تعترض طائرة الرئيس أو تسقط على مفاعل نووي، أو البيت الأبيض نفسه، وهو أعظم إنجاز هندسي عسكري مدني مخابراتي في القرن العشرين، أخطر من سفن الفضاء التي لها هدف محدد جربته عشرات المرات، فهي تدور حول أحد الكواكب، وسفن تصورها وتهبط بالمظلات فوقه.. وبس!

أمـا الـذي حدث في هذا اليوم فهو خيال أعظم من كل خيالات هوليوود. ونحن لا نعرف حتى الآن كيف حـدث؟ ولأنـه معجزة هندسية، فإن العقل لا يقبل أن يكون الذين نفذوا وخططوا قد جاءوا من كهوف أفغانستان بعد أن تركوا السحالي والثعابين في الجبال وتدربوا على اختراق كل الحواجز في أقوى دولة في العالم، العقل لا يصدق ذلك، وإنما لابد أن يشترك في هذه العمليات المعقدة رجال مخابرات من أمريكا وضد أمريكا، ومن إسرائيل، ومن روسيا، أما كيف تم تنظيم كل ذلك في سرية تامة، ومن أجل هدف هو أعظم إهانة أصابت أمريكا بالجنون، وجنونها هداها إلى آبار البترول على بحر قزوين، وبترول الخليج، وبترول العراق، وبذلك تحكم حصارها على كل موارد الطاقة في الشرق الأوسط، وبقية الحكايات والروايات والأفـلام والخرافات سوف تصدر لها بيانات جديدة من البيت الأبيض!

نــار

يا حبيبـي نـــار

تغيرت الدنيا بعد يوم 11 سبتمبر الأسـود.. تغيرت حسابات أمريكـا: مـن الأصدقـاء والأعداء.. الأصدقـاء الدائميـن والمؤقتيـن والمنتفعين، والأعداء الدائمين. أما أنها ضد الإرهاب فنحن أيضًا، وقد عانيناه فاغتالوا وقتلوا وهدموا وضربوا الأمـن والسياحة والاقتصاد.

ولا أحد يعترض على ملاحقة أمريكا للإرهابيين في كل مكان، ولكن لسنا معها – نحن الشرق الأوسط والعربي والإسلامي – في النظر إلى شعب فلسطين على أنه شعب إرهابي لأنه يقاوم بالطوب دبابات وطائرات إسرائيل ويفضل الموت على الحياة تحت الاحتلال والقهر والتجويع والترويع، ولسنا مع أمريكا في اعتبارها شارون من أولياء الله الصالحين المكشوف عنه الحجاب، وأن رغباته أوامر، وكلماته درر، وأن يظل الحاكم الحقيقي لأمريكا وإسرائيل، وإذا كان الشعب الأمريكي يرتضي ذلك نفسه، فنحن نرتضي للشعب الأمريكي أن يكون قزمًا لقزم.

وقد حدد الرئيس بوش موقفه من أول لحظة، فهو الذي قال إنها: حرب صليبية بين الهلال والصليب ونجمة داود، ثم اعتذر، لا يهم، ولكنه قال.

وهو الذي قال في ضربه أفغانستان والاستمرار في ضرب العراق: من ليس معنا فهو علينا، أما نحن فلا نستطيع أن نكون معه في ضرب العراق، ولبنان، وفلسطين، وليبيا، ومن يدري وربما روسيا أيضًا، ونحن الآن أمام طبعة جديدة من رواية (دون كخوتة) للكاتب الإسباني سرفانتس، وفي الرواية يمشي البطل، وليس وراءه إلا واحد خيبان هو سانكو بانزا، بوش وتابعه توني بلير، أما ضرب العراق وغيره فممكن جدًّا، ولكن النتائج حريق هائل لكل آبار البترول في الشرق الأوسط، وإحياء لعبارة شمشون الجبار: عليَّ وعلى أعدائي!

ولن يجد الرئيس بوش من يصفق له بعد أن أشعل النار في الدنيا، بصورة لم يحلم بها نيرون الذي أحرق روما وراح يغني: نار يا حبيبي نار!

ولكنها نار حقيقية لا تنطفئ.. وإذا انطفأت ففي القلوب لن تنطفئ!

اليونـــان
أسهــل

بمناسبة توجيهات الرئيس مبارك للوزراء بتيسير شراء الأرض والعقارات لمن جاءوا يستثمرون أموالهم في مصر أحكي هذه الواقعة، فقد ذهب رجل أعمال مصري إلى اليونان، وطال الحوار بينه وبين سائق التاكسي، السائق قال له بالعربية إنه من الإسكندرية، وإنه كان سعيدًا بها، ولا يزال يذكر معالمها، وكيف عاش، وكيف تزوج وأدخل أولاده المدارس المصرية، وله ذكريات يستحيل نسيانها، ثم سأل رجل الأعمال: ماذا تريد من بلادنا؟ أنا تحت أمرك!

فأجابه بأنه جاء ليشتري قطعة أرض يبني عليها مصنعًا، فقال سائق التاكسي: سهل جدًّا فوزير التجارة كان زميلي في المدرسة، وسوف أكلمه ليجيء إليك فورًا.

وافترقا، ولم يصدق رجل الأعمال المصري أن سائق التاكسي جاد فيما يقول، إنه كلام والسلام، ولكن في الصباح الباكر دق جرس التليفون وكان وزير التجارة على الطرف الآخر يقول: أهلًا وسهلًا بك في بلدنا، لقد حدثني صديقي سائق التاكسي وقال لي: وأنا تحت أمرك وفي انتظارك في الكافتيريا، واستقبله وزير التجارة بحرارة وصدق قائلًا: ماذا تريد..؟ أي شيء في بلادنا ممكن، قال له رجل الأعمال: قطعة أرض.. فقال له الوزير: وإذا أردت أن تشتري جزيرة

فأنا أبيعها وأسجلها لك الآن.. لا مشكلة على الإطلاق، وسوف أؤكد لك ذلك.

واندهش رجل الأعمال المصري وقال ما نقوله عادة في مثل هذه الأحوال: وكيف تبيعون أرضكم للأجانب، كيف تهون عليكم أرضكم المقدسة؟!

وقال له وزير التجارة: إن اليابانيين والسعوديين اشتروا نصف أمريكا، ونحن على استعداد لأن نبيع أي مساحة لسبب بسيط جدًّا، إن هذه الأرض سوف تبقى على الخريطة اليونانية فأنت لن تأخذها معك.. فإذا نجحت مشروعاتك فقد أنفقت أموالك هنا، وإذا لم تنجح فقد ذهبت أموالك إلينا وبقيت الأرض لنا!

ابنــــة أستـــاذي

قرأت رسالة غاضبة جدًّا للدكتورة وفاء وافي، كريمة أستاذنا د. علي عبد الواحد وافي. ومعها حق. ومن مظاهر غضبها عباراتها المتطايرة والساقطة كالشرار والشوك والشطة. فهي قرأت ما كتبته في (ملحق الأهرام) يوم الجمعة عن أيام التلمذة والشقاوة مع أساتذتنا.. وكيف أن آراءهم في بعضهم البعض سيئة جدًّا. وكانت صدمة لنا أذهلتنا طويلًا. وبعض الذين يعرفون ذلك من تلامذته مشاهير أحياء. ولولا أنني أكتب عن د.عبدالرحمن بدوي ما ذكرت د.وافي. فقد كانت مسلسلات الكراهية والسخرية بينهما تسلية لنا. كل ذلك حدث قبل أن تولد د. وفاء وافي..

أما المرة الوحيدة التي كتبت فيها عن د. وافي فيوم فاز هو وتلميذه وزميلي د. مصطفى سويف بجائزة الدولة التقديرية. وكان واضحًا حماسي لهما في المجلس الأعلى للثقافة. وكتبت عن فوز الأستاذ والتلميذ في يوم واحد. وقلت: كلاهما أستاذ جليل. وتلقيت رسالة رقيقة بديعة من د. مصطفى سويف. يقول فيها إنه رغم تباعدنا فقد كتبت عنه ما كان يتوقعه من أقرب الناس إليه. وأنا على يقين لو أن أستاذنا د. وافي كان حيًّا لكتب مثل ذلك.. فقد كان يتوقع لي أن أكون شيئًا مهمًّا في علم الاجتماع. ولكني اخترت الفلسفة والأدب.

ولا ألـوم كريمة د. وافـي. وأرى أن غضبها طبيعي. والـذي ليس طبيعيًّا أن تتصور أن هذا الذي أكتبه في (ملحق الأهرام) هو دراسة أكاديمية موثقة عن أساتذتنا.. ثم إن الذي أكتبه هو ما رأيناه ولا أظن أنها تعرفه. أو تعرف لغة (ملحق الأهـرام) وشقاوتنا عندما كنا صغارًا!

وصلتي بدكتور بدوي أقـوى وأوثـق ولكني أؤرخ للجانب الذي لا تعرفه أسرته. الجانب الشخصي الذي رأيته أنا وزملائي. وليس في استطاعة أحد غيرنا أن يروي ويحكي ويقول ويضحك منه وعليه وعلينا.. ولا يزال أبعد الناس عن الشخصيات هو أقربهم لفهمه.. أما الذين يلصقون عيونهم في وجـوه وآذان هذه الشخصيات، أقلهم معرفة للجوانب الأخرى..

ود. وفاء تعلمت الكثير من والدها، ولكن رسالتها تدل على أن الذي فاتها في الفلسفة والاجتماع والأدب كثير جدًّا!

ضرب العراق

إذا كان الكلام بالعقل، فالعقل يقول لنا إن أمريكا جادة في ضرب العراق. فقد عبأت الشعب الأمريكي استعدادًا لهذه الحرب. وأقنعت حلفاءها بأن يقفوا إلى جوارها ولو بطائرة واحدة وعشرة جنود، المهم أن يكونوا معها.

حلفاؤها حتى الآن: بريطانيا التي يقال عن علاقتها بأمريكا إنهما مملكة واحدة: الملكة في أمريكا والتاج في بريطانيا. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان هناك رأي بأن تنضم بريطانيا لتكون إحدى الولايات الأمريكية - وبريطانيا هي (الكسبانة) من هذه الصفقة. وقد وافقت وأعلنت بريطانيا أنها لن تتخلى عن بوش.. وفرنسا كانت غارقة في قضاياها الداخلية، ولأهمية هذه القضايا انتخبوا الرئيس شيراك للمرة الثانية. ولكن الرئيس شيراك لا يريد أن يخرج من المولد بلا حمص - أما المولد فهو ضرب العراق والحمص هو نصيب فرنسا في تعمير العراق بعد صدام، ثم إن فرنسا تريد أن يكون لها حضور دولي. وبريطانيا تريد أن يكون لها حضور أوروبي ودولي. ومن المؤكد أن توني بلير أقوى نفوذًا في بلاده من الرئيس بوش المقيد بأغلال الكونجرس وهيئات أخرى..

أما روسيا فهي، العدو القديم والحليف المنتظر فلها مصالح على بحر قزوين الذي استولت أمريكا على نصف بتروله. وفي الوقت نفسه

تريد من أمريكا أن تنظر إلى مطاردتها للشيشان تمامًا كما تنظر إلى القاعدة في أفغانستان والذين يساندونها.. ولا تزال السياسة الدولية تمشي على خط مستقيم هو (شيلني وأنا أشيلك).. ولا توصف هذه القاعدة بالسفالة السياسية، فالسياسة أحد عناصرها السفالة والمنفعة ولا مبادئ ولا قيم ولا أخلاق. وبالعقل إذا كان صدام حسين لا يملك أسلحة دمار، فليترك المفتشين يقلبون في بلاده.. وإذا كان يملك فمن مصلحة الشعب العراقي الغني جدًا ألا يحارب. فالعراق له نهران وأرض زراعية وآبار بترول وكثافة سكانية. وقد أفلح صدام حسين في أن يجعل شعبه على الحديدة. وهي جريمة يستحق وحده العقاب عليها!

عبد الوهاب الدوكالي

الموسيقار المغربي عبد الوهاب الدوكالي من أكثر الأصوات العربية جمالًا وشجنًا، ومع ذلك لم أصادف أغنية واحدة له في الإذاعة أو التليفزيون.. وقد جاء الدوكالي إلى مصر وغنى في نادي الجزيرة.. وغنى كذلك في الأوبرا.. والذين رأوه واستمعوا إليه أحسوا أن له أسلوبًا غريبًا عنا في الأداء المسرحي، وقيل في ذلك الوقت إن عبدالحليم حافظ قد حاربه خوفًا منه؟! وهذه أكذوبة ادعاها كثير من الفنانين المصريين بعد وفاة عبدالحليم حافظ.. وأذكر أنني قابلت الدوكالي في ذلك الوقت ولم يذكر لي أن أحدًا ضايقه أو ضيق عليه!

وقد طلبت من أصدقاء في الدار البيضاء أن يأتوني بأغنيات الدوكالي وغيره من مطربي المغرب العربي: المغرب والجزائر وتونس.. واستمعت واستمتعت بأغنيات الدوكالي وعبدالهادي بلخياط.

وزارني الدوكالي.. وأحببت أن أدخل السرور عليه فأسمعته أغنية مصرية بديعة اسمها مرسول الحب.. وطلبت إلى المطرب الذي غناها أن يجيء ليرى الدوكالي ويراه.. وهو المطرب الشاب نصف الليبي فارس.. والأغنية من تلحين الفنان الليبي حميد الشاعري.. واستمع إليها الدوكالي وظهر عليه التأثر الشديد.. ورأيت في ذلك إعجابًا بها وبمن غناها ومن لحنها.

وبعد أيام وصل الدوكالي إلى بلاده وتلقيت منه خطابًا يقول فيه إن له أغنية اسمها مرسول الحب لحنها وغناها من ثلاثين عامًا وليست هذه الأغنية التي أعجبتني إلا مسروقة كلها من أغنيته هو!!

وذهبت إلى الرباط وطلبت إليه أن يغني لنا - ممدوح رضا وأنا - هذه الأغنية.. لا على العود وإنما مع فرقة موسيقية.. وطلب مني أن أدعو من أرى.. ودعوت.. وجاءوا وأمضينا ليلة جميلة مع أجمل ألحان المطرب الكبير عبد الوهاب الدوكالي.. الذي من النادر أن تسمع له صوتًا في إذاعتنا أو على شاشاتنا، مع أنه أستاذ معظم الأصوات المغربية.. وأن أغنيته هذه قد طمرت جملًا في عشرات الأغنيات!

السخط واليأس

في السنوات الأخيرة من حياة توفيق الحكيم كان شعاره: انظر وراءك في سخط وأمامك في يأس. وهو كفنان حر في أن يكون متشائمًا أو أن يكون متفائلًا وأن يسد الأبواب والنوافذ في وجه أبطال رواياته ومسرحياته. أي أن يصبغ عالمه باللون الأسود أو الأزرق أو الوردي!

وليس كذلك رجل السياسة. فهو في خدمة الناس وبهم ومن أجلهم وعلى الرغم منه ومنهم. ولذلك فهو لا يستطيع أن يقول ما قاله توفيق الحكيم. لأنه ليس حرًّا. وإنما شخصياته حقيقية ومشكلاته شعبية. والمطلوب منه أن يحل أو أن يساعد على الحل.

ولذلك لابد للمفكر السياسي، والسياسي أن يراجع خطواته وأن يعمل شيئًا في موقعه بين الناس، أي لكي يصلح ويضيء الطريق إلى ذلك. والذي نعايشه هذه الأيام من مراجعة (الحزب الوطني) لأوراقه ورصيده من الإصلاح والدعوة إلى ذلك والوعد المستمر بأن يجد حلًّا، ليس إلا إصلاحًا. ويبقى بعد ذلك أن يتخذ للإصلاح النظري أو التحضير إلى الإصلاح إلى أن يفعل شيئًا. وهو يفعل شيئًا بالناس ومن أجلهم. وقد رأت إدارة الحزب أن تغير وتعدل من خطوطها وخطوتها. وأن تعتمد على وجوه جديدة ودماء جديدة تصب دمًا مشبعًا بالفيتامينات والأوكسجين. صح! وواجب..

أما السبب فهو أن خللًا وتراخيًا أصاب عضلات الحزب واختناقًا في صدور القائمين عليه. وليس ذلك مرضًا خطيرًا. وإنما هو كالمرض. وفي حاجة إلى علاج. والذي لا ينظر وراءه من حين إلى حين، لن نتقدم، كما أن الذي لا ينظر إلا وراءه.. أو لا ينظر إلا أمامه دون مراجعة – كلها خطوات لا تدفع إلى الأمام. وإنما تعوق وتعرقل وتجعلنا ننظر إلى مستقبلنا باليأس.. مع أنه لا يأس مع الإرادة ولا خوف من التصميم.. وبقية الآمال والأحلام مقبلة لا محالة!

ولكنه
لا يضحك

المؤرخ المصري الحبشي الأصل الشيخ عبد الرحمن الجبرتي رجل دقيق وصادق.. وقد وصفه عميد المؤرخين الإنجليز توينبي بأنه أعظم مؤرخ في العالم.. لأنه لا يكتب إلا عن الذي رآه.. فإذا لم يكن متأكدًا اعترف بعجزه.. وعلى الرغم من كراهيته الشديدة للاحتلال الفرنسي، فإنه أحب فيهم احترام القانون، والتقدم العلمي، وتحقيق العدالة بين الناس!

والشيخ الجبرتي ليس خفيف الظل، ولا هو ابن نكتة، وفي كتابه تاريخ مدة الفرنسيس بمصر تعليقات تبعث على الضحك مع أنه لم يقصد أن يضحك أحدًا، وإنما النكتة من كيمياء الموقف.

فقد نشر أول منشور فرنسي إلى الشعب المصري.. ثم علق عليه هكذا: تفسير ما أودعه هذا المكتوب المنكوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة.. فقد قالوا في المنشور: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه.. يقول الجبرتي: ففي ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون للملل الثلاث ومخالفون لها أيضًا.. موافقون للمسلمين في ذكر التسمية ونفي الولد والشريك، ومخالفون للمسلمين في عدم الإتيان بالشهادتين ومجد الرسالة ورفض الأقوال والأفعال الشرعية المطلوبة من الدين بالضرورة،

وموافقون للنصارى في طلب أقوالهم وأفعالهم، ومخالفون لهم في غالب أقوالهم وأفعالهم، ومخالفون لهم في القول بالتثليث ومجد الرسالة أيضًا، ورفض دياناتهم وقتل القساوسة وهدم الكنائس.

ثم يتناول المنشورات الفرنسية واحدًا واحَدا.. ويكشف ما فيها من جهل بالنحو والصرف والدين.. ولا يخطر على بال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي أن الذين يكتبون هذه المنشورات ليسوا من الأدباء ولا الشعراء العرب ولا حتى من المسلمين.. وإنما هم خواجات مستشرقون.

وبعد أن يفرغ من تفنيد هذه الرسائل يتجه إلى معناها السياسي وما فيها من أكاذيب وادعاءات ويقع في بعض الأخطاء أيضًا، فهو يظن أن بونابرته – وهذا نطقها الإيطالي – ليست اسمًا وإنما لقب، لأن كلمة بونا معناها الطيب، وبارته يعني جزءًا.. فنابليون لقبه: الرجل الطيب؟!

ولكن الجبرتي في كتابه هذا الذي نشرته مطبعة ليدن بهولندا يعتبر من أدق الوثائق التاريخية وأصدقها وأكثرها إثارة بسبب ما جرى في ذلك الوقت!

لا تقف ورائي!

قرأت مقالًا في صحيفة الموند فوقفت عند هذه العبارة يقولها الكاتب ردًا على كاتب آخر.. يقول: لا تقف ورائي!

أي لا تقول كلامًا أقل قيمة من كلامي أو لعله يريد أن يقول: تقدمني خطوة وقل أي كلام..أو لعله أراد أن يقول: لا تقل ما أقول أو لا تكن ظلي.. لعله!

إذن من الممكن أن يقال إن هناك نوعين من الكتاب السياسيين: واحد يقف وراءك.. ويردد ما تقول.. ولكن بأسلوب أحسن وعلى منبر أوسع.. فهو بغبغان ريشه أطول وألوانه أكثر. وبس.

وهناك من يقف أمامك أو يمشي أمامك.. يتقدمك بخطوة أو بفكرة.. وفي يده شمعة أو مصباح يضيء لك فتمشي وراءه آمنًا.. فهو قد نقلك من مكانك وأضاف إلى طريقك شبرًا أو شبرين وإلى خيالك معنى أو فكرتين.. فهو عنده أكثر مما عندك.. وقد أضاف إليك حركة وأملاً.. وهذا هو الكاتب الهدهد. فالقرآن الكريم يحدثنا عن الملك سليمان والهدهد.. والملك ينتظر ما سوف يأتي به الهدهد من أخبار جديدة. والقرآن يقول: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ**..﴾ وجاء الهدهد ليقول أسرع وأقوى وأبلغ عبارة في التاريخ: ﴿..**جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾. فقد نقل إلى الملك سليمان قصة بلقيس ملكة سبأ التي لها عرش عظيم.

والهدهد كان على يقين من المعلومات التي أتى بها. وليس ذلك في استطاعة البشر.. ولكنه جاء بسرعة وعنده جديد صحيح.. وهذا هو بالضبط أمل وحلم الكاتب الهدهد.

أما الكاتب البغبغان فليس لديه أمل ولا طموح ولا فائدة منه، لأنه الصدى والظل والذل أيضًا. والقارئ السياسي لا يدين بشيء لكل من هو بغبغان. وإنما يدين لكل من هو هدهد حتى لو أخطأ. ولكنه تقدم وحاول وقرر أن يحاول.. فقد أخذ تفويضًا من القارئ أن يتقدمه وأن يضيء له وبه.. حتى لو أخطأ. فليخطئ. فمن الذي لا يفعل ذلك؟!

التفسيرات الخرافية

أفلحت المصائب أن توحد بيننا وحولنا وبين الكلمات ومعظم المعاني. فالذي نجده في هذه الصحيفة بقلم فلان، هو نفسه في الصحيفة الأخرى بقلم علان. ونرى على الشاشات العربية رجالًا يتشنجون دفاعًا عن صدام حسين وهجومًا على ياسر عرفات. مع أن الرجلين يدافعان عن قضيتين مختلفتين. فياسر عرفات يقاوم بعناد شديد من أجل أرضه التي أهينت وأحرقت ويريد أن يكون مثل قائد السفينة آخر من يخرج منها..

ولو أغلقت الصوت وأنت تتفرج على القنوات العربية فأنت من حركات المتحدثين وحماسهم لا تعرف أيهم العربي وأيهم الأمريكي وأيهم العميل.. بل إنهم يتبادلون مقاعدهم وبنفس الحرارة يدافعون ويهاجمون. ولابد أن تحتار وأن تسأل عن هذه اللغة التي يتكلمونها وعن المعاني الجديدة لمفردات قديمة. وأن كل هذا الذي نعمله في أنفسنا سوف يؤدي في النهاية إلى حل.. أو بعبارة أخرى: هل البلبلة الفكرية والتشنج العقائدي هو الحل اللغوي لقضايانا الحيوية؟

إننا بهذا الارتباك نعطي لأمريكا وإسرائيل كل العذر في أن تقولا: إن العرب أنفسهم لا يعرفون ماذا يريدون. فالذين يوافقون عليه اليوم يعترضون عليه غدًا.. والذين يقفون مع عرفات اليوم يقفون مع

صدام غدًا أو مع إسرائيل.. ولذلك لم يكن غريبًا أن يقول كاتب أمريكي: العرب لا ينقصهم الحماس، ولكن تنقصهم القضية.. أية قضية!!

أي ليست القضية هي التي تشغل العرب.. فهم متحمسون صاخبون. فلا نعرف مع من وضد من ولحساب من. ومعنى ذلك أن أمريكا يجب ألا تعمل لهم أي حساب فهم لا يعنون ما يقولون. فليس بينهم رجل رشيد.. بل إنهم لم يبلغوا سن الرشد.. وإنما هم مراهقون سياسيون. ولابد أن يضربهم أحد على أدمغتهم حتى يفيقوا من الدروشة السياسية..

وهم أيضًا يصدقون هذا التفسير الخرافي لكل قضايانا الحيوية. ويريدوننا أن نصدقهم أيضًا؟!

قـــوة
مـــا..

على سبيل تغيير موضوعات الكلام اليومي. دعني أحدثك عن آخر الاكتشافات العلمية العميقة. إنها لا تمس شيئًا من حياتنا اليومية. ولكن الدول الكبرى تنفق مئات الملايين وعندها استعداد أن تنفق مئات أخرى لكي تتحقق مما اكتشفته.

أدخل في الموضوع: أمريكا أطلقت سفينتين للفضاء في سنة 1972. الأولى يوم 2 مارس والثانية يوم 4 ديسمبر. وكان هدف الأولى أن تصل إلى كوكب المشتري تصور وتسجل وتبعث بملايين الصور إلى الأرض. والثانية أن تمر بكوكبي المشتري وزحل. وبعد ذلك تتجه السفينتان إلى خارج المنظومة الشمسية.. أي الكواكب التسعة التي تدور حول الشمس..

وقد حدث كل ذلك. وظن العلماء أن هذه هي المهمة. وكفى. ولكن شيئًا عجيبًا غريبًا جعل العلماء يضعون أيديهم على خدودهم ويبكون على زمان نيوتن وأينشتين اللذين اكتشفا القواعد الصارمة التي يدور بها وحولها الكون الذي اكتشفنا أن الله قد خلقه من 15 أو 14 ألف مليون سنة. أما الذي حدث فهو أنهم لاحظوا أن انطلاق السفينتين قد تعطل قليلًا وأن سرعتهما قد نقصت. كأن أصابع خفية تشدهما إلى الوراء. الأرقام تقول ذلك.

أو بعبارة أخرى.. إن قوة اندفاع السفينتين قد نقصت بمقدار جزء على عشرة آلاف مليون من الجاذبية.

المهم أن هناك (قوة ما) ..هذه القوة (ما) ليست موجودة في الكتب. ولا أحد كان يتصور لها وجودًا.. إذن على العلماء أن يحرقوا كتب الفيزياء.. أو يؤجلوا إحراقها حتى إرسال سفينة ثالثة تتكلف وحدها 500 مليون دولار وأن ينتظروا ثلاثين عامًا ليتحققوا من صدق القواعد الجديدة للحركة في الكون.. أو بعبارة أخرى: هناك قوى متضاربة وقواعد مختلفة لقوانين الجاذبية.. وليس صحيحًا أن الكون يتحرك وفقًا لقواعد صارمة.. بل هناك قواعد ونظريات ونظم مختلفة..

هناك نظرية تقول إن الكون يتسع منذ الخليقة.. ونظريات تقول إن المتوقع أن تنقص السرعة، ولكن ثبت الآن أن حركة النجوم قد زادت سرعتها. لماذا؟ هذا ما سوف يكتشفه العلماء عند نهاية هذا القرن!

قامـــوس
غريـــب

نحن الآن أمام قاموس سياسي تمزقت صفحاته ثم رتبناها على عجل. وتلخبط الكلام والمعاني. ولم نعد نعرف من يقول ماذا ولماذا؟ والأعداء لهم لغة الأصدقاء والأصدقاء إن لم يكونوا أعداء فسوف يكونون. فمن المؤكد أن أحدًا لا يحب صدام حسين ولا يرضى عن العنف والاستبداد وتحويل شعب غني جدًا إلى شعب فقير جدًا. ومن الصعب تحت أي اسم أن يطلب من المواطن الكويتي أن يحب صدام حسين. صعب جدًا بعد كل الذي أصاب الكويت مدنيين وعسكريين حاضرين وغائبين في سجون أو مقابر صدام حسين.

وطبيعي أن نشفق على شعب العراق. وطبيعي ألا نصدق ما يقولونه في التليفزيون العراقي أو في أي تليفزيون آخر. لأنهم قد رأوا ما فعله صدام بآبائهم وإخوانهم وأمهاتهم.

ولكن إذا قالت إسرائيل الكلام نفسه الذي نقوله، فلأسباب أخرى. فالذي تفعله إسرائيل بشعب فلسطين هو أسوأ ما عرفت الإنسانية من جرائم الحرب وأكذوبة السلام القائم على الدم والتخريب والتجريف. ولا نصدق ما تقوله أمريكا أيضًا لا عن العراق ولا حتى عن إسرائيل..

وإذا كانت أمريكا تدافع عن مصالحها. ومن أجل ذلك وفي سبيلها تقتل وتذبح وتستخدم أسلحة الدمار الشامل التي جربتها على العراق

دفاعًا عن الكويت ولا تجربها على إسرائيل. ونحن لا ننسى القنابل الذرية التي أسقطتها على اليابان ولا ننسى أن بوش الأب قد خطف رئيس جمهورية ووضعه في السجن. والدول الأوروبية وروسيا تختلف مع أمريكا في ضرب العراق للأسباب نفسها. فلها أيضًا مصالح مع العراق. وعندما وقف العالم مع أمريكا ضد الغزو العراقي للكويت، انفردت أمريكا وبريطانيا بإصلاح وإعمار الكويت.. والدول الأوروبية تعرف مقدمًا أن تعمير العراق بعد تخريبها سوف يكون من نصيب أمريكا وبريطانيا. فلماذا تقف أوروبا مع أمريكا لضرب العراق ما دامت لا فائدة مادية بعد تركيع أو اغتيال صدام حسين؟!

شـــيء
غيـــر مفهـــوم!

ما الذي تريده أمريكا من العالم كله الآن؟ أولًا أن يصدق العالم كله أن ما حدث في 11 سبتمبر من تخطيط وتنفيذ وتمويل أسامة بن لادن. ومن حق أي إنسان أن يسأل كيف استطاع سكان الكهوف الأفغانية أن يقوموا بعمل عبقري في نيويورك وواشنطن؟

أليس من حق أحد أن يسأل ما دامت أمريكا لم تقدم دليلًا واحدًا مقنعًا على أن الساخطين عليها في كل مكان أفلحوا في إقناع عدد من الخبراء الأمريكان والروس وربما من اليهود أيضًا؟ أما الصور والأفلام التي عرضت في قنوات مختلفة فمن الذي لا يؤمن بأن أمريكا أم السينما قادرة على فبركة الصور والكلام! مجرد تساؤل.

ولماذا لا تتهم أمريكا أعضاء مجلس العموم البريطاني الذين لم يصدقوا الشعب الأمريكي عن استعدادات العراق لإنتاج قنابل نووية لضرب إسرائيل. إن عددًا من أعضاء مجلس العموم يشكون في صحة الوثائق والصور والخرائط التي وزعها توني بلير رئيس الوزراء على الأعضاء. بعضهم قال إن بلير وبوش كليهما يحاسب العراق على مجرد أن تكون لديها نية أو تتمنى إنتاج أسلحة الدمار.. فبريطانيا وأمريكا تعملان على عقاب صدام حسين لأنه يحلم حلمًا شريرًا. ولا تجرؤ إحداهما على معاقبة إسرائيل على أن حققت أحلامها في

إنتاج عدد من الرؤوس النووية وأنها جاهزة لضرب العراق، كما ضربت مفاعلها الذري قبل ذلك!

إن الكلمات المتداولة بيننا ليس لها معني واحد ولا صدرت عن قاموس واحد. فالذي يرونه حقًّا وعدلًا، لا نراه كذلك. والذي نراه عدوانًا على شعب العراق، وقبل ذلك على شعب فلسطين يرونه دفاعًا عن مصالح أمريكا وإسرائيل.. أما مصالح العرب والموت في سبيلها فأعمال انتحارية تلوث دماؤها شوارع إسرائيل، وأرواح الشهداء تزاحم أرواح شهداء اليهود على باب الجنة؟!

فأي كلام قبل ذلك أو بعد ذلك عن الحق والعدل والوطن والشهادة لا معنى واحدًا له عند أحد.. فالقاتل مجرم والقتيل أيضًا.. تلخبطت الدنيا أمامنا وفي رؤوسنا... فهل هذا هو النظام العالمي الأمريكي الجديد؟!

الكل
ضد شارون

الرئيس مبارك في حديثه للأمة في ذكرى انتصار أكتوبر أعظم أيام مصر التاريخية التفت إلى إسرائيل وقال ما سبق أن قاله كثيرًا وهو أن إسرائيل هي المسئولة عن تعميق الكراهية لها ليس الآن ولكن لعشرات ومئات السنين. فإذا كان أحد يعمل ضد إسرائيل فهو حكومتها. أو أن إسرائيل التي اختارت شارون هي التي اختارت أيضًا العداء لإسرائيل. ولو كانت إسرائيل في إحدى جزر المحيط الهادي وقررت وحدها أن تقضي على نفسها، ما درى بها أحد. ولكن إسرائيل مغروزة في قلب العرب. وهي دولة لها أنياب ومخالب صنعت في الولايات المتحدة. كما أن الصهيونية العالمية قد انغرزت في قلب أمريكا ولذلك يضخ دم عربي ودماء أخرى كثيرة انصياعًا للإرادة اليهودية. فمن أجل إسرائيل سوف تخسر أمريكا مصالحها وهيبتها لا في الشرق الأوسط فقط ولكن في العالم أيضًا. ولم يعد أحد يحترم أمريكا لا قوتها ولا إرادتها. فقوتها غاشمة وإرادتها ليست في يدها، ولا قرارها من صنعها.

ولم يعد الناس يكرهون أسامة بن لادن. صحيح أنه دبر وقرر ونفذ وانهدمت ناطحات سحاب ومات أبرياء.. ولكن ما الذي تفعله أمريكا بيدي شارون: نار ودمار وتجريف وإراقة الدماء البريئة. وقبل

هذا كله داست القانون والشرعية بالجزمة. وليس صحيحًا بعد اليوم أنها حصن الديموقراطية والحرية والتسامح الديني والعنصري. فكل ذلك خرافات، صدقها الشعب الأمريكي وكذبتها حكومته.. وأيقن العالم كله أن أمريكا هي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها شمس الكراهية وخيبة الأمل.

وما أعلنه الرئيس مبارك، فعلته منظمات يهودية أيضًا. فهي تهتف ضد شارون قاتل إسرائيل ومشعل نيران الرغبة في الانتقام من اليهود.. وقد طالبوا أيضًا بإسقاط شارون. فليس من حقه أن ينعش كل أنواع السخط والتشفي والعداء للسامية.

الظلم
أبو الإرهاب

تقول السيدة أستيلا رفتون أول رئيسة للمخابرات البريطانية: ما دام في الدنيا ظلم فلابد من الإرهاب.. وفي محاربة الإرهاب إعلان الحرب فقط هو المعروف، أما النهاية فليست معروفة ولا مضمونة.. ومحاربة الإرهاب هي حرب بلا هزيمة ولا نصر.

جاءت هذه العبارة في مذكراتها التي صدرت أخيرًا بعنوان أسرار مفضوحة.. وفي حديث لها عن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب قالت: أما أنها حرب فهي شيء من ذلك.. أما أن هذه الحرب واضحة النتائج فهذه هي البداية الغلط.. لأن السخط والغضب لهما ألف سبب. وإن كان لهما شكل واحد.. فإذا كانت سحابة من الدخان تلف الكرة الأرضية من الصعب أن نعرف بدايتها.. وكذلك السخط على الظلم والقهر!

ولكي نقضي على الإرهاب والعنف لابد من أن يجمع سكان الأرض معًا على ذلك.. وأن يتفق سكان الأرض على القضاء على الأسباب.. والأسباب تبدأ من الجوع والفوارق الطبقية.. ومن ضياع الحقوق.. ومن الاستعلاء.. ومن القسوة والتمييز العنصري والديني.

ويقول المؤرخ الأمريكي الكبير ديورانت: إن العنف هو القوة التي دفعت التاريخ في كل الاتجاهات.. وهذه القوة انتظمت وانضبطت وظهر لها مبشرون ونصابون فكانت حروبًا.. والبشرية لم تعرف في

كل تاريخها إلا الحروب.. أما سنوات السلام والهدنة في كل الثلاثة آلاف سنة الماضية فلم تزد على مائة سنة.. وعلى الرغم من ذلك تقدمت البشرية وتحقق العدل وازدهر الفن والجمال والرحمة.

وكما أن الطعام هدف كل إنسان والصحة أيضًا.. فإن تذوق الطعام وهضمه والنوم الهادئ والسعادة العائلية أعز آمال البشرية. صحيح من المستحيل أن يتحقق ذلك لكل الناس.. ولكن من الممكن أن يتحقق معظم ذلك لمعظم الناس.. والأمل في ألا يفقد الناس الأمل في أمان أكثر وحياة أفضل وعنف أقل!

كما أن هناك (ديموقراطية) أي حكم الشعب، فهناك أيضًا (كلبتوقراطية) أي حكم اللصوص، وما أكثرهم وأشهرهم أيضًا، وفي مقدمة لصوص العصر الحديث الرئيس موبوتو، الذي سرق ونهب هو وأسرته من شعب زائير أربعة مليارات دولار، أودعها في بنوك كثيرة في سويسرا وفرنسا!

وهناك الذين يسرقون أموال الشعب ويهربون، كالذين قرأنا عنهم في مصر، واللص ليس واحدًا، ولا عشرة يساعدونه في ذلك.. وإنما مئات عندهم الاستعداد لبيع بلدهم بالدولار والدينار، يضعونه تحت البلاطة أو يحولونه إلى الخارج، ثم ينطلقون سرًّا وراءه، وليس القضاء على اللصوص هو حبسهم أو شنقهم فقط، وإنما إصلاح الخلل الذي ييسر لهم القروض دون ضمانات حقيقية، وليس هذا جديدًا، فقد حدث من قبل، وضاعت أموال ملايين المودعين الصغار.. ولابد من معاملة هؤلاء اللصوص بمنتهى القسوة ليكونوا عبرة لغيرهم.. وليتأكد لدى الناس سلطة الدولة وقوة القانون الذي يحمي الجميع من الجميع..

وقد جاء في مرافعات أحد محامي الرئيس موبوتو قوله: إن فخامة الرئيس لم يسرق الشعب ولا أمواله.. إنما أجمع عليه الشعب

وأسلمه عقله ومعدته، ولذلك دفع من ماله ومن قوته حبًّا له، يعني أن الشعب هو الذي سرق الشعب من أجل سواد عيني الرئيس موبوتو، وقال أيضًا: إن الشعب قد أحسن الاختيار، فبدلًا من أن نصنع للرئيس تمثالًا وعرشًا من الذهب والماس نفرش الأرض تحت قدميه بالدولارات والفرنكات! إن مثل هذا المحامي يستحق الشنق أيضًا، لأن من رأيه أن الرئيس الحرامي يستحق عظيم الاحترام والتكريم والشكر، على أنه قبل راضيًا هذه الهدية المتواضعة من ملايين الجياع العراة!

فإذا كانت الديموقراطية هي حكم الشعب للشعب، فإن الكلبتوقراطية هي حكم أحط فئات الشعب لحاضر ومستقبل الشعب!

الملاخ وحواس

المرحوم كمال الملاخ هو صاحب الفضل في نشر الثقافة الفرعونية في مصر. فهو فرضها علينا فرضًا. ثم جعلنا نحبها وننتظرها. ففي بابه (من غير عنوان) الذي بدأه في (أخبار اليوم) ثم نقله معه إلى (الأهرام) كان يمتعنا بكل جديد في تاريخ وآثار مصر الفرعونية. وكان لا يمل الحديث عن الفراعنة. وهو أيضًا الذي جعلنا نقرأ النقد الفني وأخبار المعارض التشكيلية. ولم يتعب أيضًا، ولم يمل من تقديم أفلام جديدة، وفنانين كان من الممكن أن يموتوا دون أن يدري بهم أحد.

وما كان يفعله كمال الملاخ في مصر هو ما يفعله د. زاهي حواس في أمريكا. وقد اختار أعظم المجلات العلمية احترامًا (ناشونال جيوجرافيك) وقناتها التليفزيونية. وهو لا يكل ولا يمل، وكذلك هذه المجلة وقناتها أيضًا.

وبرغم كل ذلك فإن الاهتمام بأخبارنا وآثارنا لا يتعدى زاهي حواس وعددًا قليلًا من المصريين وما لا نهاية له من الفرنسيين والأمريكان والإنجليز والإيطاليين. فأخيرًا أقيم معرض في مدينة البندقية كان تحفة بين كل معارض الدنيا. المعرض عن آثار مصر الفرعونية. ولم يظهر لهذا المعرض العالمي إلا مقال، أو مقالات

للصديق عزت السعدني.. ولكن لا مجلات ولا أفلام مع أن المعرض قد استولى على كل وسائل الإعلام الغربية. وذهب إليه الأطفال والكبار والعلماء ورجال الدين.

وفي الصحف العلمية التي أمامي صفحات رائعة تعلن بالصورة أن حدثًا كبيرًا يلتقي فيه الطب الشرعي بالفيزياء لاستئناف الحكم في جريمة تاريخية: من الذي قتل توت عنخ أمون؟ الفيلم والقصة سوف يعرض كثيرًا على قناة (دسكفري). ويمكن عرضه على كل القنوات في مصر. فهل هذا ممكن؟ ممكن!

من الصعب أن يكون الكتاب شاملًا ومختصرًا. ومن الصعب أن يكون مختصرًا وواضحًا. ومن الصعب أن يكون واضحًا ورصينًا. ولكن الأستاذ زكي علي السيد أبو غضة قد اجتاز هذه الصعوبات في كتابه (الإرهـاب – في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة) في 350 صفحة عن دار (الوفاء للطباعة والنشر). ولذلك فهذا الكتاب يجب أن تقرأه لتعرف ما كان زمان وما هو اليوم وما سوف تكون عليه الدنيا غدًا.. من أيام موسى عليه السلام حتى شارون لا سلام عليه ولا معه.

وقد فتح المؤلف الكتب الثلاث أمامه: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والمذاهب السياسية والعنصرية في كل العصور. وجال وصال واختار. واستعرض ما فعله الذين يتحدثون عن الإرهـاب.. ما فعله الإنجليز في بلادنا والفرنسيون في المغرب والأمريكان في الزنوج والهنود الحمر.. وضرب اليابان بالقنبلة الذرية.

مثلًا: الرئيس السابق كلينتون قال إن الإرهاب سوف يكون في القرن الحادي والعشرين الخطر الذي يهدد أمريكا. والرئيس روزفلت قال إن أعظم ما فعله الرجل الأبيض هو إبادة الشعوب البدائية لأنها عرفت الحضارة الإنسانية، وأن هذا إنجاز تستحق عليه الدول البيضاء عظيم الامتنان.

وفيلسوف النازية ألفرد روزنبرج قال الدنيا بستان كبير. وليس له إلا جنايني واحد اختاره الله لتعدد مواهبه. ذلك الجنايني هو الألماني الذي هو سيد الأجناس البشرية. فإذا أتحنا للألمان هذه الفرصة فسوف يتحقق السلام ألفي عام!!

ومجلس الشورى قد عرف الإرهاب بأن الإرهاب هو استعمال العنف بأشكاله المادية وغير المادية للتأثير على الأفراد والمجموعات والحكومات وخلق مناخ من الاضطراب لتحقيق هدف معين.

هذا هو منطق الحق. أما منطق القوة فهو الذي يرى أن حركات تحرير فلسطين إرهاب لإسرائيل وللأمن العالمي – اقرأ هذا الكتاب!.

انتصـــار علمـــي!

في باريس سهرت حتى الفجر لأشاهد دخول الروبوت هرم خوفو. غلطتي أنني لم أتجه إلى قناة (ناشونال جيو جرافيك) صاحبة المشروع. رأيت وسمعت الفضائيات العربية. فلم أعرف إن كان د.زاهي حواس هو الذي يبحثون عنه في هرم خوفو! أو كان هو الذي يفتحون مقبرته. لم أفهم، فمرة أراه بقميص أزرق ومرة بقميص أحمر.. ومرة يرفع غطاء مقبرة ومرة يجري كأنه هارب من المقبرة.

ولم أعرف أن كشف الغطاء عن المقبرة هو الذي اهتدى إليه الروبوت.. وكيف اهتدى د. حواس إلى أن أحجار الهرم بعضها يزن 25 طنًا – هذا ما سمعت؟! كيف اكتشف ذلك ولم يقل لنا! ولم يقل لنا كيف نقل الفراعنة مثل هذه الأحجار. ولم أعرف أيضًا علاقة العراف الفرنسي نوسترادموس بالروبوت – وهي كلمة روسية بمعنى العامل الآلي. وكيف أن نوسترادموس قد عاش في القرن الأول الميلادي هذا ما سمعت – أي قبل ميلاده بأربعة عشر قرنًا؟!

وكيف أن ما قاله أو تنبأ به في القرن الأول الميلادي قد تحقق بعد عشرين قرنًا. وأين يوجد هذا الكلام.. هل لنوسترادموس نبوءات قبل ولادته غير التي نشرها بعد ولادته؟!

ثم صدرت الصحف الأمريكية والفرنسية والبريطانية فعرفت بالضبط ماذا حدث، وكيف أنه إنجاز كبير. وسوف يستكمل العلماء

بحثهم – لأسباب علمية حضارية وليس لأسباب صهيونية كما قالت بعض الصحف؟!

فلا علاقة بين عمل ثقب في أحد جدران الهرم بعيد الغفران عند اليهود.. ولا لضرب العراق أو محاولة طرد عرفات من وطنه!

ثم إن هذا الذي حدث ليس فشلًا، بل هو انتصار علمي عظيم، فقد كشف لنا سرًّا لم نكن نعرفه، وسوف نعرفه بوسائل علمية لا خرافية ولا سياسية ولا دينية، إذن مكتوب علينا أن ننتظر ما يحاوله العلماء، وما تنشره الصحف الجادة عن تاريخنا الجليل!

يويـــــا
وتـويـــا

يويا وتويا هل سمعت عنهما؟ ليسا من نجوم السينما ولا المسرح ولا الغناء. وإنما هما زوجان وأخوان أيضًا عاشا وماتا في الأسرة الـ18 الفرعونية. ولهما ابنة اسمها تييي هذه الابنة هي إحدى ثلاث جميلات في التاريخ الفرعوني: هي ونفرتيتي وحتشبسوت. وتييي ملكة وزوجة أمنحتب الثالث. وملامح تييي جميلة: وجهها مستدير ووجنتاها ناتئتان قليلًا. وعيناها لوزتان وشفتاها ممتلئتان وأنفها مرفوع فملامحها خليط من النوبية والبربرية.

أما يويا هذا فقد كان قائدًا لسلاح المركبات الحربية. لا أكثر ولا أقل. ولكنه وجد مدفونًا في مقابر الملوك لأن ابنته ملكة. وفي سنة 1905 اكتشفوا قبره. وأهم ما في القبر تاريخيًّا أن جثمانه سليم. وربما كانت مومياء يويا هي الوحيدة التي لم تمسها عوامل الفناء. فقد كانت في تابوت من الذهب الخالص في قلب ثلاثة توابيت أخرى. ثم كان معها تمثال للقرين عند الفراعنة يسمونه (با).. أي الذي سوف تحل فيه الروح بصفة مؤقتة قبل أن تنتقل إلى المومياء الأصلية فتستأنف حياتها الأخروية. وكذلك تويا زوجته. وقد أهدت لهما إحدى بناتهما مقاعد فخمة وتماثيل. وهذا كل ما بقي من مقبرة كانت عامرة بالذهب والألماس..

والملك توت عنخ أمون أهميته التاريخية هي أن مقبرته بقيت سليمة لم يمسها اللصوص. فعرفنا ما الذي كانت تحتويه كل مقابر الملوك قبل أن تمتد إليها أيدي اللصوص هذا كل ما فهمته من كتاب سهل ممتع للباحثة الإيطالية ماريا سافونا شيكولاني في 220 صفحة!

وللأمانة العلمية قالت الباحثة في المقدمة: طبعًا لا يمكن أن يتصور أحد أن زوجين أخوين عاشقين بلا قصة حب وقد نسجتها بقلمي.. فإن لم يكن حبًا من الذي نعرفه فهو حب الحياة معًا والإخلاص والدفء في شمس وأبهة الملكة الجميلة ابنتهما: تيبي!

مكتبة الإسكندرية

إذا لم يجئ عليك الدور وتتفرج على مكتبة الإسكندرية أروع ما أنجزت مصر في القرن العشرين فاقرأ هذا الكتاب: إنهم فتية ثلاثة من تلامذة الفيلسوف العظيم أرسطو هم الذين بنوا الإسكندرية ومكتبتها. باني الإسكندرية هو الإسكندر الأكبر واثنان من زملائه واحد فكر فيها والثاني نفذ الفكرة لتكون مثل أكاديمية أفلاطون وليكيوم (ليسيه) أرسطو في التاريخ القديم تضم مئات الألوف من الكتب على شكل لفائف توضع في أسطوانات. وقد تردد عليها وأمامها أعظم العقول العلمية والفلسفية الإغريقية والرومانية.. واحترقت المكتبة في حرب أو في ثورة أو بالمصادفة. وتحولت لفائفها إلى رماد..

وخطرت فكرة إعادتها عند العالم الجليل د. مصطفى العبادي وتحمس لها مدير جامعة الإسكندرية د. لطفي دويدار واتجها إلى د. مصطفى كمال حلمي وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت فاتجه هو إلى اليونسكو. وتحمست الدنيا كلها لتسهم في هذا الصرح العظيم الذي هو أبهة معمارية مفخرة لمصر والعالم كله..

ووجدت السيدة سوزان مبارك أن التعجيل بإعادة مكتبة الإسكندرية هو أهم أهدافها وأعز أمانيها. فكانت رعايتها التي لا تكل ولا تمل.

حتى قام هذا المعبد الثقافي: المكتبة.. الكنز.. المفخرة قبلة العالم القديم ولؤلؤة العالم الحديث..

أما الكتاب بالعربية والفرنسية والإنجليزية وعنوانه (أسطورة الإسكندرية وقصة أشهر مكتبة عرفها العالم) فبقلم الأديبة نوال مصطفى ومن منشورات (أخبار اليوم). كل الحكاية بالصور والرسومات والمخطوطات النادرة للقرآن الكريم والكتب القديمة. فإذا قرأت الكتاب فكأنك رأيت المكتبة، وإذا رأيتها فقد قرأت الكتاب مرة أخرى!

جاءنـــــا ولـــــدا!

مبروك جاء لنا ولد.. فقد أصبحت المجموعة الشمسية تضم الآن كوكبًا عاشرًا. هذا الكوكب هو جسم من الحجر الجليدي. والكوكب في رأي علماء الفلك هو كل جسم يدور حول الشمس. والكوكب الجديد أصغر من القمر. ولكن القمر ليس كوكبًا لأنه يدور حول الأرض.

والأرض تدور حول الشمس في 365 يومًا، والزهرة في 225 يومًا، والمريخ في 686 يومًا، وعطارد في 98 يومًا، والمشتري في 12 سنة، وزحل في 29 سنة، وأورانوس في 84 سنة ونبتون في 165 سنة، وبلوتو في 249 سنة.

أما الكوكب الجديد ففي 288 يومًا. والمسافة بينه وبين الشمس هي أربعة آلاف مليون ميل. ولكي تصل إليه سفينة الفضاء فهي في حاجة إلي 25 سنة!

وآخر ما اكتشف في المجموعة الشمسية كان كوكب بلوتو سنة 1930. أما الكوكب الجديد فقد اختاروا له اسم (كواور). هو اسم شخصية أسطورية عند الهنود الحمر في منطقة كاليفورنيا. وقد اهتدى اثنان من العلماء إلى الكوكب الجديد معتمدين على مئات ألوف الصور التي التقطها المرصد المداري (هابل). العالمان هما: مايكل بروان وزميله

شادويك تروخيلور. وقطر الكوكب الجديد 400 ميل – قطر كوكب الأرض 8000 ميل.

المنطقة الفضائية التي يدور فيها الكوكب الجديد مليئة بفتافيت ومخلفات الكتلة الهائلة التي تمزقت وتباعدت ودارت حول الشمس منذ نحو خمسة آلاف مليون سنة. ولم يعرف العلماء طبيعة هذا الكوكب ولا إن كانت هناك كواكب أخرى أبعد منه في المجموعة الشمسية. وسعادة العلماء لا حد لها. فقد وجدوا شيئًا جديدًا.. هذا الشيء الجديد مثل شظية من زرار قميص وجدوه في استاد القاهرة إذا ما قورن بكوكب الأرض! تمامًا كما أن كوكب الأرض أقل من ذلك كثيرًا إذا ما قورن بالكون حولنا.. وهو ليس الكون الوحيد في الكون اللانهائي في المكان والزمان!

قــل لــي
مــن فضــلك

قال لي: إيه الكلام الفارغ الذي يكتبه الصحفيون والمحللون ؟

فوضعت أمامه ورقًا وقلمًا وقلت له: قل لنا حضرتك ما هو الكلام المليان. أنت تطلب من واحد يمسك كوبًا من الماء على ظهر مركب في بحر هائج أن يثبت في مكانه لكي يثبت الماء ولا يسقط من الكوب.. أنت تطلب من واحد أن يصيب هدفًا متحركًا.. هدفًا يتقدم خطوة ويرجع عشرين وينحرف عشرين.. قل لي كيف يمكن أن تصيبه.. قل ما الذي يستطيع أمهر صراف في العالم إذا كانت العملة تتغير من دقيقة إلى دقيقة.. قل لي كيف يمكن لأي إنسان أن يكتب أو يقول إذا كانت معاني الكلمات تتغير بصفة مستمرة.. قل لي كيف أكمل عبارتي إذا كانت كل كلمة لها معنى آخر غير الذي عندك.. قل لي حتى لو عرفت أن أقول لأن الكلمات عندي وعندك لها نفس المعنى، فما الذي أستطيعه أنا إذا نظمت لك مقالاتي شعرًا ووجدت ملحنًا ومطربًا وبلا جمهور.. أو كان هناك جمهور وعنده إصرار على إسكاتي وضربي لكي يسمع الناس الرجل الطيب الذي اسمه بوش أو الرجل الأمير الذي اسمه شارون؟

ولاحظت أنه دفع الورق والقلم وتركني واختفى. ولكن كاتبًا ليس حرًّا إلى هذه الدرجة فيترك الورق ولا يقول. ولكن لابد أن

يقول. أن يحاول أن يكون منطقيًا رغم كل الظروف التي لا فيها عقل ولا لها منطق ولا فيها فائدة. لا نحن قادرون على السكوت ولا قادرون على الكلام. ونحن معذورون إذا لم نفهم والقارئ معذور أيضًا لأنه لا يجد غيرنا فلا هو راض عما يقرأ ولا نحن راضون عما نكتب. والسخط والغضب والقرف: مفردات الهواء الذي نشمه معًا. ونتجه إلى السماء نطلب صدورًا أرحب وهواء أنقى وأملًا في أي شيء – يا رب!

أمريكـــا كسبـانـــة

ضرب أمريكا وبريطانيا للعراق قد بدأ منذ وقت طويل، وأمريكا لا تقول والعراق أيضًا، وأقمار التجسس تلف وتدور وتصور المواقع وقصور الرئيس صدام، كما أنها أطلقت الجواسيس من إسرائيل للعراق ومن مدن الأكراد ومن الخليج، ولديها الآن معلومات مؤكدة عن مواقع ومصانع ومخازن. وفي الوقت نفسه تدفع المعارضة تتكلم في الإذاعات عن آمالها وأحلامها ومستقبل العراق بغير صدام، أو بحكومة أخرى مع بقاء واحد من أولاده رئيسًا للعراق، أو عودة الملكية القديمة، أو تقسيم العراق.

أما الديمقراطية فهي القنبلة الموقوتة. فالأقلية السنية هي التي تحكم العراق.. والديمقراطية هي أن تمنح الأغلبية مناصب الحكم وليس لبنان هي الصورة النموذجية للحكم الديمقراطي، وإنما هي صورة متداعية للحل الوسط بين الموارنة والمسلمين والدروز والقبائل الأخرى.

وسوف يؤدي ضرب العراق أو سقوط النظام وتحريك الأغلبية ضد الأقلية إلى وقف ضخ البترول أو إشعال آبار البترول لسنة أو سنتين. وأثر ذلك في السوق وسعر العملات واختلال الموازين التجارية في الشرق الأوسط إلى ارتباك في كل القارات.

ولابد أن أمريكا وغيرها قد حسبت هذه الحسبة وضربت وطرحت وخرجت من كل ذلك كسبانة، ولكن ليس هذا حال الدول الأخرى النامية أو التي تريد أن تنمو، وليست كل الدول لها نصيب واحد في تعمير العراق، كما حدث عند تعمير الكويت.. إنها مشاكل تتضاعف وتتضارب وتتناسخ وتظهر كوارث جديدة لم تكن في الحسبان.

ولم يفت أمريكا أن تشجع إسرائيل وأن تكافئ قيادتها على النجاح الساحق في حل القضية الفلسطينية بالقضاء على الشعب. فأهدت لشعب إسرائيل مدينة القدس مكافأة على ذلك. وهكذا تتحقق القاعدة التي قيلت عن الإنجليز من 75 عامًا من لا يملك أعطى لمن لا يستحق!

شـــارون
فـــي الزبالـــة

صدقني لا أحد يعرف ما الذي يمكن أن يقال للناس، يقال لهم ماذا عن ماذا؟! الناس تعبوا وتحطمت أعصابهم واضطربت معداتهم واختلطت عقولهم.. ولا أحد يعرف لونًا للحاضر أو للمستقبل، والذي لا يشغله حاضره يشغله مستقبل أولاده. ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يقوله للناس عن مستقبل البلد في الاقتصاد والسياسة والسياحة والتربية والتعليم والبطالة والعمالة والهجرة والصحة.. كيف تقول كلامًا مؤكدًا، ولا شيء في حياتك مؤكد.. لا في الداخل ولا في الخارج.. الدنيا مقلوبة تمشي على دماغها وتمشي على معداتها وتتلوى.. والأمر كله ليس في أيدينا.. والذين في يدهم الأمر لا يعرفون الرحمة ولا العدل وكل كلامهم عن العدل والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان للتصدير – أرجو أن تراجع خطب الرئيس بوش في أي مناسبة.. ولن تجد معنى واحدًا عن هذه المبادئ السامية..

أما الذي يقوله السيد شارون ففي الزبالة.. لأنه هو زبالة البشر.. وابحث لي في أي مكان عن صدى لما يقوله الغلبان المسكين شهيد العدل والرحمة وكرامة الإنسان: أبو عمار.. أين هو الآن.. وما اسم هذا السجن الخانق الذي يصرخ فيه.. وإذا صرخ فمن الذي يسمعه.. وإذا سمعه أحد فما الذي يستطيع أن يفعله من أجله.. وإن لم يكن ذلك

تفسيرًا للصمت الرهيب في الشرق الأوسط.. فما التفسير؟! كل الخوف أن ينطلق صاروخ نووي أو جرثومي على بسلامتها والنبي صاينها: إسرائيل.. ولم يحدث أن انطلق شيء من هذا.. أنا كنت في إسرائيل ورأيت وظهرت صوري في كل الصحف واقفًا أمام صاروخ عراقي سقط بالقرب من تل أبيب.. والصاروخ لا انفجر ولا خرجت منه شظية واحدة.. وإنما كان محشوًّا بالظلط والرمل.. حتى الظلط والرمل في سماء إسرائيل وعلى أرضها حرام على العرب، حلال لأمريكا وإسرائيل.. ويسمى هذا في القاموس: أمن إسرائيل!

فيصل
ندا

تهمك جدًّا هذه القضية التي يعرضها الأستاذ فيصل ندا مع فرقته المسرحية يومي الخميس والجمعة. واسمها (المدرسين والدروس الخصوصية).. ويهمك أن ترى وتستمتع بنيللي سيدة الاستعراض وهي تدافع عن مشاكل ومتاعب الطالبات وانحراف بعضهن والمدرسين واضطراب السلوك العام.

المسرحية في فصلها الأول تستدرجك نكتة بعد نكتة إلى مدرسة (جولدن مايند) للبنات وناظرها الفنان القدير أحمد راتب ومن بين مدرسيها النجم الظريف المحبوب وائل نور والممثل الناجح رضا إدريس. أما الطالبات فمن الفنون المسرحية: حيوية ورقص وشقاوة.

وربما كانت هذه المسرحية من أجمل ما أخرج الفنان الكبير السيد راضي ففيها ما يقنعك ويبهرك ويساعد على الفهم السريع والانتقال الأسرع إلى كل مواطن الألم في البيت المصري والتربية والتعليم والمستقبل المجهول.

وعلاقتي بالمؤلف فيصل ندا من عمر التليفزيون المصري فقد كتبت مسلسل (العبقري) الذي أعد له الحوار والسيناريو. بطولة يوسف وهبي وإخراج سعيد عبادة. وفوجئنا بالدكتور عبد القادر حاتم يزف إلينا أن الرئيس عبد الناصر يعجبه المسلسل ويضحكه كثيرًا ولا ينزل

من بيته في رمضان إلا بعد أن يراه. وكان ذلك تصريحًا وتفويضًا وأمرًا بأن تضاعف حلقاتها. وقد حدث. فمن 17 حلقة أصبحت 34. والحلقة الأخيرة كانت يوم العيد وكان لها نصيب (ذهب مع الريح) ثلاث ساعات ليشارك فيها كل نجوم الكوميديا في مصر ؟!

وفيصل ندا هو (خميرة) ومخبز فرفشة للمسرح والشاشة. ويساعده في هذه المسرحية نجوم أحبهم الناس فقد أضحكوه بسلاسة الأداء والحوار. وكان المفروض أن يجيء الحكم في هذه القضية عند نهايتها. وفعلا انعقدت المحكمة وترافعت نيللي ووائل نور. وتأجل النطق بالحكم إلى أجل غير مسمى.. فالدروس الخصوصية كالموت على رقاب العباد. والموت لأنه ليس مشكلة، فلا حل له.. ولا حل لها أيضًا!

لا عـــــذر لنـــــا

المؤرخ الكبير د. مصطفى العبادي في كتابه (مكتبة الإسكندرية القديمة) يـروي قصة تلميذ عاش ومـات من ألفي سنة في مدينة الإسكندرية. التلميذ بعث إلى والده خطابًا يشكو فيه من المدرسين.. عددهم قليل. وقدراتهم مـحدودة. وأنــه سوف يعتمد على نفسه لا عليهم. ويبدو أن مساعدة والده له كانت متأخرة عنه بعض الوقت. ولكنه وجد حلًا. فعنده خادم لا يجد ما يعمله في البيت. فكان يجعله يعمل في أماكن أخرى، ثم يعيش على ما يكسبه هذا الخادم. فهذا التلميذ مثل كل التلامذة يتهمون الأساتذة، ولا يتهمون أنفسهم. ولكن هذا التلميذ لم يقعد في البيت ولا ملأ الدنيا صراخًا، وجعل فشله أو سقوطه في الامتحان نتيجة حتمية لضعف الأساتذة. ولم تكن الدروس الخصوصية قد اخترعت. فليس أمامه إلا أن يذاكر هو معتمدًا على قدراته في الصبر والاستمرار..

واختلفت الدنيا.. فعندنا الآن الكتب والمكتبات الضخمة الفخمة المكيفة الهواء والضوء وعلى صلة بكل مكتبات الدنيا. وكل شيء تحت أصابع أي تلميذ. ولا يبقى إلا أن الطالب أو القارئ أو العالم (يريد) أن يقرأ، وأن يبحث، وأن يضيف شيئًا إلى نفسه وإلى بلده وإلى الإنسانية.

فيوم كانت مكتبة الإسكندرية متواضعة البناء وأوراقها من البردي وإضاءتها من الشمس، ظهر فيها عباقرة العلوم والفلك والطب والفلسفة والتاريخ. أما اليوم فلا عذر لأحد. فلم يعد القارئ في حاجة إلى أن يفرك عينيه بأصابعه كما كنا نفعل ونحن صغار في (المكتبة الفاروقية) في المنصورة التي كانت تغلق أبوابها قبل الغروب بساعات. فلم تكن الإضاءة تكفي إلا لقراءة عناوين الكتب. ولكن كنا أحسن حالًا من شكسبير الذي كان يقول إنه يظل يقرأ ويقرأ حتى تكاد الشموع أن تحرق رموش عينيه!.

فالدولة قد عملت ما عليها وزيادة. بقي أن يعمل الطالب والباحث شيئًا للدولة وللشعب وللإنسانية. ممكن؟ نعم. فقد أمكن وفي ظروف أقسى. واليوم لا عذر لنا!

الأمـــل عظيـــم

نرجو ألا تكون مكتبة الإسكندرية أحد المعالم السياحية فقط. يتفرج عليها الأجانب والمصريون أيضًا. وإنما هذه المكتبة الفخمة الأبهة هي دار للبحث.. جامعة. كانت ويجب أن تظل كذلك وفي ظروف أروع وأجمل. وقد رأيت المكتبة لأول مرة: باهرة. وفيها تيسيرات خيالية، بل لم تكن في خيال أي قارئ أو باحث.. من الذي كان يتصور أن الكتب القديمة والحديثة والمخطوطات النادرة كلها في متناوله.. خطوة هنا وخطوة هناك.. وينزل ويطلع سلالم أنيقة، مسافات في المكان قصيرة ولكنها في الزمان بعيدة.. بل إن الزمان والمكان شيء واحد في مكتبة الإسكندرية!

لقد شهدت الاحتفال العالمي في داخل المكتبة. سمعت أجمل كلام في أقصر وقت. ولا خلاف بين كل المتحدثين إلا في الأسلوب الجميل. وإنما المعاني واحدة: الحرية والإبداع والتسامح والسلام رغم الاختلاف والتنوع. وتحية عظيمة لمصر التي استأنفت البحث والعلم ولكن بصورة أجمل.. ولم تكن حفلة مكتبة الإسكندرية كلامًا وموسيقى وغناء فقط.. وإنما كانت صلوات ودعوات. فالأمر جاد. والأمل عظيم، وحاجة الإنسانية إلى الإنسان الحر المبدع لا تزال عظيمة. ولا شيء يتقدم بغير إنسان متفوق.. ولا أحد يتفوق بغير

حرية. ولا حرية نافعة بغير أخلاق.. ولا يوجد علم شرير. وإنما توجد تطبيقات شريرة لعلوم نافعة. ولا شيء يوقف الشر إلا القيم الإنسانية.. وبعد هذه المهرجانات والضوء والأضواء سوف تعود المكتبة الجميلة الأنيقة إلى هدوء البحث وصفاء المعرفة. وسوف يلتقي بها أبناء مصر والدول الأخرى.. وتستأنف المكتبة الجديدة ما بدأته المكتبة القديمة، فكانت ضوءًا باهرًا للدنيا من ألفي سنة.. وهي قادرة على أن تكون كذلك لألوف السنين القادمة..

د. رحاب
طه

الصحف البريطانية تتحدث عن (أمنا الغولة). عن فتاة كانت تدرس في جامعة شرق أنجليا. وهي فتاة عراقية عادية لا تلفت النظر. فليس فيها شيء يخرق العين والأذن. لا وجهها ولا سلوكها. وإنما هي في حالها جاءت من بغداد لتدرس الميكروبات وتطورها وتنشيطها والقضاء عليها في النباتات. وقد دعاها الأساتذة إلى عائلاتهم. ولم يظهر عليها أي ذكاء وأية عبقرية ولا أنها جاءت في مهمة أخرى. وهذه المهمة هي حرب إبادة البشر. وإنها كانت تحت التمرين لتكون أخطر امرأة في العالم ويقال في التاريخ كله؟!

هذه الباحثة العراقية اسمها د. رحاب طه. حصلت على الدكتوراه.. وعادت إلى بلادها لترأس برنامجها لأسلحة الدمار الشامل. الدمار عن طريق الميكروبات. بل إن الأمريكان والإنجليز والمفتشين قد عثروا على السموم التي أشرفت على إنتاجها. فقالوا إنها تكفي لإبادة الكرة الأرضية أربع مرات. وفي رأي آخر عشرين مرة (؟!!).

وأحد أساتذة الدكتورة رحاب صار عضوًا في مجلس العموم عن حزب العمال وهو يعارض ضرب العراق. لأن في ذلك تعارضًا مع كل المبادئ الإنسانية وإضرارًا بمصالح بريطانيا في المنطقة. ولكن يكفي القضاء على الأسلحة واعتقال العلماء ومحاكمتهم كمجرمي

حرب. ولكن الأمريكان لم يفعلوا ذلك عندما استولوا على قاعدة الصواريخ في ألمانيا أثناء الحرب.

وإنما نقلوا كل العلماء إلى أمريكا وكذلك فعل الروس. وكان من أشهر علماء الصواريخ فرنر فون براون الذي أطلق أول صاروخ حمل الأقمار والرواد إلى مدارات حول الأرض. وفي ذلك الوقت يقال إن قمرًا أمريكيًّا التقى قمرًا روسيًّا. فقال أحدهما للآخر: نستطيع أن نتكلم بالألمانية. فكل علماء الصواريخ والفضاء في الدولتين من الألمان!

ويرى الإنجليز أن تلميذتهم د. رحاب طه كانت المسئولة عن موت عشرات الألوف من الإيرانيين وإنها استخدمت عددًا كبيرًا من الأسرى في تجاربها العلمية. ولذلك فهي أعدى أعداء البشرية ومصيرها – إن وجدوها – الشنق أو قتلها بسلاحها (؟!)

وسوف يكتشفون صلتها بالقاعدة ؟!!

قنـــاة النيـــل

(قناة النيل للأخبار) من أحسن القنوات الناطقة باللغة العربية. لست متحيزًا ولكني منصف. ومن العدل بعد أن رأيت ساعات طويلة وأعجبني وأقنعني ما رأيت أن أقول كلمة حق. وأنا لا أعرف أحدًا في هذه القناة. فكل الوجوه شابة جديدة ومنضبطة وجادة ومريحة.

فقد كان من عادتي أن أبحث عن القنوات الأخرى لكي أجد مزيدًا من المعلومات أو التحليلات. فالذي نراه في القناة الأولى ليس كافيًا. مرة تكون سريعة ومرة تكون بطيئة ولكنها في جميع الأحوال لا تكفي ولا تشفي لأن الأخبار ليست مضمونها الوحيد..

وبالمصادفة توقفت عند قناة النيل للأخبار. وتحملت ساعة بعد ساعة.. ثم عدت إليها. فهي فعلًا ممتعة وممتازة. لا هي سريعة راكبها عفريت مثل (سي. إن. إن) ولا هي بطيئة مثل (بي. بي. سي) ولكنها وسط بين الاثنتين. وفي غاية الكفاءة.

وأدهشني وأعجبني كثرة المراسلين لقناة النيل.. فلها مندوبوها في كل العواصم من المصريين والأجانب. وهم أيضًا على مستوى محترم.. يضاف إلى ذلك حكايات وأفلام وراء الأخبار. ووجدت نشرات الأخبار يقرؤها مذيع واحد أو مذيعة. وهو وهي في منتهى الحيوية – لا تعبان ولا هلكان ولا (نام على روحه) وإنما في تمام اليقظة.

ولذلك فأنا أدعو إلى التحول إلى قناة النيل للأخبار. ففيها كل ما تريد من أخبارنا وأخبارهم.. والنبرة هادئة والأداء سهل. ولا يبقى إلا أن يشعر العاملون في هذه القناة بأنهم ليسوا وحدهم.. وأنه مقفول عليهم باب ومطلوب منهم أن يقولوا لمن لا يرى ولا يسمع.

إنني أحيي هذه القناة المجهولة عند أكثرنا وأشجع العاملين فيها ولها. فليس أحسن من ذلك ولا أسهل ولا أشمل.. فتحولوا إليها إذا أردتم أن تعرفوا أخبارنا في الدنيا وأخبار الدنيا عندنا! وهي في حاجة إلى معونة فنية ومالية لتكون الأحسن!

الفــــول:
فيـاجــرا

على مسئولية د. مصطفى نوفل كل ما سوف يغريك في رمضان وبعد العيد. فقد صدر له كتاب بعنوان (كيف تأكل بصحة جيدة).. ولأن الكتاب صدر عن (كتاب اليوم) هذه الأيام السابقة على رمضان المعظم، فلابد أن تتوقع أن يقول للناس: لا تأكل. ابتعد. احترس. أدر ظهرك لمائدة رمضان التي تحتوي على البارد والساخن والحلو والحراق والدهن والبطاطس والبيض والقطايف والكنافة. ولكن د. مصطفى عبدالرازق نوفل أستاذ علوم وتكنولوجيا الأغذية بجامعة الأزهر يقول لك في 140 صفحة: كل دهونًا واشرب ماء في أثناء الطعام وكولسترول البيض غير ضار والكعك غير ضار. والمكسرات خالية من الكولسترول.. وأكل الدهون ضرورة والنشويات ضرورية لحرق الدهون والبطاطس لا تؤدي إلى السمنة.. وإذا كنت تبحث عن السعادة وراحة البال والحيوية واليقظة العقلية، فلا شيء أجمل وأصح من (الفول المدمس) ومعه ثلاثة أقراص طعمية وبيض. ومطلوب أن تلتهم كل هذا وإذا بقي منك نفس بعد ذلك فادع الله أن يطيل في عمر المؤلف ليرى كل ما يأكله الناس جميلًا لذيذًا يطيل النوم والعمر، ويوسع أحضان السعادة للجميع!

لقد بلغ من حماس د. نوفل أن جعل الفول مرادفًا للفياجرا!

لقد أفرج د. نوفل عن كل المعتقلين من الأطعمة، وهو لم يحذر إلا من الإعلانات عن الأطعمة. فهذه الإعلانات في التليفزيون يجب الحرص في تصديقها. فهي ليست جميعًا لوجه الله، وإنما لوجه سلعة يريدونها ضد سلعة أخرى تنافسها. إذن أنت عندك تصريح من أستاذ متخصص أن تملأ كرشك بكل ما تستطيع. أما إذا أصابك مكروه – لا قدر الله – فسببه سوء فهم حكمة الطعام. وإنما هناك أسباب أخرى غير الطعام. فالأطعمة كلها بريئة. ولكن الذنب ذنبك إذا لم تراع كذا وكذا – 25 نصيحة في نهاية الكتاب من بينها غسل اليدين قبل وبعد الأكل..وكل سنة وأنت طيب تأكل وتتنزه بين الأطباق، وتهضم وتنام سعيدًا، وتدعو بعد ذلك للمؤلف بما يستحقه!

عبـــارة حذفوهـــا

العسكريون في إسرائيل يتكلمون ويؤلفون الكتب. العسكريون في مصر لا يتكلمون. هل هم لا يريدون؟ هل هم عاجزون؟ هل هم ممنوعون من الكتابة؟ لا أحد يقول ولا هو يريد أن يقول...

ولا أحد يهمه أن يقول. والنتيجة: أن أي فشار حشاش يستطيع أن يضع ساقًا على ساق ويبين كل نفس في الجوزة ونفس يقول ويشتم ويلعن ويفضح ويكذب. ولأن أحدًا لا يرد عليه أو لا يرده ويصده، فما يقوله هو الحقيقة. وهي حقيقة في غياب الحقيقة! هل يدهشك ذلك؟ الدهشة ليست هي الجواب!

سألت موشي ديان بعد أن صدر كتابه الشهير عن مذكراته عن السلام فقال: إنهم يعرضون كتبهم على وزير العدل. ولا يصدر هذا الكتاب إلا إذا قرأته لجنة متخصصة. وسألته ما الذي حذفوه من هذا الكتاب قال: لقد ذكرت أنني جلست مع الملك حسين وكان أمامي جهاز تسجيل. لقد حذفوا هذه العبارة. سألت عيزر فايتسمان رئيس الدولة قال: ولا كلمة ولكن حذفوا نكتة. سألت حاييم هرتسوج رئيس إسرائيل ماذا فعلوا بكتابه فقال:

لم يحذفوا وإنما شكروني على الدقة والموضوعية والإنصاف والتسامح.وكانت عندي فكرة عرضتها على المشير محمد عبدالغني

الجمسي وهي أن يرد على الأكاذيب الإسرائيلية وأن أشترك معه. ولم تمت الفكرة ولكنه أصدر كتابه. وكررت الفكرة نفسها على المشير عبدالحليم أبو غزالة وهو كاتب ومؤرخ واسع الأفق. ولا أعرف كيف تلاشت هذه الفكرة – هو انشغل بكتبه وأنا أيضًا.

وفي كل ذكرى عسكرية أو تاريخية يفاجأ المصريون بما لا نهاية له من المغالطات: فالمنتصر منكسر، والمنكسر هو المنتصر.. وهزيمة 67 انتصار باهر، وانتصار 73 هزيمة ساحقة.. صفعات على الخد الأيمن والأيسر والقفا.. وشلوت.. وعن الدولة الوحيدة في الدنيا التي كسبت ماليًّا من الحرب؟! إذن هذا الكذب حقيقة. والسكوت علامة الرضا.. وأمشاج يا عرب أمشاج..!

نعم

صدقت!

كتاب الأرقام القياسية (جينس) الذي يصدر كل عام وينشر أسرع وأكبر وأصغر وأغنى وأفقر إنسان وأعظم رياضي وأسرع طيار وأعظم باحث إلخ قد صدر لأول مرة 1955. ولا يزال يصدر بملايين النسخ كل سنة.وهي فكرة بسيطة ولكنها متجددة. ومتعة وتسلية.

ولكن هذا الكتاب قد سبقه إلى هذه القياسات كتاب آخر اسمه (الأوائل) قبل ألف سنة لأحد علماء النحو والبلاغة هو أبو هلال العسكري. الذي توفي وهو يملي هذا الكتاب سنة 1005م.

فهو يحدثنا عن: أول من خلع نعله عند دخول الكعبة.. وأول من حرم الخمر في الجاهلية: الوليد بن المغيرة. وأول من كسا الكعبة.. وأول من رجم في الزنا.. وأول من قال: مرحبًا وأهلًا هو سيف بن ذي يزن. وأول من كتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقد كانوا في الجاهلية يكتبون في رسائلهم: باسمك اللهم.. وكان النبي ﷺ يكتب كذلك. حتى نزلت الآية ﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فأمر النبي أن يكتبوا في صدور الرسائل: بسم الله. ثم نزلت الآية ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فجعلها النبي عليه الصلاة والسلام في بداية كل رسالة.. ثم جعلها في بداية كل السور ماعدا سورة (براءة)..

وأول من سمى (القرآن) بالمصحف هو أبو بكر الصديق فهو أول من جمع القرآن وعثمان بن عفان أول من جمع الناس على مصحف واحد. فكلمة المصحف جاءت من لهجة أهل نجد. ففي نجد يقولون أصحفه فهو مصحف.أي جعله بعضه فوق بعض..

وأول من حرم زواج المتعة: عمر بن الخطاب.. إلخ.. إلخ، وهذا العالم اللغوي الموسوعي أبو هلال العسكري كان (يتبزز) أي يرتدي البزة الجميلة حتى لا يقال إنه فقير! وليس أول ولن يكون آخر من قال عن نفسه:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري　　　دليل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذل كرامهم　　　ويعظم فيهم نذلهم ويسود!

هل أقول لك صدقت؟ نعم صدقت!

يوسف
شرارة

كان تلامذة سقراط عندما يقدمون أستاذهم يعتذرون عنه فيقولون: ولكنه سقراط.. أي رغم أنه قبيح الشكل فهو الفيلسوف العظيم وكذلك كان تلامذة الجاحظ والأعشى والبحتري والحريري وأبي حيان التوحيدي.

وقد اعتذر السفير يوسف شرارة عن سوء طبع الكتاب وهو يقدمه لي وهي غلطة الهيئة المصرية للكتاب؛ فالطباعة سيئة والورق أسوأ. ولكن الكتاب مشرق الفكرة سهل العبارة سريع الإيقاع خوفًا من ملل القراء لمواجهة هذا الحشد الهائل من الأفكار، الكتاب اسمه (مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية). والعنوان ليس جيدًا أيضًا؛ فكان من الممكن اختيار عناوين أكثر جاذبية من عذاب الإنسان في هذا الكون.. في بلده.. في نفسه أيضًا..

فأنت أمام كاتب مثقف وأفكاره واضحة والمجال الذي يرتاده واسع؛ فهو عندما يتحدث عن مستقبل الإنسان قبل نهاية الكتاب بعشرين صفحة يقول: لقد صبرتم معنا في قراءة ما سبق حتى وصلنا معًا إلى هذه الصفحة.. وعلى ذلك فإننا نطمع في أن تصبروا معنا على تقديمنا لصورة شخصية بحتة وتصور قابل للنقاش تمامًا وللقبول والرفض، ومثير للفكر المتأمل لتنفيذ ما نتوقعه لتطور عدد من الأمور.

فهو يرى أن إسرائيل لم تعد لها مزاياها التي كانت تعتمد عليها أمريكا.. فهي لا تقاوم الشيوعية التي ليس لها وجود.. ولا تحمي آبار البترول في المنطقة، كما أن السلام الشامل في المنطقة سيجعل عددًا من اليهود يهاجرون إليها ويضعف وجودهم في أوروبا، وأنا أتوقع العكس، فإسرائيل ليست البلد المثالي لليهود ولذلك فمن المتوقع أن يهجرها الكثيرون لينعموا بالحياة في أمريكا وأوروبا.. ويتوقع السفير يوسف شرارة بقاء الخلافات العربية طويلاً؛ لأن النظم العربية تعتمد على إرادة فرد واحد، وهذه قضية لا يناقشها العرب في مؤسساتهم الداخلية..

ورغم اتحاد العرب لغة ودينًا فإن مصالح زعمائهم هي المشكلة.. والسفير يوسف شرارة متفائل.. فالإنسانية قد مرت بها أزمات كثيرة، ثم تطورت لتواجهها وتتغلب عليها.. ولدى الإنسانية إمكانات علمية هائلة تمنحها القدرة على حل المشاكل، والأمر يتوقف على مدى جديتها..

ويقول في ختام كتابه: إن كرتنا الأرضية نظام متكامل ولكي تستمر المدنية أساسًا ولكي تتقدم وتزدهر يجب أن يوضع هذا في الاعتبار عند اتخاذ أي قرار دولي أو فردي.

وآخر سطر في كتابه الصغير (185 صفحة) ننهي حديثنا بأن نتمنى أن كل ما ذكرنا وسردنا يؤثر على تفكيرنا ويدفعنا إلى تحقيق أسباب وجودنا في هذا الكون.

اسمها

جميمة

د. روز ماري ألفونس جندي تقول: سيادتك طبعًا قرأت عن المليونيرة الإنجليزية التي أحبت دلوعة باكستان وبطل الهوكي عمران خان..وهو شاب معروف بأنه كان ذئبًا في لندن وله حكايات وروايات ومغامرات.. وقد أوقع في شباكه شقراء وحيدة أبويها. فتركت القصر ومئات الملايين والديانة اليهودية وأسلمت ونحن نكتب اسمها (جميما) وأحيانًا اسمها جاميم.. وأظن أنه الأوفق أن نترجم اسمها حميمة–أي الصديقة الحميمة– ولابد أن تكون كذلك ما دامت قد تركت الحياة السعيدة وذهبت إلى الحياة الحارة الشاقة في باكستان..

وأنا أقول: أختلف معك يا دكتورة.. فالكلمة عربية فصيحة فكلمة: جم تعني الكثير. القرآن الكريم يقول: ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾ أي كثيرًا.

والجُمَّة بضم الجيم أي الشعر الكثيف الذي يتدلى على الكتفين. ويقال: إن الرسول عليه الصلاة والسلام كانت له (جمة جعدة) أي كان شعره طويلاً يتدلى على كتفيه. وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «إنها عندما تزوجت الرسول عليه الصلاة والسلام كانت لها (جميمة) وهي مصغر كلمة (جمة) – أي كان شعرها يتدلى إلى ما

فوق كتفيها.. ولعلك تلاحظين أن السيدة جميمة عمران خان قد أطالت شعرها وجعلته يتدلى على صدرها وعلى كتفيها.. كأنما أرادت أن تكون (جميمة) اسمًا على مسمى.. ولم يكن شعرها كذلك قبل الزواج..

أما أننا نكتب اسمها (جميما) فلأننا نفضل أن تكون الأسماء العربية تنتهي بحرف الألف، كأنها أجنبية فنقول: يسرا.. وهي خطأ والصحيح هو يسرى.. حتى الكلمات التي تنتهي بحرف الألف نختارها اسمًا حتى لو كانت فعلاً فنقول: رنا.. وهو اسم بنت.. وهو فعل ماضٍ من الفعل يرنو.. ولكن لأن الكلمة تنتهي بالألف جعلناها اسمًا لفتاة..

وقد قرأت من يقول إن كلمة (يسرا) مأخوذة عن الأغنية الشعبية التي تقول: الله الله يا بدوي جاب اليسرا –أي أتى باليسر أي بالخير..

غلط طبعًا لأن كلمة (اليسرا) في الأغنية هي (الأسرى) التي أتى بها ولي الله الشيخ السيد البدوي..

وكلمة (رشأ) بالهمزة في آخرها فعل. بمعنى تزوج.. ولكن رشا يكون اسمًا للفتاة لأن (رشأ) بالهمزة أيضًا معناها الظبي.

وبالمناسبة؛ فإن معظم الأسماء التي تنتهي بالتاء المفتوحة تركية الشكل ولكنها عربية مثل: عصمة وعزة ودولة ورفعة وحشمة!

وجـــــوه
جديـــدة

تقول السيدة إيناس عبد السلام من الكويت:

أكتب إليك عن مذيعات الربط؛ فهن لا يتمتعن، لا بالشياكة ولا اللباقة، بالإضافة إلى سمنتهن الواضحة وكبر السن.. أما مذيعو ومذيعات الأخبار فكأنهم في عزاء بتجهمهم وصلابة وجوههم كأنهم نسوا البسمة على أعتاب منازلهم كما لو كانوا يذيعون آخر أخبار الكوارث والمصائب.. أدعوك لمشاهدة شبكات تليفزيونية أخرى بمن فيها من مذيعين ومذيعات استمتعوا بالخفة والجمال والرشاقة والشباب والابتسامة الحلوة حتى في إذاعة الأخبار.

في النهاية أرجو أن تُطعَّم القناة الفضائية بالوجوه الجديدة الصغيرة اللبقة وأن يحال الباقون للتقاعد.. أعرف أن هناك مجهودًا كبيرًا وعظيمًا وراء هذه القناة لتكون واحة للمغتربين فأرجو ألا تفسدها هذه الأشياء الصغيرة.

* * *

أقول لك حكاية يا سيدتي: يقال إن لصًا وقف أمام القاضي، وقد وضع يده في جيبه فشخط فيه القاضي قائلاً: طلع إيدك من جيبك يا قليل الأدب!

فقال اللص: يا أفندم أنا محتار.. إذا وضعت يدي في جيبي فأنا قليل الأدب، وإذا وضعتها في جيوب الناس فأنا لص.. قل لي سيادتك أحط إيدي فين؟

مساكين .. المذيعون والمذيعات.. إن ظهروا جادين قيل إيه الغم والهم ع الصبح.. وإن ظهروا باسمين ضاحكين قيل: فشتهم عايمة على إيه؟

فما الذي يعمله المذيعون والمذيعات؟ كيف يضحكون وهم يقرأون نشرات الأخبار الجادة وإذا تحدثوا عن مذابح الصرب في البوسنة؟ ما الذي يضحكهم إذا تكلموا عن العصابات والكوارث واحتراق إحدى الطائرات وموت من فيها؟

إن قارئ نشرة الأخبار يجب أن يكون (محايدًا)؛ فلا شأن له بمضمون الأخبار – إنه يؤدي فقط – وأن يكون واضحًا. أما في البرامج التي فيها لمسات وأحاديث شخصية ويكون المذيع أو المذيعة طرفًا في الحوار، فلابد أن يكون (إنسانيًا) وليس جهازًا إلكترونيًا.

أما حكاية أن المذيعات والمذيعين كبار السن فلا يعيبهم ذلك.. إنها الخبرة الطويلة التي تكسبهم احترامًا. وفي كل شبكات التليفزيون كبار السن وصغار السن.. أما زيادة الوزن فمعك حق في ذلك!

أما الشياكة والأناقة فهي مسألة ذوق.. ذوق المذيعة والأذواق شخصية، وإن كنت أنا شخصيًا أرى أنه من الضروري أن يتدخل التليفزيون في منع (البهرجة) ومنع التسريحات الفظيعة وليس هذا تدخلاً في حرية المذيعة ولكنه ضبط وربط وتصحيح لفلسفات الحلاقين التي يفرضونها بقوة السشوار على المشاهدين، عندنا تسريحات فظيعة. أنا معك!

النطـــق عجيـــب

لابد أنك جربت أن تنتقل من القناة الأولى إلى الثانية أثناء مباريات كرة القدم الدولية والمصرية، فالملاعب هناك خضراء جميلة والملاعب عندنا جربانة.. واللاعبون هناك شباب ورشاقة وحيوية، واللاعبون عندنا مكسحون مفككون كأنهم يمشون في الوحل؛ الخطوة ثقيلة والساقان متباعدتان والذراعان مخلخلتان.

ولكن لا حيلة لنا في أن يكون هذا حالنا وأن يكون منظرهم البديع.. فالكرة – حتى بالنسبة للذين لا يفهمون فيها كثيرًا مثلي – فرجة ومتعة وتسلية.. وفرصة أن تستغرقك عن الذي يشغلك ليلاً ونهارًا.. فرصة للنسيان أو السرحان.. أو تحريك العينين – وهي أحسن رياضة – كما يقول أطباء العيون! شيء واحد يضايقني كثيرًا هو المعلقون الرياضيون: عباراتهم متكررة وصرخاتهم واحدة؛ ولذلك فالتعليق الرياضي عندنا ممل ويجعلك تترحم وتقرأ الفاتحة على روح الكابتن محمد لطيف صوتًا وأداء وخفة دم وأستاذية..

فليكن، فالمفردات الرياضية محدودة، والزعيق والصيحات واحدة.. وإن كان كل معلق يحاول أن تكون له تعبيرات خاصة. أحيانًا يبالغ فيها جدًّا؛ يقول عن الشوطة الطويلة: إنها عابرة للقارات.. أو يقول لك إنه قرأ السطر قراءة جيدة..

أي أنه رأى هيئة اللعب وكأنه يقرأ في صحيفة ففهم وبسرعة اتخذ الرد المناسب – لا بأس! ولكن الذي يغيظني أن هؤلاء المعلقين صاروا أضحوكة وخاصة الذين يذيعون من الاستديو في القاهرة؛ فهم لا يعرفون كيف ينطقون الأسماء، ويصرون على النطق الخاطئ حتى الأسماء العربية ينطقونها خطأ فاللاعب العربي الذي يلعب لفرنسا اسمه زين الدين زيدان – يقولها المعلق: زيداني، مع أنها مكتوبة على ظهره من غير ياء!

أما الأسماء اللاتينية والروسية والأوروبية الشرقية، فالنطق عجيب ومضحك جدًا مع أن مواجهة هذا الموقف سهلة جدًا. فليذهب المعلق الرياضي بالأسماء إلى الذين يعرفون هذه اللغات الأجنبية ويسألهم كيف ينطقونها، وألف واحد يدله على ذلك. انتهت مشكلة النطق البهلواني. والسبب هو الإهمال والكسل واللامبالاة بالمشاهد – عيب جدًا! – مثلاً أحد المعلقين يقول عن اللاعب الفرنسي بلان – أي أبيض – إن الإنجليز ينطقونه: بلانش – أي بيضاء، بذمتك يا شيخ أين سمعت أو قرأت هذا؟

لم يحدث ولكنه يتفلسف جاهلاً ومضحكًا أيضًا. وبعض المعلقين – حمادة إمام مثلاً – يخطف الكلام خطفًا فيكون آخر الكلمة غير مفهوم.. كأنه زهقان وقرفان – فتنتقل عدواه إلى المشاهد أيضًا.

ولولا أنني أحتاج إلى تحليل للذي أراه، لشاهدتها دون أن أسمع صوت أحد.

حضنها الدافئ

كأنني أتخبط في طريق مرصوف قامت على جوانبه أحجار ملونة شائكة.. وإذا نجوت من الأحجار سقطت في الحفر - ولا أعرف لها مبررًا إلا الحرص على الشوشرة اللفظية والضباب والصراخ، قلت هذا لنفسي وأنا أقلب في القصص في مجموعة (هجير) للأديبة الشابة باسمة محمد يونس (من منشورات هيئة الكتاب).

ومددت يدي إلى أول كتاب وكانت هذه الأديبة التي لا تساعدك على أن تقرأها وإذا قرأتها أن تفهمها وإذا فهمتها أن تتساءل: ولكن لماذا؟!

ثم مددت يدي إلى قصص (العودة إلى حضنها الدافئ) للأديب سمير السالمي من منشورات هيئة الكتاب.. هذا الأديب قد تكاملت عنده عناصر الإبداع القصصي.. الأسلوب السهل، نعومة الانسياب، الانطلاق إلى ماذا يريد في الوقت الذي يريد.. ففي هذه القصة هو عائد من غربة إلى أهله، مضى زمن طويل.. إنه يشعر بالطريق القديم ويتخيل باب البيت وحضن أمه وما سوف يقول.. يكون.. ويمضي ويدق الباب ويدفعه على خرابه.. وفي الأرض فئران.. وبقايا عظام وآماله الحطام.. ويجري ويبحث ويجد بيتًا ويسأل ويقال إنه هاجر إلى المدينة.. ويعبر النهر إلى خالته، ويقال له إنها في أحد أطراف

القرية وسوف يراها.. ويفلت الزمان والمكان من يديه ومنك.. ويندفع الأديب وتسعفه اللغة والمشاعر إلى كل ما يريد.. والسيارة تهزهزه وتهدهده.. ويتوقف السائق لقد كان يحلم بكل ذلك..

وهو كاتب مثقف ويدري تمامًا معنى الخيال والرمزية.. وفي إحدى قصصه كأنه صورة أخرى من قصص كامكا، إن كان أبسط وأجمل.. أما قصته (رؤى الجالس على عرش قدامه بحر الزجاج شبه البللوري) لعبد الغفار عقيل ومن منشورات هيئة الكتاب فهي قصة شاعرية خيالية ساحرة ومسحورة.. كأنك في ألف ليلة ولكن بالفن والفلسفة معًا. وبطل هذه الرؤى الخمس فنان كأنه طائر (القفنس) الذي تحدث عنه فريد الدين العطار النيسابوري في كتابه (لغة الطير).. فهذا الطائر له منقار طويل به مائة ثقب.. كل ثقب يخرج منه صوت حزين.. وعندما تقترب ساعة موته يجمع أكوامًا من الحطب ثم يرفرف بجناحيه فتخرج النار منها ويرقص وتشتعل النيران في الطائر فيكون رمادًا.. ومن الرماد يولد هذا الطائر الأبدي إلى ما لا نهاية.. إنه الفنان، إنه الإنسان..

إنه صورة أخرى من طائر اسمه (طائر الشوك) الذي إذا أحس باقتراب الموت راح يدور حول شجرة شائكة.. ويختار أطول شوكة ثم يلقي بنفسه عليها بمنتهى القوة لتنفذ الشوكة إلى قلبه فيصرخ.. وتكون الصرخة هي لحنه النهائي الحزين.. لقد بهرني هذا العمل الأدبي البديع.

أحمـــد
بهـــاء الديـــن

لم تطاوعني نفسي أن أزور الأستاذ أحمد بهاء الدين وهو مريض، ولا طاوعتني أن أزور إحسان عبد القدوس.. وقد ندمت على أن رأيت توفيق الحكيم في أيامه الأخيرة.

فالموت قدر فظيع.. كيف تتحول الشموس إلى كتل من الحجارة ملقاة عند نهاية المشوار؟ فقد انطفأ النور وخمدت النار وترنحت النقطة السوداء عند نهاية آخر سطر في حياة جميلة مضيئة.. وكان أحمد بهاء الدين قادرًا على أن يضيء في كل الاتجاهات والتوجهات، وكان من الصعب تعبئة هذه الشمس في زجاجات الكلام.. ولكنه استطاع..

وأنا اختلفت مع الأستاذ بهاء في معظم آرائه السياسية وفلسفته في الحياة وقد حال مرضه أن أناقش ما جاء في كتابه من أحاديث مع السادات، وكنت والمرحوم موسى صبري قد أعددنا لذلك مشروع كتاب؛ فقد أدهشنا كل ما جاء في كتاب الأستاذ بهاء الدين، وأتعسنا غيابه الطويل؛ فقد انفرد به ذلك المرض الذي اكتشفه الطبيب الألماني ألويس التسهايمر من تسعين عامًا.. وظل هذا المرض اللعين يطفئ توهجه العقلي عامًا بعد عام، ويوهن ذاكرته ويفتت سلاسله الذهبية المنطقية..

والذين عرفوا الأستاذ بهاء الدين عن قرب أحبوه، والذين عرفوه عن بعد احترموه..

وكان من الممكن أن يكون أديبًا فقط لو لم تستغرقه السياسة؛ ففي كتبه صفحات أدبية جميلة لم يقصدها، فهو أحب معشوقته (السياسة) فأعطاها ما لا تستحق، ولم يعط الأدب بعض ما يستحق.. وكان في استطاعته أيضًا أن ينشغل بالفلسفة لو أراد. فلديه كل أدوات التحليق فوق، وسباحة المسافات الطويلة وارتياد الأعماق الموحشة..

وقد هزني ببرقية بعث بها من الكويت يقول لي فيها: إن كتابك هو أحسن ما عرفنا في الخمسين عامًا الماضية، ورددت عليه: لو كنت أعرف أنك سوف تقرأ هذا الكتاب لأضفت وأضفيت الكثير.

وكان يقصد كتابي (في صالون العقاد كانت لنا أيام) شكرًا جزيلاً. يرحمه الله.

د. عمـــــارة

لن يغفر المشاهدون عبارات قالها المعلق الرياضي فايز الزمر عندما كان فريقنا لكرة اليد يلعب في أيسلندا. قـال: إن الدكتور عبد المنعم عمارة يراقب المباراة مثلنا، وقد أعطى تعليماته للفريق..

طبعًا لن أعلق على هذا العيب وهذه الإهانة للمشاهدين واللاعبين وله هو - أيضًا - فلا أحد يعرف أن د. عمارة قد أوتي كل هذا العلم والخبرة لمجرد أن الدولة قد أعطته مفتاح خزينة بها مائة مليون جنيه يشوطها ويباصيها لمن يشاء متى يشاء وكما يشاء.

ولا أحد يعرف إن كان د. عمارة قد مارس هواية التوجيه عن البعد لكرة اليد.. وفي أي ماتش ومتى وأين وكيف درس (الريموت كنترول) للمباريات الدولية؟!

وأنا لا أدعي العلم ولا عندي مائة مليون جنيه.. ولكن.. مثل ملايين المصريين - بدأوا يعجبون بكرة اليد فقد نجح لاعبونا في إقناع الملايين بأنهم يستحقون الاحترام بقدر ما يستحقون الإنصاف.. فنصيبهم من المائة مليون قليل - ونصيبهم من الحفاوة بهم قليل جدًّا.. وإذا انفتحت لهم أبواب الاحتراف، فلن نجد منهم واحدًا يبقى في مصر - والحق معهم؛ فنحن لا نحترم أبطالنا في الرياضة ولا في السياسة ولا في الأدب. ويوم عبد أجدادنا الفراعنة

العجل والبرص والقرد والقط، كانت نبوءة؛ فنحن أيضًا لا نزال نعبد العجول والكباش ما دامت الملايين في أيديهم. لقد بكت عيون كثيرة في مصر على سوء حظ لاعبي كرة اليد. لقد لعبوا ويرعوا وصفقنا وتعانقنا وكان الظلم قاسيًا عليهم وعلينا.. وقد رأينا ذلك بأعيننا.. منتهى الظلم.. ولكن الفلوس قادرة على تضليل العدالة والنقد الرياضي.. ولا يجرؤ أي إنسان في مصر أو في غيرها أن يتهم أبطالنا بالتراخي أو الإهمال.. ولكنهم حاولوا أقصى ما يستطيعه إنسان مظلوم مقهور لا يملك أن يفتح فمه بكلمة.

إنني أعتبر فريق كرة اليد قد انتصر، وأنه حصل على الميدالية الذهبية في الصبر والاحتمال وعظيم الاحترام من الملايين.

ولا يستطيع فايز الزمر أن يدلنا على تعليمات د. عمارة: هل كانت لحكام ليتوانيا أو للاعبي فرنسا؟!

شحنة الكراهية

رأيت فيلمًا عن تعبئة أحد أبطال الملاكمة بالكراهية والحقد والغل.. رأيت كيف يتحول البطل إلى قنبلة زمنية مليئة بالغيظ والرغبة في الانتقام.. حتى تكون المباراة مذبحة دون إراقة قطرة دم مع أن عدد الذين ماتوا في العالم في الأعوام الخمسين الماضية متأثرين بجراحهم من الملاكمين قد بلغ 650 بطلاً!

رأيت الفيلم يأتي برجل طويل اللسان شرير.. يقترب من البطل ويقول له: لا تنس أنك أسود.. وأنك حقير.. هم يرونك حقيرًا.. لا تصدق هؤلاء الكلاب البيض. إنهم يودون لو انشقت الأرض وبلعتنا جميعًا.. وإذا كان هناك مطربون وراقصون وراقصات رائعات وإذا كان هناك عشرات الأبطال في كرة القدم وكرة السلة.. فهي عبقريتنا.. وهي حقيقة.. وليس عطفًا ولا لطفًا منهم.

وتقترب الكاميرا من وجه البطل الذي تحول إلى شظايا جاهزة لأن توضع في رصاصة أو قنبلة تنطلق على الخصم.. ويمضي الرجل في الشحن والتعبئة ويقول: سمعتهم يقولون إنك ابن غير شرعي!! وما ذنبك وأنت فعلاً كذلك! ولكن أمك لم تسألك إن كانت تتزوج والدك الذي خدعته فتاة بيضاء وهربت معه.. ويقولون عنك أيضًا إنك سكير.. وإنك لا تفيق.. لأنك أسود ولأنك ابن حرام فعلاً.. فأنت لا تصحو إلا على وقع الجزمة على دماغك.. تصور!!

ثم يلتفت هذا الرجل إلى رجال آخرين حوله ويقول: إذا كنت كاذبًا فاضربوني بالجزمة بدلاً منه.. انطقوا.. قولوا!!

ويهز الناس رءوسهم والمعنى أن كلامه صحيح. ثم يلتفت إلى البطل وقد أمسكه من كتفيه يهزه بعنف ويقول: إنني أذكرك بكل ذلك قبل اللقاء.. إن هذا البطل الذي ستواجهه حفيد الذين أتوا بأجدادنا من إفريقيا.. وعاملوهم معاملة الكلاب والخنازير.. وجاء موعد الانتقام الشريف.. فمستقبل الرجل الأسود وكرامته وشرفه بين يديك.. إنك تحمل علم أربعة آلاف مليون إنسان ملون.. اضرب.. اهزم.. ولا تقتل! تقدم يا بطل!

ويتقدم البطل.. والباقي نحن نعرفه!

الحرب
هي القاعدة

في 34 قرنًا مضت لم تعرف الإنسانية إلا ثلاثة قرون من السلام. فكأن الحرب هي القاعدة أما محاولة وقف إطلاق النار والهدنة والسلام فهي الاستثناء؛ ولذلك لم تهدأ الأفراد ولا الشعوب ولا الدول.. وغدًا – إن شاء الله – سوف نعرف حرب الكواكب.. أو الحروب على الكواكب. وسوف تتسابق الدول لأن الإنسان على الأرض هو نفسه الإنسان حول الأرض وعلى الكواكب الأخرى. فقد تطورت كل الأدوات – أدوات الحياة والانتقال والموت. ولكن الإنسان لم يتطور. فهو القاتل الجشع الحسود الحقود المتعطش إلى الدم والذهب والجنس والسلطة.

ولو نظرنا الآن وحتى نهاية هذا القرن والذي يليه فسوف نجد بقعًا من الدم وسحبًا من الدخان وألسنة من النار تنبعث من أماكن مختلفة من الكرة الأرضية – كانت 35 موقعًا بعد الحرب الباردة مباشرة. فصارت الآن 25.. في إسرائيل وفلسطين وقبرص ومقدونيا والصرب وشيشانيا والمكسيك وجواتيمالا وهاييتي وكولومبيا والجزائر وليبيريا والسودان وجنوب إفريقيا وزائير والصومال وأفغانستان وكشمير والتبت والعراق وهونج كونج وكمبوديا وتيمور الشرقية بإندونيسيا وسريلانكا.. وغيرها..

وهي تضم كل أنواع الحروب: دينية وعرقية، واستقلالاً وانفصالاً، وتجارة مخدرات. وإذا لم تكن حروبًا منظمة فهي حروب عصابات

عندها أسلحة متطورة.. أو هي حرب بين الدول وتجار المخدرات الذين عندهم أحدث الأسلحة والاتصالات والتجسس والقدرة الهائلة على إفساد الذمم.. وهناك حروب الدعارة وبيع الأطفال.. واستئجار أرحام الطالبات الشقراوات والسمراوات والصغيرات والفقيرات!

لماذا؟ لأن الإنسان هو الإنسان والمثل القديم يقول: الإنسان ذئب لأخيه الإنسان.. ومن الممكن أن تضع بدلاً من الذئب حيوانات أخرى كثيرة وسوف تكون صادقًا تمامًا!

إنهـــا مصالحنـــا

عندما يتحدث الرئيس مبارك عن السلام، فالعالم كله يصدقه لأنه يعني ما يقوله وعنده وعندنا ألف دليل على ذلك، وهو يريد السلام السياسي والسلام طريقًا إلى الانتعاش الاقتصادي، ويريد السلام توفيرًا لمليارات الجنيهات ننفقها على السلاح والسلاح المضاد – وما أحوجنا إلى أرض خضراء وجسور وبيوت ومدارس ومستشفيات. ولقد تعرض السلام إلى هزة عنيفة.. إلى ألغام وضعها السيد نتنياهو في طريقه، هل هو لا يريد السلام؟ إسرائيل تريد السلام حتى تصبح دولة من دول الشرق الأوسط لا بالقوة، ولكن بحسن الجوار.. تريد اعترافًا عربيًّا بوجودها، لا بنتنياهو واغتيال رابين، ولكن بأناس أكثر عقلاً وأهدأ قرارًا، واحترامًا لقرارات الحكومات السابقة.. وإذا كان نتنياهو عنده ثأر لأن الفلسطينيين قتلوا أخاه الذي لم يكن يحبه، فعندنا وعند الفلسطينيين ألوف ماتوا وفقدوا الذراع والساق.. وفي مئات الألوف من البيوت أحزان وألسنة تلعن نتنياهو الذي أعاد إلى الآذان كلمة الحرب والتهديد بها.. ولكن في إسرائيل جماعات تؤمن بالسلام وتدعو إليه – تدعونا أن نمد أيدينا عبر كل الحدود لنكون جبهة قوية ضد الحرب والدمار والفقر والسخط الذي يؤدي إلى الغضب الذي يؤدي إلى العنف الذي يؤدي إلى الحرب – ويعود بنا إلى ما قبل 1956. إن الرئيس مبارك لم يمل منذ ولي الحكم أن يدعونا

إلى العمل ومزيد من العمل وقليل من الأولاد.. وإلى اتساع الأرض الزراعية واتساع الصدور والصبر على حكومتنا التي هي منا فأعباؤها ثقيلة وهمومها أثقل وحتى لا يحضر نتنياهو إلى مصر فإننا لم نوجه دعوة إلى أي رئيس دولة أو رئيس وزرائها حتى لا يكون لقاء قمة – وإنما هو مؤتمر كبير، وهذه فرصة لكل رجال الأعمال أن يلتقوا وأن يتفاهموا وأن يتفقوا على ما يمكن عمله هنا وهناك.. وما يمكن عمله معًا – لابد أن نعمل معًا، فلا أحد يعيش وحده.. ولا أحد يستطيع أن يبيع ولا يشتري – لا أمريكا ولا اليابان ولا ألمانيا، وإنما لكي يبيعوا يجب أن يشتروا.. وإلا سارت الفلوس في اتجاه واحد، والقرش مثل الفلك دوار. وهذه فرصة كبرى للبيع والشراء.. وأرجو أن تحذف كلمة (الحب) من جميع عبارات التجارة – ففي البيع والشراء لا حب ولا وجع قلب، فأنت لا تحضن كل من يبيع لك، ولا تعانق كل من يشتري منك.. وإنما هي مصالحنا.. هي الأبقى.. وتصبح أطول عمرًا في ظل السلام.

كلنتـــون
العظيــــم

فاز كلينتون.. وبذلك يكون أول وأصغر ديموقراطي من سنين أي من أيام روزفلت يفوز بفترة رئاسية ثانية. وقد حصل هذه المرة على أصوات ودوائر أكثر من التي حصل عليها في رياسته الأولى. وسوف يواجه صعوبات في البرلمان لأن الحزب الآخر أكثر عددًا في المجلسين. وكلينتون سوف يكون أهدأ فلن يضيع وقته في السنوات الأربع القادمة في الدعاية لنفسه. ويبدو أن الشعب الأمريكي لا يريد أن يضع كل السلطات في يدي الرئيس، ويفضل أن تتوزع القوة بين الحزب الحاكم والحزب المعارض.

وقد يغير كلينتون بعض الوجوه من الوزراء والمستشارين. ولكن سياسته لن تتغير كثيرًا، وسوف يفي بما وعد به شعبه والشعوب الأخرى الصديقة في الشرق الأوسط لأن الحزب الديموقراطي ابتداء من نيكسون وكارتر هو الذي بادر بالسلام وحققه. وكلينتون سوف يمضي في هذا الطريق ولكن بيد ثابتة وخطى هادئة.

وهذا بالضبط ما يعنينا في الشرق الأوسط فسوف يؤكد السلام بإقناع كل الأطراف بالتقدم خطوات نحو سلام شامل وسوف يخفف الضغط على العراق، رحمة بالشعب.. بالشعب لا بالزعيم.. وقد ظهر بوضوح أن حكومة إسرائيل تضع المشكلات والعقد في طريق السلام..

وليس الشعب الفلسطيني. وقد حاولت الحكومات الإسرائيلية استغلال المعركة الانتخابية في أمريكا والضغط على كلينتون وتهديده بالسقوط إذا لم يساندها، والآن قد نجح ولا يهمه شخصيًا أي تهديد أو وعيد؛ لأنه حريص على أن يكون السلام في الشرق الأوسط من الأعمال الجليلة التي قام بها الحزب الديموقراطي وأن يتوج كلينتون رجلاً للسلام عند نهاية هذا الطريق. ونجاح كلينتون يؤكد سخافة الحملة العدائية التي قام بها الجمهوريون ضده وضد زوجته.. ولم تنجح النكت والقفشات التي أطلقها المرشح الجمهوري مقلدًا الرئيس ريجان- ولذلك أعلن الأمريكان: إننا لا نحب أن يكون رئيسنا مهرجًا أو ممثلاً هزليًا، بينما القضايا خطيرة وجادة في الداخل والخارج. فاختار الأمريكان رئيسهم الشاب اللامع الذكي الذي أنجز الكثير ووعد بإنجازات أخرى سوف يفي بها للأقليات العرقية والدينية والرخاء على الأرض والحياة على كوكب المريخ!

البقـــاء للأقـــوى

العلماء يستأنفون الحكم في قضية العالم الإنجليزي دارون. القضية عمرها مائة سنة. وهي تقول: إن كل الحيوانات قد تطورت وإن الأقوى والأصلح هو الذي بقي أما الضعيف فهو الذي انقرض ومات.. ودارون لا يقول إن هناك (قوة) عاقلة حكيمة وراء كل شيء والحيوانات قد قاومت وكافحت واكتسبت صفات أجمل وأقوى في صراعها الطويل الذي استمر ملايين السنين! ولكن علماء الكيمياء الحيوية الذين أطالوا النظر إلى خلايا الإنسان والحيوان والنبات ورأوا في هذه الخلايا الدقيقة جدًّا حياة معقدة ونظمًا دقيقة وقدرة خارقة على أن تتكاثر. وإن تكاثرها هذا يخضع لقوانين دقيقة، وإن النظر إلى الخلية – أيًّا كان طولها وعرضها – يؤكد أن مجرد وجودها معجزة، ويستحيل أن تكون هذه المعجزة هي المصادفة.. والخلية التي طولها ملليمتر تمامًا كالخلية التي طولها واحد على ألف من المليون من الملليمتر.. ونظرة واحدة إلى الخلية تدوخ أكبر العقول.. إن مثل هذه الخلية في وجودها وحركتها وانقسامها وتكرارها لنفسها وبمنتهى الدقة معجزة.. أي أن في الكون بعدد الخلايا معجزات تتكرر يوميًّا في كل ثانية – في كل جزء من ألف مليون من الثانية، وفي الكون كله. كيف؟ إن العلوم تصف لنا حركات وأشكال وألوان وتركيب هذه الخلايا. ولكن العلوم لا تقول لنا: لماذا؟

وكيف؟ لماذا هي كذلك؟ لا جواب عندنا. وكيف هي كذلك؟ لا جواب ومنذ متى هي كذلك، وما الحكمة في وجودها وفي تطورها وبقائها؟ هنالك جواب واحد لا غيره «الله»، وعظمة الله التي لا حدود لها وأنت لست في حاجة إلى أن تنظر إلى السماء لتقول: الله ما أعظمك.. ولكن أروع من كل الذي تراه في السماء حولك وتحتك وفوقك أن تنظر إلى خلية طولها واحد على ألف مليون من المليمتر وعرضها نصف ذلك وعمقها أقل من ذلك.. فالعالم الكبير دارون قد رأى وحلل واستخرج نظرية في حركة الكائنات في سلم التطور الصاعد دائمًا.. ولكن لم تدركه الكيمياء والكيمياء الحيوية بالذات ليعرف كم كان فكره بسيطًا متواضعًا، والذي يسميه المصادفة ليس كذلك فليس في الكون مصادفة وإنما قوانين صارمة. وحكمة بالغة بليغة هي: الله سبحانه وتعالى!

ماذا نحن فاعلون

ومن كاليفورنيا جاءني من د. عصام شلتوت الاستشاري الجيوكيميائي يقول: هل تقدم الغرب أم تأخرت مصر؟ فأثناء وجودي بمدينة نيو أورليانز كنت أقيم بالطابق 28 مما أتاح لي مشاهدة المدينة بالكامل ولفت نظري صفاء السماء حتى نهاية الأفق وأقارن ذلك بمصر عندما ننظر من فوق المقطم لا نشاهد إلا سحابة من الدخان تلف القاهرة، كنا في الستينيات نرى الأهرامات بوضوح من برج الجزيرة والآن لا نرى إلا الدخان والملوثات. في أمريكا قوانين صارمة؛ فالبنزين خال من الرصاص لا يترك ملوثات في الجو. فماذا يا ترى فعلنا في مصانع الأسمنت أو حرق القمامة؟ هنا نرى النهر نظيفًا جدًّا وإلقاء مخلفات السفن له غرامة تتراوح بين 50000 إلى ربع مليون دولار! أما عن الشواطئ فلا تجد المباني ملاصقة للشاطئ بل تجد حرمًا واسعًا للشاطئ ثم المباني التي لا تزيد على دور أو دورين لا يسمحون لمقاولي الأسمنت بشد العمارات وليس كل من يمتلك قطعة أرض يطلع بعمارة عشرين أو ثلاثين دورًا!

وأقول أنا: لقد انتهزنا فرصة غيابك عن مصر في أمريكا يا دكتور وغيرنا كل شيء.. فالضباب والهباب أكثر كثافة. وإذا كنت ترى أشباحًا وسط الضباب من قبل، فأنت الآن لا ترى شيئًا أو أحدًا في

الطريق إلى المعادي.. أما هذا الذي تراه من فوق المقطم أو برج القاهرة فأعظم وأضخم من الذي كنت تراه في الأعوام العشرين الماضية .. أما المقارنة بين النيل والمسيسبي فأنت تعرف أن النيل أطول وأعظم، وأنه النهر الوحيد الذي ينطلق من الجنوب إلى الشمال وليس من الشرق إلى الغرب أو العكس.. وأنه قد ضاق ومات من الجوع ولذلك بدأ يأكل الشاطئين .. ثم إن النيل قد تحول إلى مقلب زبالة ومقبرة للأسماك.. وإذا كان النيل زمان يفيض كلما ألقينا فيه فتاة حلوة.. فاليوم لم يعد النيل في حاجة إلى فتاة حلوة لكي يبتلعها.. إنه يرمرم.. إنه يقتل المواطنين في بيوتهم.. يدخل إليهم من الحنفية.. وينقل المبيدات الحشرية إلى الخضراوات والفواكه وألبان ولحوم الحيوانات.. أما حكاية أن البيوت متلاصقة فهي من عاهات المصريين.. فالمدن التي في الصحراء الواسعة نجد البيوت خانقة لبعضها البعض والشوارع ضيقة.. وعندنا نكتة: يقال إن رجلاً دخل السينما وكانت خالية تمامًا إلا من واحد يرتدي طربوشًا، فجلس وراءه وقال له: من فضلك تقلع الطربوش! وهي حقيقة في مصر، فنحن نترك الأماكن الواسعة الشاسعة وننحشر ونتزنق ثم نشكو من الخنقة وضيق التنفس! فالأصل عندنا أن نشكو وأن نتبرم.. ونشكو من البيوت المتلاصقة والشوارع الضيقة. مع أن العلاج بسيط: التباعد بين البيوت والاتساع في الشوارع.. ولكن لو حدث ذلك فلن نجد ما نشكو منه!

همـــوم
النـــاس

ليس هذا كلامًا عن الرياضة ولا فيها.. وإنما هو كلام بمناسبة دورة أتلانتا.. وبمناسبة رأي أساتذة الفلسفة في جامعات بريطانيا عن كأس العالم في كرة القدم – نعم أساتذة الفلسفة.

وأنا لا أدعي فهم الرياضة أحسن من غيري ولا متابعة كل دوري وكأس في مصر وفي الخارج. ولكن أنا فقط أهتم بهموم الناس وهموم مئات الملايين، هي كرة القدم وهذه الكرة الصغيرة (15 أوقية وزنًا و68 سم قطرًا) هي التي تلعب بسكان الكرة الأرضية.. والآن عندنا أربع كرات: فالكرة الأرضية وفي داخلها كرة من الصلب تسبح في كرة من الحديد الذائب وكرة القشرة الأرضية.. ثم هذه الكرة الصغيرة..

وهي أخطر هذه الكرات جميعًا..

لأنها تلعب بأعصاب وعقل ووقت وفلوس وآمال ستة آلاف مليون نسمة..

وليس في نيتي أن ألعب أية رياضة فأنا لم أحقق أي نجاح في واحدة منها. لم آخذ اللعب مأخذًا جادًا.. إنما كنت ألهو ولم أكن ألعب..

وربما كنت أول واحد سدد هدفين في شبكة واحدة في لحظة واحدة.. فقد ضربت الكرة فدخلت هي وجزمتي في الشبكة.. وضحك زملائي الطلبة وخرجت من الملعب ولم أعد!

وكنت ألعب التنس وكان من زملائي المرحوم حمدي فؤاد وسعيد سنبل وصلاح منتصر - أما صلاح منتصر فقد أعطيته المضرب ليلاعبني فأعاده جثة هامدة، وخرجت من الملعب أحمل هذه الجثة ولم أعد!

وعندما لعبت كرة السلة، لم أكن جادًّا وإنما ألعب وبس. ولأن كلمة خرمت أذني خرجت من وسط المباراة.. فقد سمعت كلمة: كلب!

وكان ذلك صوت ناظر المدرسة.. ولم يفلح أحد في إقناعي بأنه كان يشتم ابنه الذي لكمني في أنفي.. فخرجت ويدي على وجهي أواري دموعي وأنفي ولم أعد! وحاولت يائسًا أن أتعلم السباحة وكان أساتذتي (أبو هيف) وعبد الباقي حسنين والناقد الرياضي ماهر فهمي واللواء أركان حرب د. فريد حجاج ولم أتقدم شبرًا واحدًا.. أخرجوني من النيل بعد أن غرقت.. خرجت نهائيًا من الماء.. ولما حاولت العودة لم أستطع.. أما الآن فأستطيع وبمنتهى الفخر أن أمشي على قدمي في أي حمام سباحة!

الألعاب

غريزة منظمة!

ولم تكن لعبة كرة القدم محددة اللاعبين فقد كانت القرى تلاعب القرى.. ويكون هنا مائة وهناك مائتان.. وساعات غير محدودة.. ويكون ضرب وقتل ودماء.. وكان لابد من (تنظيم) الضرب وتحديد الأنصبة.. فاتفقوا على مساحات من الأرض وعدد من اللاعبين واستمر العنف..

وكانت الجامعات الكبرى هي أول من تولى نشر النظام فجامعتا أكسفورد وكمبريدج في بريطانيا اعترفتا بكرة القدم، عندما شاركت فيها بشكل منظم.. وكذلك جامعتا بيل وبرنستون في أمريكا.. بل إن الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت في سنة 1905 قد استدعى أساتذة هاتين الجامعتين ليستشيرهم في تنظيم وتقنين هذه اللعبة التي أسفرت مبارياتها الأخيرة عن مقتل عشرين من اللاعبين، وجرح مئات من المتفرجين!

وعلى الرغم من أن ملوكًا قدامى قد شاركوا فيها: مثل الطاغية نيرون في سباق العربات، فإن ملوكًا في بريطانيا قد حرموها تحريمًا تامًّا بسبب أنها تشغل الجنود عن التدريب العسكري، فقد حرمها في القرن الرابع عشر إدوارد الثالث وريتشارد الثاني وهنري الرابع وهنري الثامن..

ولم يفكر أحد في القضاء عليها.. وإنما قرروا جميعًا تنظيم وتنظيف هذه اللعبة.. كان الهدف الرئيسي هو تحقيق أجمل متعة

بريئة.. فإن كانت حربًا فلتكن باردة، وإن كانت قتالاً فليكن نظيفًا..

وقد طال عمر هذه اللعبة واتسع نطاقها وتعمقت آثارها؛ لأنها تحتوي على كل الغرائز والتسامي بها، فالقتال والسباق والفوز والمتعة والخوف والراحة كلها عناصر حيوية.. فلابد للإنسان أن يصيد ولابد للملايين أن تتفرج على الذي يصيد وينجح، ولابد أن يرتبط بهذا الصياد البارع كمثل أعلى.. أو كحلم من أحلامه..

ثم إذا كان الصيد لا يزال غريزيًا عند الإنسان فكذلك النظام القبلي..

فالأندية الرياضية قبائل وكل قبيلة لها صغارها وكبارها وشيوخها.. والحماس للقبيلة والدفاع عنها والامتثال لأوامر وعزوات شيخ القبيلة هو من أهم معالم كرة القدم في مصر وفي العالم كله؛ قبيلة الأهلي وقبيلة الزمالك وقبيلة المنصورة والإسماعيلية والمحلة.

وما حدث في دورة أتلانتا من اعتداء إجرامي على الآمنين لقي استنكارًا عالميًا؛ لأننا نريد اللعب نظيفًا نبيلاً مثالاً رفيعًا للحرية والمساواة والتسامح بين كل الشعوب وكل الألوان والأجناس والأديان.. فالبيض يصفقون للسود، والسود يصفقون للبيض، والرجال يصفقون للنساء وللفتيات الصغيرات ويرون كل ذلك من نعيم هذه الدنيا.

والدورة الأوليمبية هي سوق التفوق والامتياز بين كل شعوب الأرض.. واللعب على المكشوف؛ فالحلال بيِّن والحرام بيِّن.. فالعقاب فوري وصارم.. فالملعب هو محكمة علنية.. يجلس فيها المتهمون والشهود والمحلفون والقضاة في مكان واحد.. فإذا أخطأ اللاعب كان عقابه فوريًا. ولا رادَّ لحكم القضاء، وإذا تسلل اللاعب – سرق

الهدف – عوقب فورًا.. فليس كالذين يسرقون البنوك وأقوات الشعب والمال العام.. إنهم لا يعاقبون فورًا!!

وحلّنا بقى على ما يلاقوا اللص الذي حشد لبراءته أبرع المحامين؟!

وقبل ذلك رفضت اللجنة الأوليمبية كل أنواع التفرقة العنصرية.. ورفضت العنف والقهر.. فقد احتجت عشرات الدول على اشتراك روسيا في الدورة الأوليمبية بسبب عدوانها على المجر. وخرجت روسيا، واعترضت دول على جنوب إفريقيا وروديسيا بسبب التفرقة العنصرية.. وخرجتا – واعترضت كندا على دخول تايوان (الصين المستقلة) احترامًا للصين الكبرى، ولم تدخل تايوان..

وفي سنة 1936 لاحظ رئيس اللجنة الأوليمبية في برلين أن هناك لافتات على دورات المياه تقول: ممنوع دخول اليهود والكلاب!

واعترض وهدد بالانسحاب إذا بقيت هذه الإهانة، وقابل هتلر فقال له هتلر: ليس من حق الضيف أن يطلب إعادة تنظيم المائدة التي دعي إليها..

وكان رد رئيس اللجنة أن أي مكان يرتفع عليه علم الدورة الأوليمبية أصبح اسمه دولة أوليمبيا، وهي دولة مستقلة ذات سيادة. ونحن السادة هنا!

ونزعت كل هذه اللافتات واستمرت الألعاب الأوليمبية رغم أنف هتلر.. ثم وجهت الدورة إهانة أخرى لألمانيا النازية عندما فاز الزنوج الأمريكان بعشر ميداليات ذهبية – والزنوج تضعهم النازية في آخر قائمة الإنسانية.. الجنس الآري أي الألمان في القمة!

كرة القدم يلعبها المهذبون ويتفرج عليها من ليسوا كذلك. والمفروض أن نكون جميعًا مهذبين والسبب هو أن اللعبة مثيرة تهز الناس الذين يشترون مقاعد لها أرقام ثم يتفرجون واقفين..

فهي تحرك كل كوامن الغضب والمناقشة والقنص، وفيها أيضًا التعصب الأبيض.. أو التعصب القبلي: أهلاوي زملكاوي ودقهلاوي..

وإن كانت كرة القدم تذيب الفوارق بين الناس، فأنت تستطيع أن تناقش الرئيس مبارك في لعب الأهلي والزمالك.. ولا تشعر بأي حرج، ولا هو يشعر بأي ضيق.. إنها رياضة..

وهو رجل رياضي يلعب الإسكواش ويشجع لاعبيه.. وعندما ذهب الرئيس السادات لتوقيع اتفاقية (كامب ديفيد) وإلى جواره هنري كيسنجر وتصادف اقتراب المباراة الكبرى لكرة القدم الأمريكية سأله أحد الصحفيين إن كان من أنصار الجلود الحمراء أو العفاريت.. ولم يفهم الرئيس السادات طبعًا –تمامًا كما لو سأل الصحفيون الرئيس كلينتون إن كان أهلاويًّا أو زملكاويًّا.. وضحك الصحفيون ولم يشعر أحد بحرج فهي مداعبة.. وكرة القدم على رقاب العباد..

أذكر أن الأستاذ صلاح الشاهد علم أن عندنا خادمًا يتحمس لنادي الترسانة ففوجئت به يقول لي: لا تشغل بالك.. لقد فكرت مع الفنان رخا والزميل مرسي الشافعي وآخرين في الأمر..

وسألته: أي أمر؟

قال: سوف نزوج الخادم الذي عندك في أسرع وقت.. لكي ينجب في أسرع وقت.. لأن عدد الترساناوية ينقرض!

وعرفت فيما بعد أن الخادم ليس ترساناويًا وإنما هو أهلاوي متعصب وكان يدعي الانتساب إلى الترسانة ليأخذ بقشيشًا وبلوفرات وجاكتات من قبيلة الترسانة.. وكان لابد أن يختفي ليظهر واحد ترساناوي!

والترساناوي الذي جاء من ترشيح وتوصية صلاح الشاهد.. رئيس نادي الترسانة في ذلك الوقت.

وأذكر أنني دعيت لتناول الإفطار في بيت أحد الأصدقاء.. وبعد انطلاق المدفع جاءت الشوربة الساخنة.. وبردت الشوربة في أيدينا.. ولم يدعنا أحد إلى الإفطار.. ولاحظنا أن هناك حركة غير عادية.. ولم نفهم.. وتأخر الإفطار ربع ساعة.. ثم عرفنا السبب. لقد اكتشفوا أن الطباخ زملكاوي وهم أهلاوية متعصبون فأصروا على طرده دون أن يكمل إعداد الطعام – تصور!

الفهرس

الكتب المؤشر عليها موجودة بمكتبتنا

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ
أنيس منصور

(ا) ترجمة ذاتية:

1 – في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2 – عاشوا في حياتي.
3 – إلا قليلاً.
4 – طلع البدر علينا.
5 – البقية في حياتي.
6 – نحن أولاد الغجر.
7 – من نفسي.
8 – حتى أنت يا أنا.
9 – أضواء وضوضاء.
10– كل شيء نسبي.
11– لأول مرة.
12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.
14– وجع في قلب إسرائيل.
15– الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).
16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفتري علينا.
17– في السياسة (3 أجزاء).
18– الدين والديناميت.
19– لا حرب في أكتوبر ولا سلام.
20– السيدة الأولى.
21– التاريخ أنياب وأظافر.
22– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).
23– على رقاب العباد.
24– ديانات أخرى.
25– وكانت الصحة هي الثمن.
26– الغرباء.
27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزي فلان.
29– هي وغيرها.
30– بقايا كل شيء.
31– يا من كنت حبيبي.
32– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:
33– رومولوس العظيم.
34– زيارة السيدة العجوز.
35– زواج السيد مسيسبي.
36– الشهاب.
37– هي وعشاقها.
** للأديب السويسري ماكس فريش:
38– أمير الأراضي البور.
39– مشعلو النيران.
** للأديب الفرنسي جان جيرودو:
40– من أجل سواد عينيها.
** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:
41– بعد السقوط.
** للأديب الأمريكي تنسي ولیامز:
42– فوق الكهف.
** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين يونسكو:

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية.

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبي:

69- يسقط الحائط الرابع.

70- وداعًا أيها الملل.

71- كرسي على الشمال.

72- ساعات بلا عقارب.

73- مع الآخرين.

74- شيء من الفكر.

75- لو كنت أيوب.

76- يعيش.. يعيش.

77- الوجودية.

78- طريق العذاب.

79- وحدي.. مع الآخرين.

80- ما لا تعلمون.

81- لحظات مسروقة.

82- كتّاب عن كتب.

83- أنتم الناس أيها الشعراء.

84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.

85- أوراق على شجر.

86- في تلك السنة.

87- دراسات في الأدب الأمريكي.

88- دراسات في الأدب الألماني.

89- دراسات في الأدب الإيطالي.

90- فلاسفة وجوديون.

91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم في 200 يوم.

93- بلاد الله خلق الله.

94- غريب في بلاد غريبة.

95- اليمن ذلك المجهول.

96- أنت في اليابان وبلاد أخرى.

97- أطيب تحياتي من موسكو.

98– أعجب الرحلات في التاريخ.
99– ماذا يريد الشباب؟
100– الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101– مدرسة الحب.
102– حلمك يا شيخ علام.
103– مين قتل مين؟
104– جمعية كل واشكر.
105– الأحياء المجاورة.
106– سلطان زمانه.
107– العبقري.
108– كلام لك يا جارة.
109– فوق الركبة.
110– هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
111– يوم بيوم.
112– إنها الأشياء الصغيرة.
113– إلا فاطمة.
114– القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

115– حقنة بينج.
116– اتنين.. اتنين.
117– عريس فاطمة.
118– من الذي لا يحب فاطمة؟
119– غاضبون وغاضبات.
120– هي وغيرها.
121– هي وعشاقها.
122– العبقري.
123– القلب أبدًا يدق.
124– يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125– ثم ضاع الطريق.
126– النجوم تولد وتموت.
127– هناك أمل.
128– أحب وأكره.
129– الحيوانات ألطف كثيرًا.
130– مصباح لكل إنسان.
131– أتمنى لك.
132– لعل الموت ينسانا.
133– اقرأ أي شيء.
134– ولكني أتأمل.
135– حتى تعرف نفسك.
136– الحب والفلوس والموت.. وأنا.
137– نحن كذلك !!
138– اللهم إني سائح.
139– كائنات فوق.
140– تعال نفكر معًا.
141– آه لو رأيت !
142– النار على الحدود: لعبة كل العصور.
143– انتهى زمن الفرص الضائعة !
144– هناك فرق.
145– الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا – الجزءان الأول والثاني.
146– يا نور النبي.
147– وأنت ما رأيك؟
148– حضارة الإوز والبقر.
149– حلمنا الجميل.
150– ضاع الجيل ضاع.
151– قالوا (الجزءان الأول والثاني).
152– وآخرتها.

153– من أول السطر.
154– أظافرها الطويلة.
155– القلب لا يمتلئ بالذهب.
156– تكلم حتى أراك.
157– الذي خرج ولم يعد.
158– ليلة في بطن الحوت.
159– والله زمان يا حب.
160– أجيال من بعدنا.
161– قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

162– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.
163– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
164– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.
165– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.
166– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.
167– (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

168– الفلسفة الوجودية الألمانية – لإميل تسلر.
169– الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.
170– معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.
171– مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.
172– الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.
173– من كيركجورد إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.
174– سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.
175 – رسائلها إليه – لفرنسواز روسلان.
176– فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.
177– ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.
178– الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.
179– فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.
180– كروتشه فيلسوف الحرية – لإيزابيلا دلورنتس.
181– شمعة في كل طريق.
182– أكثر من رأي.
183– معذبون في كل أرض.
184– تعالوا نفكر..
185– معنى الكلام..!
186– اللعب غريزة منظمة
187– في انتظار المعجزة!
188– وأنا اخترت القراءة
189– من أجل عينيها